

كِتَابُ
الْفَضْلِ الْمَأثورُ
مِنْ سَيَرَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ

تأليف
شافع بن علي الكاتب
العسقلاني المصري
(٦٤٩-٧٣٠هـ)

تحقيق
الأستاذ الدكتور
عمر عبد السلام تدمري

المكتبة العصرية

بيروت



كِتَابُ
الْفَضْلِ الْمَأْتُورِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الْفَضْلِ وَالْمَأْثُورِ

مِنْ سَيَرَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النُّصُورِ

تأليف
شافِع بن علي الكاتب
العسقلاني المصري
(٦٤٩-٧٣٠ هـ)
نسخة مكتبة البوديان (أكسفورد) رقم ٤٢٤

تحقيق
الأستاذ الدكتور
عمر عبد السلام تدمري

Shiabooks.net



المكتبة العصرية
مستودع - بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناس

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

شركة البناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار السنن والحدیث المطبعة العصرية للنشر

بغداد - ص ١١/٨٣٥٥ - تليفون ٠٠٩٦١١٦٥٥٠١٥

ص ٢٢١ - تليفون ٠٠٩٦١٧ ٧٤٣١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمؤلف

هو ناصر الدين شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل بن عساكر بن شافع ابن رافع بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي، الرواحي، الزنباغي.

هكذا ذكر نسبته - مطوّلاً - المؤرّخ «ابن الجزري» نقلًا عن كراسة كتبها «شافع» بخطّه، وفيها مولده، فهو، إذن، ينتسب إلى جدّهم الأعلى «زُوح بن زنباع» الجذامي، الفلسطيني، الأمير على جُند فلسطين في عهد «يزيد بن أبي سفيان»، المتوفى سنة ٨٤ هـ^(١).

ونسبة المؤلف: الكِناني، العسقلاني، المصري.

وُلد ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٦٤٩ هـ. (١٢٥٢م). كان أبوه يُعرف بالمولى القاضي نور الدين علي. وجدّه يُعرف بالخطيب الفقيه عماد الدين أبي الفضل خطيب قلعة الجبل، ونائب دار العدل الصالحية النجمية الأيوبية.

أما هو فعُرف بسبب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، ووُصف بـ: القاضي، الإمام، العالم، الفاضل، الكامل، الأديب. روى عن الشيخ جمال الدين بن مالك، وغيره.

روى عنه الشيخ أثير الدين أبو حيّان، والشيخ غلم الدين البرزالي، وجمال الدين إبراهيم الغانمي، وغيره من الطلبة.

له النظم الكثير، والنثر الكثير، وكتب الخطّ المنسوب فأحسن وأجاد. وباشر كتابة ديوان الإنشاء بمصر زماناً إلى أن أضّر. ويعود الفضل للأمير سيف الدين

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي - بتحقيقنا - طبعة دار الكتاب العربي، بيروت -

(حواث ووفيات ٨٠ - ١٠٠ هـ) ص ٦١ - ٦٣ رقم ٢٨.

بلبان الرومي الظاهري بتقديمه لخدمة السلطان، حيث عَوَّل عليه في المكاتبات، سيرها وجهرها، مع صِغَرِ سِنِّهِ وكِبَرِ قَدْرِ وَسِنِّ من في ديوان الإنشاء^(١).

وكان كثير المحاضرت ويُعنى بأخبار الناس والتأريخ وفنّ الأدب والنحو والترسل والنظم.

أصيب في وقعة حمص سنة ٦٨٠ هـ. بسهم نَشَاب خالَطَ دماغه، وفقد منه بصره، وبقي أعمى خمسين عاماً حتى مات في شهر شعبان سنة ٧٣٠ هـ. وقد خَلَفَ نحو العشرين خزانة ملأى بالكتب الأدبية النفيسة، إذ كان جماعة للكتب في حياته، وكان «شهاب الدين البوتيجي الكُتُبي بالقاهرة» يُخبر أنه كان إذا لمس الكتاب وَجَّهَهُ قال: هذا الكتاب الفلاني وهو لي ملكته في الوقت الفلاني، وكان إذا أراد أيّ مجلِّد، قام إلى خزانة وتناوله منها كأنه الآن وضعه هناك بيده.

زاره المؤرِّخ «شمس الدين محمد بن عبد الله الجَزَري» في داره بالقاهرة سنة ٧١٣ هـ. فكتب عن لقائه ما نصُّه:

«طلعت إلى عنده إلى داره، فلما دخلت عليه قام قائماً وهو يومئذ ضريب^(٢). وكان تحته طرّاحة صغيرة لا تقع لأحد غيره، فشالها من تحته وقال: لا بد أن تضعها تحتك، فحلفت بالله تعالى أنني ما أفعل. وقال لي: عندي خبر مجيئك القاهرة، ولي مدّة أَسْتَهِي مجيئك إلى عندي، وقد وقعت على رخيص. وأخرج دراهم وزعق لعبده حتى يشتري شيئاً، فحلفت أنه ما يشتري شيئاً فأذوقه^(٣)، وقلت له: ما قصدي إلا رؤيتك وفوائدك. فقال: كان تاريخك الذي عند الأمير نجم الدين ابن المحفّدار له عندي مدّة، [فقلت]: ونحن نستفيد من فوائدك. وكنت أخذت معي كُرّاسة بيضاء حتى أكتب من نظمه شيئاً، فحلف أنه ما يكتب إلا في ورق من عنده حتى أكون أذكره بذلك، فقمت وجلت إليه بعد أيام فوجدته قد خلّى ابن حماه قد كتب لي كُرّاسة فيها نسبُه ومولده وشي^(٤) من نظمه ونظم غيره، وحلفني أن مدّة مُقامي بالقاهرة لا أنقطع عنه أكثر من يومين والثالث أكون عنده، فسألته عن سبب غماه فقال: في وقعة حمص سنة ثمانين دخلت أنا وشمس الدين ابن قريش رفيقي أحد كُتّاب الإنشاء إلى بستان وجمعة كبيرة، فما كان إلا ساعة

(١) الفضل المائور، ورقة ٢٤ ب.

(٢) في أصل النص: «شي فادوقه».

(٣) في أصل النص: «ضريباً».

(٤) في أصل النص: «وشي».

والنتر قد دخلوا إلينا، فوقع في رأسي سهم نشاب فاختلط دماغي ووقعت بين القتلى، وقُتل كل من كان في البستان. فلما كان في الليل قمت ومشيت. ووقع لي من أوصلني إلى العسكر ومرضت وعميت، وأبقى^(١) عليّ السلطان الشهيد الملك المنصور جامكيتي التي كانت لي في الديوان، والراتب فأنا أتناوله إلى الآن^(٢).

ومن شعر «شافع» بعد عماء:

أضحى وجودي برغمي في الورى عدماً إذ ليس لي فيهم رزء ولا صدر
عدمت عيني ومالي فيهم أثر فهل وجود ولا عين ولا أثر^(٣)

وله وقد ليم على الاستكثار من شراء الكتب:

وما شغفي بالكتب إلا لأنها تسامرني من غير غي ولا ضجر
وأحسن من ذا أنها في صحابتي تجنب تكليفي وتُقنع بالنظر

وله يذكر مثله إلى فن النحو:

لقد ضاق صدري من مقاساة من غدا يطالع لي أو سامر منه فكري
وعمري لولا النحو والميل نحوه لما كنت محتاجاً لزيد وعُمر

ويبدو أن زوجته احتاجت إلى المال بعد وفاته، وكانت تعرف ثمن كل كتاب من كتبه، فبقيت تباع منها إلى سنة ٧٣٩ هـ. حيث غادرت القاهرة بعدها.

مؤلفاته:

اجتمع المؤرخ «صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي» بالمؤلف في سنة ٧٢٨ هـ. بالقاهرة، وتبادلا إنشاد الشعر، والكتابة النثرية، وطلب منه «الصفدي» إجازة بجميع مروياته من كتب الحديث وأصنافها، ومصنفات العلوم على اختلافها، وغير ذلك من قراءة أو سماع أو إجازة أو مناولة أو وضية، وصدر استدعاءه المؤرخ في مُستَهَلِّ جمادى الأولى سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة بقوله:

(١) في أصل النص: «وأبقا».

(٢) النص في: تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، لابن الجزري - مخطوط كوبريلي ١٠٣٧ - وقد قمت بتحقيقه ويصدر عن دار المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، رقم الترجمة ٤٥٢.

(٣) الوافي بالوفيات، للصفدي ٨٢/١٦، أعيان المصر، له (مصور) ج ١/٢٢١، الدرر الكامنة، لابن حجر ١٨٥/٢، المنهل الصافي، لابن تغري بردي ١٩٧/٦.

«المسؤول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم المفيد القدوة، جامع شمل الأدب، قبلة أهل السعي في تحصيله والذأب:

أخي المعجزات اللاني أبدت طروسه كأفقي به للسنيرات ظهور
وما تُم إلا الشمسُ والبدر في السما وذاك شمسٌ كلّه وبدور
البليغ الذي أثار أوايدَ الكلم من مظانّ البلاغة، وأبرز عقائل المعاني تنهادي
في تيجان ألفاظه، فجمع بين صناعة السحر والصياغة... إلى أن قال:
لا زال في هذا الوري فضله يسير سير القمر الطالع
حتى يقول الناس إذا أجمعوا ما مالك الإنشاسوى «شافع»
فأجابه المؤلف برسالة ثرية، مؤرخة بيوم الأحد خامس عشر صفر. ذكر فيها
أسماء مصنفاته، وهي:

- ١ - الأحكام العادلة فيما جرى بين المنظوم والمنثور من المفاضلة.
- ٢ - الإشعار بما للمنتبي من الأشعار.
- ٣ - الإعراب عما اشتمل عليه البناء الملكي الناصري بسرياقوس من الإغراب.
- ٤ - إفاضة أبهى الحُلل على جامع قلعة الجبل.
- ٥ - تجربة الخاطر المخاطر في مماثلة فصوص الفصول وعقود العقول.
- ٦ - حُسن^(١) المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية.
- ٧ - الدرّ المنتظم في مفاخرة السيف والقلم.
- ٨ - ديوان شعره.
- ٩ - الرأي الصائب في إثبات ما لا بُدّ منه للمكانب.
- ١٠ - سيرة السلطان الملك الأشرف.
- ١١ - شيف الأذان في مماثلة تراجم قلائد العقيان. (مناظرة الفتح بن خاقان).

(١) كلمة «حُسن» لم ترد في الوافي بالوفيات، ولا في أعيان مصر، وهي مثبتة على النسخة الخطية في المكتبة الأمية ببائيس رقم ١٧٠٧ (وفي مكتبي نسخة مصورة عنها)، وقد حققها ونشرها عبد العزيز خويطر في الرياض سنة ١٩٧٦.

١٢ - شوارد المصايد فيما لحلّ الشعر من القوايد .

١٣ - عُدّة الكاتب وعُمدة المخاطب .

١٤ - الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور . (وهو كتابنا هذا) وسمّاه: سيرة السلطان الشهيد الملك المنصور المتضمّنة جزءاً التي حستها على ألسنة الرعايا مترددة .

١٥ - قراضات الذهب المصرية في تقریظات الحماسة البصرية .

١٦ - قلائد الفرائد وفرائد القلائد فيما للشعراء العصريين الأماجد .

١٧ - ما ظهر من الدلائل في الحوادث والزلازل .

١٨ - ما بشرح الصدور من أخبار عكا وصور . (وهو نظم) .

١٩ - مخالفة المرسوم في الوُشي المرقوم .

٢٠ - المساعي المرّضية في الغزوة الحمصية . (انظر آخر الصفحة ٥٨ ب من المخطوط)^(١) .

٢١ - المقامات الناصرية .

٢٢ - ماثلة سائر ما حلّ من الشعر وتضمنين الآي الشريفة والأحاديث النبوية في المثل السائر .

٢٣ - مناظرة ابن زيدون في رسالته .

٢٤ - نظم الجواهر في سيرة مولانا السلطان الملك الناصر . (وهي منظومة متضمّنة أجزاء متعدّدة)^(٢) .

وقد أضاف الدكتور «شاكر مصطفى» إلى قائمة مصنفاته «التاريخية» كتاب :

نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك وقال إنّ «ابن الفرات» اعتمده في مواضع كثيرة من تاريخه^(٣) . وهو تاريخ إسلامي مختصر ينتهي إلى سنة ٨٠٦ ،

(١) حيث قال المؤلف : «و قد أفردت لها (أي موقعة حمص سنة ٦٨٠ هـ) . جزءاً مستقلاً برسم الخزائن العالية المملوكية السلطانية» .

(٢) انظر : الوافي بالوفيات ٧٧/١٦ - ٨٥ ، وأعيان العصر ٢١٨/١ - ٢٢٥ .

(٣) انظر : تاريخ الدول والملوك ، لابن الفرات (مخطوط فيينا) ج ٣/ ورقة ١٦٨ أ ، وج ٤/ ورقة ١٦٥ أ ، وفيه يقول : «وقال القاضي ناصر الدين شافع بن علي سبط القاضي ناصر الدين شافع بن علي سبط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في تأليفه «نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك» ، وقال بعض أهل التاريخ إن . . .» .

ويستند إلى ابن الأثير، وابن أبي طي، وابن ميسر، وابن واصل، وابن عبد الظاهر.

وأضاف الدكتور «شاكر» بقوله: «وثمة شك في نسبة هذا التاريخ إلى سبط عبد الظاهر المتوفى سنة ٧٣٠ بسبب امتداده إلى سنة ٨٠٦، وصاحب *كشف الظنون* يعزوه إلى عبد الرحمن بن محمد (أو ابن علي) بن أحمد البسطامي الحنفي المتوفى سنة ٨٤٣، ولكن النص الواضح لدى ابن الفرات المتوفى ٨٠٧ (قبل البسطامي بكثير) وانتهاء هذا التاريخ سنة ٨٠٦ يشكك بدوره في نسبته إلى البسطامي. فهل كان الكتاب في الأصل من عمل شافع، ثم زاد فيه البسطامي قرناً آخر أو بعض القرن ونسبه إلى نفسه؟»^(١).

مصادر ترجمة المؤلف

- ١ - الوافي بالوفيات، للصفدي - ج ١٦/٧٧ - ٨٥ رقم ٩٧.
- ٢ - أعيان العصر، للصفدي - (مصور) ج ١/٤١٨ - ٤٢٥.
- ٣ - نكت الهميان في نكت العيان، للصفدي - ص ١٦٣.
- ٤ - فوات الوفيات^(٢)، لابن شاكر الكُتبي - ج ٢/٩٣ - ٩٥ رقم ١٨٧.
- ٥ - تذكرة النبيه، لابن حبيب الحلبي - ج ٢/٢٠٨، ٢٠٩.
- ٦ - دُرة الأسلاك، لابن حبيب الحلبي - (المصور) ج ٢/٢٦٥.
- ٧ - السلوك، للمقريزي - ج ٢ ق ٢/٣٢٧.
- ٨ - الدُزر الكامنة، لابن حجر - ج ٢/١٨٤ - ١٨٦ رقم ١٩٢٢.
- ٩ - النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي - ج ٩/٢٨٤، ٢٨٥.
- ١٠ - الدليل الشافي، لابن تغري بردي - ج ١/٣٤٠ رقم ١١٦٩.
- ١١ - المنهل الصافي، لابن تغري بردي - ج ٦/١٩٦ - ١٩٨ رقم ١١٧٢.
- ١٢ - حُسن المحاضرة، للسيوطي - ج ١/٥٧١.
- ١٣ - حوادث الزمان وأنبائه، لابن الجزري (مخطوط) - رقم الترجمة ٤٥٢.

(١) التاريخ العربي والمؤرخون - د. شاكر مصطفى - طبعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠ - ج ١١٩/٣.

(٢) وفيه وفاة المؤلف سنة ٧٣٣ هـ. وهو غلط.

١٤ - كشف الظنون - لحاجي خليفة - ص ١٢٦٠.

١٥ - إيضاح المكنون - للبلغدادى - ج ١/١٢ و ٣٥ و ٩٩ و ٢٢٧ و ٢٩٤ و ٤٤٩ و ٣٤/٢ و ٥٨ و ٩٥ و ٢٢٢ و ٢٣٩ و ٤٢٠ و ٤٤٦ و ٤٧٢ و ٥٣٧ و ٥٦١ و ٦٥٨ و ٦٦٠.

١٦ - فهرس المخطوطات المصوّرة للطفي عبد البديع - ج ٢/١١٦.

١٧ - معجم المؤلفين، لكخالة - ج ٤/٢٨٩.

١٨ - القاموس الإسلامى، لأحمد عطية الله - ج ٤/١٤.

١٩ - التاريخ العربى والمؤرخون، للدكتور شاكى مصطفى - ج ٣/١١٨، ١١٩.

٢٠ - Brockelmann - S, 11/24

أهمية الكتاب ومادته

يكتسب هذا الكتاب أهميته من كونه مصدراً أساسياً لحقبة من أهم الحقب التاريخية في صراع الشرق والغرب، إذ تؤرخ لفترة من الحروب الصليبية، ولصفحة من العلاقات بين المماليك وكُل من الفرنج والتتار والأرمن وغيرهم، وذلك من خلال التأريخ لسيرة السلطان المنصور قلاوون. ولكون مؤلفه مؤرخاً معاصراً، ومشاركاً في مجريات بعض الأمور التي نطالعتها بين طيات كتابه. يضاف إلى هذا وذلك أنه يؤرخ لسيرة السلطان قلاوون مؤسس الأسرة التي حكمت دولة المماليك أكثر من مائة عام. وهو لم يحصر كتابه ضمن إطار الإثنتي عشرة سنة فقط، وهي المدة التي قضّاها قلاوون في الحكم (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ/ ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م). بل يؤرخ لقلاوون منذ أن كان في الرابعة عشرة من عمره حين اختصه لنفسه السلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أيوب، الذي استنابه أبوه السلطان الكامل محمد على مصر سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٩ م. كما يؤرخ لسيرته في عهد السلطان الظاهر بيبرس، مروراً بعهد شجر الدر، والملك عز الدين أيبك التركماني، وتزويج الملك السعيد ابن الظاهر بيبرس من ابنته، وسلطنة الملك السعيد بعد وفاة أبيه الظاهر، ثم سلطنة أخيه بدر الدين سلامش، حتى تولى هو السلطنة. ما يعني أن الكتاب يؤرخ لنحو خمس وستين سنة.

ولم يقف المؤلف بكتابه عند وفاة قلاوون سنة ٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠ م، بل زاد

على ذلك سنة أخرى (٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م). وهي التي تمّ فيها فتح عكا وصور وصيدا وبيروت وتحريرها من الفرنج الصليبيين، على يد السلطان الأشرف خليل ابن قلاوون.

وفي الكتاب مجموعة من نصوص المعاهدات والمراسلات السلطانية والمكاتبات التي تُعتبر من وثائق عصر الحروب الصليبية، بعضها انفرد به المؤلف ولا توجد في أي مصدر آخر، وبذلك تتوفر لدى المهتمين بدراسة الوثائق مادة جديدة، كما يجد المعتنون بالأدب نثراً ونظماً وشِعراً كمية تضاف إلى المتوفر من أدبيات عصر المماليك، ومن ذلك ما كتب المؤلف من إنشائه يبشّر بالنصر على التتار في وقعة حمص سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م^(١). وما أنشده معدياً السلطان قلاوون بنصره في الوقعة. رغم إصابته هو بسهم نساب جرح جسمه وقلبه، بقصيدة مطلعها:

نجحت مساعي سيفك البتار بالحدّ في دم أرمن وتبار^(٢)
وكتابت له منشور باستقرار الأمير سُنقر الأشقر بصهيون^(٣)، وكتاب مواعدة السلطان قلاوون لخضر ابن السلطان الظاهر ونزوله من الكرك^(٤)، وكتابة جواب على كتاب خضر ابن الظاهر باستدعاء الأمير علاء الدين الحراني^(٥). والتهنئة بفتح طرابلس، نثراً وشِعراً^(٦)، وثناء السلطان قلاوون عند وفاته^(٧). والتهنئة لشِعراً بفتح عكا وصور وصيدا^(٨). وهي نصوص لا توجد عند غيره.

ومن الأخبار التي انفرد بها المؤلف في الكتاب خبر وجود مكاتيب نضحاء للسلطان قلاوون داخل طرابلس الشام وهي تحت حكم الفرنجة الصليبيين. ومحاولة الفرنج التتكرّر بزّي التتار لإيهام المسلمين وخداعهم^(٩). ومحاججته بنفسه لرسول فرنجة طرابلس بشأن عرقة القريية منها^(١٠). ووصفه لحصن المرقب^(١١)، ما يعني أنه رأى قبل أن يفقد بعصره في سنة ٦٨٠ هـ. وفتواه للسلطان الأشرف خليل بفسخ الهدنة مع الفرنج في عكا^(١٢).

- | | |
|---------------------------------------|--|
| (١) الفضل الماثور، ورقة ٥٢ ب، ٥٣ أ. | (٧) الفضل الماثور، ورقة ١٢٠ ب. |
| (٢) الفضل الماثور، ورقة ٥٧ أ، ب. | (٨) الفضل الماثور، ورقة ١٣٤ ب. |
| (٣) الفضل الماثور، ورقة ٦٤ أ. | (٩) الفضل الماثور، ورقة ٤٩ أ. |
| (٤) الفضل الماثور، ورقة ١٠٠ ب، ١٠١ أ. | (١٠) الفضل الماثور، ورقة ١٠٩ أ. |
| (٥) الفضل الماثور، ورقة ١٠٢ ب. | (١١) الفضل الماثور، ورقة ١٠٥ ب، ١٠٧ أ. |
| (٦) الفضل الماثور، ورقة ١١٣ ب. | (١٢) الفضل الماثور، ورقة ١٢٨ ب، ١٢٩ أ. |

وصف المخطوط وتحقيقه

توجد من المخطوط نسخة فريدة في مكتبة البودليان بإكسفور، رقم ٤٢٤، وتتألف من ١٣٦ ورقة، وهي في الأصل نسخة خزائنية برسم الخزنة العالية للسلطان المنصور قلاوون، مسطرتها ٢١ ١٤,٥X سم. في الصفحة ١٣ سطراً، وفي السطر ١١ كلمة، وهي بخط الثلث، جيدة واضحة، ذهبت الأرضة بقليل من الكلمات في الصفحة الأولى. وهي قليلة الحواشي، إلا أن النص يحتوي على كثير من الأخطاء والأغلاط النحوية واللغوية. وقد تركتها كما وردت للحفاظ على لغة الكتاب، ونهت إلى الأغلاط وصوابها في الحواشي. وقابلت مادة الكتاب على عدة مصادر، وأوضحت أماكن الاختلاف، مع شرح الألفاظ والمصطلحات، والتعريف بأعلام الأشخاص والأماكن.

وفي الكتاب فقرات ومواضيع لها عناوين، وفقرات ومواضيع كثيرة أخرى من غير عناوين، قمت بوضع عناوين لها بين حاصرتين []، أما الكلمات التي وردت في الأصل على الهامش أو بين السطور فقد وضعتها في أماكنها بالمتن بين قوسين (). وألحقت بآخر الكتاب عدة فهرس، ليكتمل بذلك هذا العمل.

ويسعدني أن أقدم هذا الكتاب محققاً لأول مرة لينضم إلى تراث أمتنا الخالد

والله الموفق.

عمر عبد السلام تدمري

طرابلس المحروسة

١٨ جمادى الثاني ١٤١٨ هـ / ٢٠ تشرين الأول ١٩٩٧ م.



کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

الفضل المأثور
من سيرة السلطان الملك المنصور

سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين
أبي الفتح قلاوون خلد الله سلطانه

برسم الخزانة العالية
المولوية المخدومية
المالكية الشهابية
عمرها الله تعالى ببقائه
خدمة المملوك المنصوري

شافع بن علي الكاتب
(٦٤٩ - ٧٣٠ هـ)

استفاد منه أحمد بن علي لطف الله (به)



کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ فَقَالَ هَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَرُوحِهِمْ شَيْءٌ
 فَقَالَ بَلَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا هُمْ فِي شَأْنٍ مِنْ مَقَادِيرِ الْفَلَاحِ أَمْ قُلُوبُهُمْ مُخْصِفَةٌ
 فَلَهُمْ أَلْهَاءٌ يَلْبِسُونَ
 وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ فَقَالَ هَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَرُوحِهِمْ شَيْءٌ
 فَقَالَ بَلَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا هُمْ فِي شَأْنٍ مِنْ مَقَادِيرِ الْفَلَاحِ أَمْ قُلُوبُهُمْ مُخْصِفَةٌ
 فَلَهُمْ أَلْهَاءٌ يَلْبِسُونَ

[illegible]

الورقة الأخيرة من «الفضل المأمور»

[illegible][illegible][illegible]

المطالعات في آخر الفصل الثامن.

Marsh. 424

طالع صاحب فضل و ثناء

مستشار: د. محمد زكي

परिचय

الله اعلم

هو الادب الذي كان يعطى لغيره. الفرد سنة في كل سنة.

طالبہ، المد العربی، عالمی مجلہ ص ۱۱۰

طَالِبُهُ الْعَدُوُّ الْعَظِيمُ إِلَيْهِ سَأَلُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ زَيْنُ الدِّوَانِ -

11

بعد الفجر
لما كان يوم الجمعة

سید بن ابی اسحاق

حسن الشهور

في يوم الاثنين

— 3 —

...

...

1

اسرار علیہ السلام

1

10

1

وَأَمَّا الْفُلُفُلُ فَإِنَّهُ بِأَعْيُنِنَا ذِكْرُكُمْ

استغفر الله العظيم

10

1000

100

—

...

المحور:



کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

١٢ / بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما توفيقى إلا بالله

الحمد لله الذي أعز الإسلام وأمله بأعز سلطان. وجلبهم منه بمن وقف عند أمر الله فلم يتجاوز في حكمه العدل وفي اقتداره الإحسان. وخولهم خير ملك يكبره العيان. ويتنزه في منظره ويتمتع بمخبره كل إنسان. وأراد بهم خيراً فوّلهم عليهم خيارهم فقرن الاقتتان، من جميل خلقه وخلقته بالاقتتان. وجعلهم رعية لخير راع لم يزلوا من عنايته بأعز مكان. وعظم بفيض إنعامه حتى غدى^(١) المقلّ بسوابغها وهو ذو إمكان. نحمده على جزيل الامتتان.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحيم الرحمن. ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي محى^(٢) (الله)^(٣) بدين مبعثه سائر الأديان. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تزال حلية اللسان. وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد، فإن سير الملوك الصيد نزهة من (...) ^(٤) وذكرى من أذكر، وعبرة لمن اعتبر. وأعوذ..... مثاله، ودليل على سداد الملك في أقواله / ب٢ / وأفعاله، وهو عنوان سطور علاه، ودرج لا درج مودع ثمين خلاه، وشاهد بحزمه، وموضح قوة عزمه، وسمير يؤنس بحديثه، وجليس يستفهم منه (كنه)^(٥) قديم (عز)^(٥) سلطانه وحديثه. لا سيما إذا كان ملكاً هماماً، وسلطاناً فضلت أيامه بالعدل والإحسان أياماً فأياماً. وجواداً إن استمطر كفه كان غماماً. وإن اعتبرت فلانته اتسقت نظاماً. وإن ذكرت فروشيتته كانت أعلا^(٦) من عترة وعيسيته، ومن البطال^(٧)

(١) الصواب: «غدا».

(٢) كتبت فوق السطر.

(٣) كلمة مطبوعة.

(٤) الصواب: «أعلى».

(٥) عن الهامش.

(٦) هو أبو محمد عبد الله البطال، أحد الغزاة المجاهدين والأبطال الذين يُضرب بهم المثل. كان يغزو الروم في إقليم الثغور. قُتل في سنة ١٢٢ هـ. (تاريخ الطبري ١٩١/٧) وقيل ١٢١ هـ. (تاريخ خليفة بن خياط ٣٥٢ وتاريخ الإسلام ١٢١ هـ ١٤٠ هـ). ص ٦، والبداية والنهاية ٣٣٤/٩، والنجوم الزاهرة (٢٨٦/١) ويقال كنيته: أبو يحيى.

وفروسيته. وإن تُلَمَّحت آراؤه^(١) ألقي الصواب مكتنفاً بجوانبها، والسداد مُحِيطاً بمذاهبها.

كمولانا السلطان الملك المنصور، السيد، الأجل، العالم، العادل، المؤيد، المظفر، سيف الدنيا والدين (سلطان الإسلام والمسلمين)^(٢)، قانع الخوارج والمتمردين، مُخَيِّبِ العدل في العالمين، أبي الفتح قلاوون الصالحى، خَلَّدَ الله مَلِكُهُ، فإنه أتمَّ الملوك خُلُقاً وَخَلَقاً، وأحسنهم وَجَاهَةً وَرَجْهاً طَلَقاً، وأطوعهم باعاً، وأجلَّهم أَوْضَاعاً، وأكثرهم إقْدَاماً، وأنبَتهم أَقْدَاماً، وأشرفهم أَياماً، وأوفرهم من العدل / ١٣ / والإحسان أقساماً. وقد تدرك الله به الأُمة، وأوضح به سداد أحوالهم وقد كان أمرهم عليهم غُمة. فكان نصر الله فجاء هو والفتح المبين، وسببه إلا أنه السبب المتين.

مِلِكُ أَغَاثِ الله إِذْ وَافَا^(٣) بِهِ بَعْدَ مَا كَادَتْ تَزِيغُ قُلُوبُ
وَأَتَى وَنِيرَانُ الضَّغَائِنِ تُضْطَلِّي وَبِهَا قُلُوبُ الْمُخْلِصِينَ تَذُوبُ
فِيهِ وَقَدْ أُمَّ الرِّعْيَةَ أَخْجَدَتْ وَلَقَدْ لَهَا لَوْلَا سَطَاةُ لَهَيْبُ

وكنْتُ قد باشرتُ خدمته كاتب إنشاءً سفرأً وحضراً، وورداً وصدرأً، ومعاني وضُوراً، وآياتٍ وسُوراً، وخُبراً وخُبراً، وتأثيراً وأثراً. وكتبْتُ عنه سرّاً وجهراً. وشهدْتُ وقائعه بزأً وبحراً. واطلعتُ على ما لم يَطلُعْ عليه غيري بمُشافهته. وعلمتُ من أحواله ما لم يَعلَمْه إلا كاتب سرّه بوساطة مشاركته. وحضرتُ مهادنته وفُوداعته. وكتبْتُ بما استقرَّ منها، وحزرتُ نُسخَ الأيمان له وعليه. وأُوضِحتُ من شكوكها مُبْهمه، فأوجب على ذلك أن أسطرّه (عند المثلوث بين يديه)^(٤) محاسن أيامه الزاهرة، وأن أثبتّها لتغدو على ألسنة الأقلام على الدوام والاستمرار سائره، وأنا أشرع وبالله التوفيق.

(١) في الأصل: «آراؤه».

(٢) ما بين القوسين عن الهامش.

(٣) الصواب: «وافى».

(٤) ما بين القوسين عن الهامش.

ذِكْرُ ابتداء أمر مولانا السلطان

أجمع الناس قاطبةً ممن عاصرته أنه لم يرد البلاد في جليبة من الخليات أحسن منه ولا أكمل، ولا أبهى ولا أجمل، ولا أتم خلقة ولا خلْقاً، ولا أضوب صمتاً ولا نُطقاً. ولهذا ازدحمت عليه عند وصوله وهو ابن أربعة عشر^(١) سنة أربابُ الرغبات، وبذلت فيه الألوف من الذهب وأجلّته عن المآت. فكان الألفي قامة، والألفي قيمة، وإنه لأعلى وأعلى، والبدري صورة، والبدرني سعراً، وإن محله لأجل وأعلى^(٢).

كان، خلد الله سلطانه، عظيم الوجه والوجه، مُزهر اللون فدونه الزهرة والحيه، غليظ المنكبين، مُخزّزَم العينين. تام القامة، لم يزل عليه للسلطنة علامة، مُهاب الشخص، لا يرى المُتبع في تمام خلق الله فيه من نقص. ارتجفه السلطان السعيد الشهيد الملك الصالح / ١٤ / نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب. واختصه لنفسه، واختاره لعظيم جنسه، وأدّخه ليومه من أمسه، وخدس فيه وراثته المُلك فما خاب في خدبه. وكبر في دولة الملك الصالح المذكور على صغر سنّه، وظنّ فيه خيراً فكان عند حسن ظنّه.

ولما توفي السلطان الملك الصالح إلى رحمة الله صارت خُوجداشيه^(٣) له تبعاً، والتفتوا عليه مُقتدين به فلا يقفون إلا إن وقف ولا يسغزون إلا إن سعى.

وقامت شجر الدر^(٤) أم خليل بعد سيدها الملك الصالح وهو على حاله

(١) الصواب: «أربع عشرة».

(٢) الصواب: «وأعلى».

(٣) خوجداشيه = خوجداشيه = خشداشيه = فارسية مُعزّبة من: خوشدش بمعنى الزميل في الخدمة. ولقب الأمراء المسالك الذين نشأوا عند سيّد واحد بالخشداشيه. (معجم الألقاب والمصطلحات التاريخية ١٦٢) ويقابلها في الفرنسية: Camarades.

(٤) سنائي مصادر ترجمتها في أواخر الكتاب.

من التعظيم، واستولى الفارس أقطاي حُوجداشه وهو عنده في غاية التبجيل والتكريم.

وملك الملك المُعزَّ عز الدين أيتك^(١) التُركماني الجاشنكير^(٢) الصالحى وهو عنده بأعلا^(٣) رُتبة، وأسمى هُضبه. وصار المُلك لولده قاقان وهو بالمخل الأسنى من دولته، والمكانة العُظمى من مملكته.

وإلى الملك المظفر سيف قُطر^(٤) / ب / المُعزى وهو المشار إليه، والمُعول في عقد المشور وحله عليه. وما من خُشداشيتته إلا من اعتقل، وعن رُتبته من التعظيم إلى ما ينافيه نُقل. إلا مولانا السلطان فإنه لم تمتد إليه يد انحطاط قدر في دولة من هذه الدُول. ولا تخلل عظم قدره خلل. بل لم يزل أميراً يُستشار، وكبيراً إليه يُشار.

ثم جاءت دولة السلطان الملك الظاهر رُكن الدين بَينرس^(٥) الصالحى، فأخذه بكلثى يديه، واعتمد في استقرار مُلكه عليه، وجعله رأس مشورة، وخير مبدئه ومبتدا خبره. واعتمد معه ما لم يعتمد عليه ملك مع أمير، ولا سلطان مع مُشير.

ذِكْر الأمور التي اعتمدها الملك الظاهر معه

منها: إنه لم يقدّم شيئاً عند تمام مُلكه على تكثير عدد إمرته، وأجناد رُتبته، وجودة أقطاعه، وتوفير جملة أرزاقه المناسبة لكثرة / ١٥ / أتباعه، وقدمه على المِئين^(٦)، واعتمد منه على القويّ المكيين. وأنزله منه منزلة الشقيق، والصديق الشفيق.

(١) أنظر: التور اللانج، لابن القيسراني - بتحقيقنا - ص ٥٦ هـ طبعة دار الإنشاء، طرابلس ١٩٨٢.

(٢) الجاشنكير: لفظ فارسيّ معناه: متذوق الطعام. أطلق في العصر الأيوبي واستمرّ حتى العصر العثماني على المتحدث على مأكول السلطان وشرابه والمسؤول عن سلامته وخُلوّه من السُوم، وأصبح من أخصّ موقّتي قصر السلطان: (حدائق الباسمين لابن كنان - ص ١٣٢).

(٣) الصواب: «بأعلى».

(٤) هو الثالث من ملوك الترك بالديار المصرية. استولى على السلطنة في سنة ٦٥٧ هـ. وقتل في سنة ٦٥٨ هـ. وستأتي مصادر ترجمته في موضعها من الكتاب.

(٥) هو الرابع من ملوك الترك بالديار المصرية. استولى على السلطنة بعد مقتل قُطر. في سنة ٦٥٨ هـ. وبقي حتى توفي سنة ٦٧٦ هـ. وستأتي مصادر ترجمته في موضعها من الكتاب.

(٦) كتبها في الأصل: «المئين».

ومنها: إنه تولّى أمر زواجه بنفسه، واختار له من يناسب علو جنسه. وكان من أمراء دولة الملك الظاهر (الأمير)^(١) سيف الدين كرمون، وكان هذا المذكور من مقدمي ثمانات^(٢) التتار في أيام هولاكو (لعنه الله)^(٣) وأجلّهم عنده قدراً، وأكبرهم إمرأة وأمراً. وألحقهم بعظمه، وأوسمهم بوسمه. فقصد المذكور دار الإسلام، ووفد على الملك الظاهر بوجوه وضاح وثر بسام. فتلّقاه بما يليق بمثله، وأجلّه بما يناسب عظيم محلّه. وجعله من أكابر أمراء الطبلخانات وراى لعظم قدره وقُدومه، فوفّر لديه جِسان الحسنات، فرأى الملك الظاهر أن يناسب، فخطب لمولانا السلطان إبنه المذكور مُشافهاً بِخُطبة خطبتها، مُواجهاً لأبيها من غير واسطة، مُردداً شريف نسبته ونسبتها، فأجاب، / هـ ب/ ولدعاء رغبته استجاب. وقرّر بنفسه معه مَهْرها، وحمله من ماله عنه. ورأى أن ذلك تفضلاً من مولانا السلطان لأمته. ثم أمر مولانا السلطان بمنظرة الشرف الأعلى المعروفة بالكِبش فهُيئت^(٤)، وبأحسن الزينة زُيّنت. وبفساقيها فُمِلّت^(٥) جلاباً. وبنواحيها فُشِجنت شراباً. ووُقِدَت قَرَمُ العود، وفتنت أكر العنبر فكان إلى السماء ما لدُخان من الصعود. ورشّ الناس بالماوزد المطيب بالمِسك إلى أن ضُمخت أردائهم، ودارت هَبَائِثُ المخلوطات من العطريات إلى أن شملت ولم يُخَصّ بها أعيانهم، ووقدت الشموع في كثرتها، وعُيِي السكريحُ أهراماً فراقت بهجتها. كل ذلك من مال مولانا السلطان (بمباشرة)^(٦) غلمانه وأمتاداريتّه^(٧). وحضرت القضاة والقراء والوعاظ والمدرسون^(٨)، وتمّ العقد على أحسن الصُور.

ومنها: إنه لما عزم مولانا السلطان / ١٦ / على الدخول بهذه الزوجة أمر الملك الظاهر بضرب دهليز تحت قلعة الجبل بسوق الخيل يوم العرس، ومُدّ فيه سِمَاطٌ من

(١) كُتِبَ فوق السطر.

(٢) ثمانات = طُمانات، مفردها: ثُمان: أو طُمان، وهو القائد على عشرة آلاف رجل.

(٣) عن الهامش.

(٤) في الأصل: «فهمت».

(٥) في الأصل: «فملت».

(٦) عن الهامش.

(٧) الإسندار = أَسْتَدَار: من الأصل الفارسي: أستاذ، أو أستاذ. وهو المعلم أو العالم القدير في العلم أو الفن. دخلت منذ العصر العباسي، وتغيّر معناها حتى أصبح في عصر المماليك لقباً للأمير المسؤول عن رعاية بيوت السلطان وشؤونه الخاصة. (حدائق الياسمين ١٣١).

(٨) في الأصل: «المدرون» وهو سهو.

مال الملك الظاهر. وحضرت الأمراء على طبقاتهم، وجاءت التقادُمُ بأمر الملك الظاهر على قدر نفوسهم وهِماتهم، لمولانا السلطان قبلها، وبالْجَبَر استقبلها. ومنها: إصطفاء الملك الظاهر له بأن جعله نَسَباً وصِهْراً، واختيار جهته^(١) لولده الملك السعيد بركة قان إذ كان به أذْرَب وأزْرَى^(٢).

ذِكْر الصورة في زواج السلطان الملك السعيد بجهة^(٣) مولانا السلطان

لما عهد الملك الظاهر لولده المذكور بالْمُلْك والسلطان، وعَوَّل عليه في كفالة الرعية لِمَا تَوَسَّه فيه من العدل والإحسان. وَتَمَّت بَيْعَتُهُ، وسارت سَمْعَتُهُ. وحلَفَتْ له العساكر مصرأً وشاماً، وأعمل شياغ البيعة فيه / ٦ب/ أَلْسِنَةً وأَقْلَاماً. رأى الملك الظاهر أن يُخَصِّنَه بالزواج، ويُحَسِّنَه بِخُسْنِ الازدواج، واستخار الله له فخار، ودلَّه على من لا فوق فَخَّارَه فخار. وهي جهة مولانا السلطان فخطبها بأحسن خطاب، ودعا صلتها بأنَّم عائدٍ من سفرائه فأجاب، ولما حصلت الإجابة، وصادف الرأي الإصابه. وهَيَّا الإيوانَ الكبير الذي بقلعة الجبل المجاور لجامعها كما وصفناه، وعُيِّنَتْ فيه قصور الذهب والفضة. والذهب المعرَّم في الأطباق للشار، وحضر الملك الظاهر والأمراء والقضاة كما وُصِف.

وكان كاتب الصِّداق الصاحب محيي الدين عبد الظاهر خالي. ونُسِخَتْهُ من إنشائه، رَحِمَهُ الله، وكان من أَجَلِ الْكُتَّاب، وأَبْلَغُ ذَوِي الْآدَاب، (وأفصح أرباب الخطبة والخطاب)^(٤). ومن عُشِّهِ دَرَجَتْ، ومن بين يديه تخرَّجَتْ. وهو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله موفق الآمال لأسعد حركه، ومُصَدِّقُ الْفَال لمن جعل / ١٧/ عنده

(١) الجهة: الزوجة، وهو لفظ يُطلق على الحريم السلطاني.

(٢) كان عقد النكاح يوم الخميس ١٢ من ذي الحجة ٦٧٤ هـ. أنظر عنه في: تاريخ الملك الظاهر ١٣٤، ١٣٥، والروض الزاهر ٤٤٩ هـ ٤٥٢، وخُسن المناقب، ورقة ١٤٠ أ، والسختصر لأبي الفداء ٩/٤، ونهاية الأرب ٢٢٣/٣٠ - ٢٢٧، والدرّة الزكية ٧١٧، وذيل مرآة الزمان ٣/١١٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٢٣، والبدایة والنهایة ١٣/٢٧٠، والجوهر الثمين ٢٨٠، وعبود النواريح ٢١/٧٥، والسلوك ج ١ ق ٢/٦٢٣. وعقد الجُمان (٢) ١٤٦ - ١٤٩، والنجوم الزاهرة ٧/١٦٥، وتاريخ ابن سبط ١/٤٤٠، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/٣٣٥ (سنة ٦٧٣ هـ).

(٣) كُتِبَتْ فوق المسطر. (٤) عن الهامش.

أعظم بركه، ومحقق الإقبال لمن أصبح نسيبه سلطاناً وصهره مُلكه. الذي جعل للأولياء من لدنه سلطاناً نصيراً، وميز أقدارهم^(١) باصطفاء تأهيله حتى جازوا نعيماً ومُلْكاً كبيراً. وأفرد فخازمهم بتقرب^(٢) حتى أفاد شمس آمالهم ضياءً^(٣) وزاد قمرها نوراً، وشرف به وُضِّلَتْهم حتى أصبح فضل الله بها عليهم عميماً وإفضاله كثيراً^(٤). مُهَيِّئاً أسباب التوفيق العاجلة والآجلة، وجاعل^(٥) ربوع كل أملاك من الأملاك بالنور من الشمس^(٦) والبدور والأهلة أهلة. جامع أطراف الفخار لذوي الآثار^(٧) حتى حصلت لهم النعمة الشاملة، وحلّت عندهم البركة الكاملة.

نحمده على أن أحسن عند الأولياء بالنعمة الاستيداع، وأجمل بتأقلهم^(٨) الاستطلاع، وكمل لاختيارهم الأجناس من العزّ والأنواع، وأتى^(٩) آمالهم بما لم يكن في حساب أحسابهم من الابتداء بالتحويل والابتداء.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له / IV / (شهادة حسنة الأوضاع، مَلِيَّةٌ بتشريف الأليسة وتكريم الأسماع)^(١٠)، ونصلي على سيدنا محمد الذي أعلا^(١١) الله به الأقدار، وشرف به الموالي والأصهار. وجعل كرمه دار النعم في كل دار^(١٢)، وفخره على من استطلعه من المهاجرين والأنصار، مشرق الأنوار، صلى الله عليه وعليهم صلاة زاهية الأزهار. يانعة الثمار.

وبعد، فلو كان اتصال كل شيء بحسب المتصل به في تفصيله، لما^(١٣) استصلح البدر شيئاً من المنازل لحُلُوله، ولا الغيث^(١٤) شيئاً من الرياض لهطُوله،

(١) في حُسن المناقب، ورقة ١٤٠ ب: «ومشيراً قد أثرهم باصطفاء».

(٢) في حُسن المناقب، ورقة ١٤٠ ب: «فخاره بتقريبه».

(٣) في الأصل: «ضيئاً».

(٤) في حُسن المناقب: «حتى أصبح فضل الله عليهم بها عظيمًا وإفضاله كبيراً».

(٥) في حُسن المناقب: «وعاجل».

(٦) في حُسن المناقب: «من الأملاك للشمس».

(٧) في حُسن المناقب: «الإيثار».

(٨) في حُسن المناقب، ورقة ١٤١ أ: «وأجمل لتأملهم».

(٩) في حُسن المناقب: «التي».

(١٠) ما بين القوسين ورد في: حُسن المناقب.

(١١) الصواب: «أعلى».

(١٢) في حُسن المناقب: «وجعل كرمه داراً لهم في كل دار».

(١٣) في حُسن المناقب: «لم».

(١٤) في حُسن المناقب: «لنزوله ولا كعيت».

ولا الذَّكْرُ الحكيمُ لساناً من الألسنة لترتيله^(١). لكن، ليتشرف^(٢) بيت يحل به القمر، وثبت^(٣) يزوره المطر، ولسان يتعوذ بالآيات والسُّور^(٤). ولذلك تجملت برسول الله ﷺ أصهاره من أصحابه، وتشرفت أنسابه^(٥) بأنسابه، ونزَّج ﷺ منهم وتمت لهم مزية الفخار، حتى رضوا عن الله ورضي (الله)^(٦) عنهم. والمرتب على هذه القاعدة (إفاضة)^(٧) نور يشهده^(٨) الوجود، وتقرير أمر (/ ١٨ /) يقارن سعد الأخبية (منه)^(٩) سعد السعود، وإظهار خطبة تقول الثريا لانتظام^(١٠) عُقودها: كيف، (وإبرام وصلة يغبط السيف المجوهر بها كل سيف. ونسج ضهارة يتم بها إن شاء الله كل رأى سديد)^(١١)، ويتفق بها (كل)^(١٢) توفيق تخلق الأيام^(١٣) وهو جديد، ويختار لها (خير طالع وكيف لا يختار من الطوالع السعيد. وذلك بأن مراسيم من هو مُفترض الطاعة أرادت تخص أكبر الأولياء بالإحسان المبتكر، وتفرد بالموهبة التي رُهب بها منه الحَدَّ المنتضى ويعظم الجدَّ المنتظر. وأن يرفع من قدره بالمصاهرة مثلاً رفعه النبي ﷺ بالمصاهرة من قدر صاحبيه وظهيره أبي بكر وعمر)^(١٤). فخطب إليه أسعد البرية، وأعز من تحميتها^(١٥) السيوف المشرفية،

(١) في حسن المناقب: «لتنزيه ولا الجوهر الثمين شيئاً من التيجان لحلوله».

(٢) في حسن المناقب: «ورقة ١٤١ ب «يتشرف».

(٣) في حسن المناقب: «بيت».

(٤) زاد في حسن المناقب: «وَنُضَارٌ يَتَجَمَّلُ بِاللَّائِي وَالذُّرَى».

(٥) في حسن المناقب: «أنسابهم».

(٦) لم يرد لفظ الجلالة في حسن المناقب.

(٧) عن الهامش، وحسن المناقب.

(٨) في حسن المناقب: «بشهمده».

(٩) كتبت فوق السطر.

(١٠) في حسن المناقب: «بالانتظام».

(١١) في حسن المناقب: «وإبراز وصلة يترصع جوهرها متن السيف الذي يغبطه على إبداع هذه الجوهرية

كل سيف، وتتج صهارتهم بها إن شاء الله كل أمر سديد».

(١٢) عن الهامش، وحسن المناقب.

(١٣) في حسن المناقب: «الأنام».

(١٤) في حسن المناقب، ورقة ١١٤٢: «أبرك طالع وكيف لا تكون البركة في ذلك الطالع، وهو السعيد،

وذلك بأن المراحم الشريفة السلطانية أرادت أن تخص المجلس السامي الأمير فلاناً بالإحسان

المبتكر، وتفرد بالمواهب التي يهدف بها الحد المستضي ويعظم الجد المنتظم. وأن ترفع من قدره

بالمصاهرة مثل ما رفعه ﷺ من قدر صاحبه أبي بكر وعمر».

(١٥) في حسن المناقب: «وأمتع من تحميتها».

وأجل^(١) من يسبل (عليها سُور الجلالة الحفية)^(٢)، وتتجمل بئعوتها العفود، وكيف (لا)^(٣) وهي الدرة الألفية، فقال (المخطوب إليه)^(٤): هكذا تُرفع الأقدار وتُزَان، وهكذا يكون قرآن السعد وسعد القرآن^(٥). وما أعظمها معجزة ٨ب/ أتت الأولياء من لَدُنْهَا سلطاناً، وزادتهم مع إيمانهم إيماناً. وما أفخرها صهارة يقول التوفيق لسُرعة إبرامها^(٦): ليت، و (ما)^(٧) أشرفها عُبُودِيَّة كَرَمَت سَلَمَانِهَا بأن جعلته من أهل البيت. وإذ قد حصلت الاستخارة في رفع قدر^(٨) المملوك، وخصصته بهذه المزية التي تنقاصر^(٩) عنها آمال أكابر المملوك. فالأمر لولي النعمة^(١٠) في رفع درجات عبده كيف يشاء، والصدق^(١١) بما يتفوه به هذا الإنشاء، وهو.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب مبارك تحاسدت رماح الخطِّ وأقلام الخطِّ على تحريره، وتنافست مطالع الأنواء^(١٢) ومشارق الأنوار على إبداء^(١٣) مسطوره، فأضاء نوره^(١٤) بالجلالة فأشرق، وهطل نؤه بالإحسان فأغدق. وتناسبت فيه أجناس تجنيس الفضل فقال الاعتراف: هذا ما تصدق. وقال العرف: هذا ما أصدق. واحتفل بأمر هذا الكتاب أتم احتفال، واختير له أتم طوابع اليُمن والإقبال. وكانت الوزارة / ١٩ / يومئذ

(١) في حُسن المناقب: «وأعز».

(٢) في حُسن المناقب: «لها سول الصُور الخفية، وتضرب دونها خدود الخلال الرضية».

(٣) كُتبت فوق السطر، وكتب في حُسن المناقب بعدها: «وكيف لا».

(٤) في حُسن المناقب: «فقال والدها».

(٥) زاد في حُسن المناقب بعدها: «وما أسعد روضاً أصبحت هذه المراحم الشريفة السلطانية له خيله، وأشرف سيفاً غدت منطقة البروج سماها له حميله». (ورقة ١٤٢، ب).

(٦) في حُسن المناقب، ورقة ١٤٢ ب: «يقول التوفيق لإبرامها».

(٧) ساقطة من حُسن المناقب.

(٨) في حُسن المناقب: «في قدر رفع».

(٩) في حُسن المناقب: «تنقاصرت».

(١٠) في حُسن المناقب: «فالأمر لمليك البسيطة».

(١١) في حُسن المناقب: «والصدق».

(١٢) في حُسن المناقب: «النوار».

(١٣) في حُسن المناقب: «على نظم».

(١٤) حتى هنا ينتهي ما في حُسن المناقب من الخطبة.

معدوقَةً بالصاحب الوزير بهاء الدين (علي بن) محمد، وكان ممن أعطى المنصب حقه وزاد، وظهر من القُعدُد في صورة جرى فيها على المؤلف من قُعدُد الوزارة المعتاد. فقام بشروط هذا العقد أتم قيام، وأمر بحضور القضاة والحُكَّام، والأمراء ذوي النقص والإبرام، والقراء والوعاظ، وكاد لكثرة جمعهم أن يضيق بهم ما للملك من سعة المقام. وكان قد وقع الاختيار على قراءته، وتمام عقده عند صلاة الفجر على ما اقتضاه الطالع، فلم يتفق أن قرأه إلا بعد الإسفار، وتبلج وجه النهار، وما كان إلا ما سرّ، وما ضرّ، ولا خولفت عادة السعد بمخالفة الطالع، بلا خلا استحلا تلك القصور في ضوء الشمس وإن ذهب وقت الاختيار ومرت.

وكنْتُ حاملَ هذا الكتاب إلا أنني حظيْتُ واسترحتُ بما نابني من عموم فضله، ووصلني به الصدر محيي الدين من صلته، وما زلت مُنصوباً إلى سابغ ظله. واقتضى لي التدريب في صنعة كتابة / ٩ب / الإنشا أن أجرب القريحة، وقد كانت من دأب الكذ إذ لم أكن بعد تعلقت بخدمتهم مُستريحة، أن أنشئ^(١) مثال ما أنشئ في هذا المعنى فأنشأت:

الحمد لله الذي أَلَف بين الخُلبات من القدم فأحسن التأليف، وعازفَ بينها بما فُذر من الأزل فلم يكن عن نُكرة ذلك التعريف، مُنوّه من اجتباه حُسن الاختيار من حيث لا يحتسب، ومخوّل من اصطفاه من غدا به يزداد شرفاً به حين ينتسب. ومُعلي مكانة من خُوطب بما لم يكن في أمله من الصّهاره حين خُطب، ومُريذه بأهلية التأهل تنويهاً إلى تنويهِه، ومُتمّ نعمة من أخفق على رأسه لواء الحمد تنبيهاً إلى تنبيهِه. جاعل وسيلة النكاح إلى مزية القرب أتمّ وسيلة، وصلته بعائد علو الذي ما زال يوضح سبيله. نحمده على حُسن تأهيله، وتضاعف مجده وتأييله. ومزية قُربه وقُرب مزيته، وصلاح تمامه وتمام صلاحيته. / ١٠أ / وتهينة أسبابه وأسباب تهينته^(٢).

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة (من حكم له)^(٣) صحيح الاعتقاد البادي من خُلوص خطابه، وقضى له توحيدُه بجزيل ثوابه. الذي يجد نفعه إذا تدبّر الفردوس وتوى به.

(١) في الأصل: «أنشأ».

(٢) في الأصل: «تهينته».

(٣) عن الهامش.

ونشهد أَنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ، الذي بعثه الله بما بهر به الألباب، وهدى به الأمة إلى شريفِي السُّنة والكتاب. صلى الله عليه ما أذلَّهُمْ ظلامٌ وانجاب. وعلى آله وصحبه السادة الأنجاب. وسلَّم تسليماً كثيراً.

وبعد. فَإِنَّ توخِّي المناسبة فيما يعزم عليه اللبيب أوَّلَى وأتم، وملاءمة ما فيه مشاكلة عند ذوي حُسن النظر من الأمر الأهم. ثم ولا شبهة ولا ريبة أَنَّ الجنسية علةُ الضمِّ. ومن رأي أرباب العقول التخيّر للتخطف، وصرف الهمة إلى الأليق وما كلٌّ من صَرَف صَرَف. ومن سداد ذوي النقد أن لا تجعل واسطة عقدها إلا الدرة المتنافس في اقتنائها، والثمرة الزكية الأصل واجتنائها، وأن لا تودع الدُرَّةُ إلا عند حافظها الأمين، ولا / ١٠ب / يناول كتاب مجد مجدها إلا لمن تناوله باليمين. ولا يؤهل لها إلا مَنْ وَمَنْ، ولا يُعَوَّل في تلبسها إلا على من هو عند حُسن الظن. وكان من اللطف من اختاره الله لبلاده وعباده، وملَّكه أقصى طارق المُلك وتلاده، وحكَّمه في رقاب الأمم، وبسط لسان حكمه في العرب والعجم، وفتح به ما استغلق من الحصون، وأباح بعزائمه من أرواح أعداء الله كلَّ مَضُون. وسير ذكر عِظَم سلطانه في الأرض مثلاً، وأوضح برُعب سَطَواته سُبلاً فسبلاً. وأحمد به ثائرة الطُغَيان، وأطفأ نائرة ذوي البغي والعدوان. وشاء الله فجعل بغزوة الناس أمةً واحدة، وحقق عندهم أَنَّ الدين عند الله الإسلام فعَدَّت بعظمته ما بين راكمه وساجده، مولانا السلطان الملك الظاهر السيّد الأجل، العالم، العادل، المؤيد، المظفر، المنصور، ركن الدنيا والدين، خَلَد الله ملكه مدى الأيام، وأسس قواعد ملكه على إحكام التشييد وتشييد الأحكام. / ١١ب / ملك أنسى اللهُ بزمانه كل زمان، وأذلَّ بعزائمه من لم يَدِنْ وَمَنْ دان. وبسط يده فَدَهَم الأعداء بما لم يكن لهم به يدان. وصوّب رأيه في كلِّما يأتي وَيَذَر، ولا شبهة في أَنَّ الملوك نقيّة الأذهان. ولا كذهنه الخارق، وحُدسه الصادق، وفكره الفائق الرائق. ولما كان بهذه المثابة من حُسن النظر، وهذه المكانة من شريف التأثير والأثر، أنعم النظر لولده ولِيّ عهده، والكافل الرعية لا أناط الله بعده من بعده، مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدنيا والدين، أمتع الله (من)^(١) وكلَّ منهما بالأسد وشبَّله، والفرض ونفَّله، والسيّد ونجَّله، في جهة^(٢) يُودِعُها ما تُنتجُه السلطنة من مقدمات نسله

(١) عن الهامش.

(٢) الجهة: الزوجة. وتُطلق على حريم السلطان.

الطاهر، ونجّله الزاهر، فعمد إلى أكبر أمراء دولته، ورُعماء مملكته، ورأس مشوره، وواسطة عقد دُرره، وأجلّهم نوعاً وجنساً، وأكثرهم بسلطنته الشريفة أنساً، وأتمهم صورةً ومغنى، وأعمرهم قلباً ومغنى. وأجلّهم خلقاً وخلقاً، / ١١١ / وأشرفهم صداقةً وصداقاً. وأعلامهم من سلطنته محلاً، وأمضاهم سيفاً، وإذا كانت السيوف عاطلة كان هو السيف المخلّ^(١)، بجواهر اصطفاة، وأحسن السيوف ما كان مُحلاً، وهو فلان، فخطب إليه عقيلته التي دلّ شرف إبائها وآياتها، المتلمّحان (بما لحسن النظر)^(٢) في ثخانة خباياها. في أحسن الصُور، المُحجّبة حتى عن الشمس و «الشَّمْسُ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ»^(٣). وركن إليه فيها وإن لم تتساوى^(٤) الرُتب، وعول عليها وإن سَمَتْ (سلطنته)^(٥) عن خطبة أمره من إليه خطب. وهل من أحصر كمن بثّ حديث الفخار فأحسن ثأً وبثاً، ثم وَلَيْسَ الذَّكْرُ - (كما في مُحكم التنزيل) - كالأُنثى^(٦) إِلَّا أَنَّ هَذِهِ قَارَبَتْ وَقَارَنْتَ، وَعَيَنْتَ وَعَايَنْتَ، وَأَذَنْتَ وَأَذِنْتَ، وَأَهَلَّتْ وَأَهَلَّتْ. ولا شُبهة في أن البيت بساكنه، والجوهر بخُسن معادنه، والثوب بلباسه، والنور بقباسه. والجواذ براكيه، والسيف بضاربه، والقلم بكاثيه. والمكتوب إليه بمكاثيه، واللواء بعاقده، والذّرّ بناقده، والعقد بشمينه، والذِكر الحكيم / ١١٢ / بمُبينه. والقوم بباريها، والكتيبة بمُباريها.

وقد اقتضى هذا التفصيل جملة هذا التفصيل، وهذا التفريع إجلال هذا التأصيل، وهذا البُكور إمتاع هذا الأصيل. وليس بأول مملوكٍ رفع مالكه لا بل ملكه من قدره، ولا بأول مأمورٍ نوّه أمره من ذكره. والأقدار على قدر مُغليها، والقيمة بحسب مُغليها، والهدايا على قدر^(٧) المهداة إليه في هذا المحلّ ولا أقول مُهديها. وحين جرت الصدقات السلطانية على مألوف دُرر اقتنائها وإلفيها، ومعهود عهاد سُحب إندامه الدّارة في كلّ دار ووليها. أن يَتَلَّى ما يقضي بنفي التحريم بما للتحليل من إيجاب. وأن يجعل بسم الله الرحمن

(١) هكذا، والصواب: «المخلّي».

(٢) عن الهامش.

(٣) اقتباس من سورة يس، الآية ٤٠ «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ».

(٤) كذا، والصواب: «لم تتساوى»، والجملة مشوشة في الأصل.

(٥) عن الهامش.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٣٦.

(٧) كُتِبَ فوقها: «مقدار» بين السطرين.

الرحيم فاتحة هذا الكتاب، السعيد السعيد، وما زالت فاتحة أم الكتاب .

[مكاتبه صاحب قيسارية الروم للظاهر بيبرس]

ونعود إلى ما كتأ فيه من أحوال مولانا السلطان فنقول :

واستمرت هذه الصهارة، وكانت على مال^(١) الملك إلى مولانا السلطان أتم أماره .

واتفق ما اتفق^(٢) من دخول الملك الظاهر قيسارية (الروم)^(٣) بمكاتبات إليه من معين الدين سليمان البرواناه^(٤) النائب بها ومراسلات وتوصلات وتوصلات، وتحيلات وتنصّلات، فإن البرواناه هذا أنف التتار، وأراد من جُورهم الفرار، ولاذ بظل الإسلام وبملكه استجار . وأراد أن يكون من المهاجرين عندما تُوافيه الأنصار . وتردّدت منه المكاتبات، ولانت (منه)^(٥) بالمسكنة المخاطبات . فحملها الملك الظاهر على أهوالها، وأقدم، ولم يفكر في (عقبى)^(٦) تغريراته ولا سوء مآلها فعزم، وبما ألزمه البرواناه من إنجاده التزم .

وقصد الشام بعساكر لو نزلت على الرمال لكثرتّها، أو الجبال لكورتّها . فإنه - رحمه الله - كان حسن النظر في أمر عساكره مُبداً له بالأنعام، مُدبراً أرزاقهم إلا أنه الإدارار العام .

وكان مولانا السلطان أمام جيشه يقدمه بأنوار طلعتة، ويهديه وكفى بالمطايا في الإدلاج توقّد أشبعتّه . فحين وصلوا إلى / ١٣ / الفرات شاهدوا من ذلك البر جمعاً من التتار، وشرذمة تكون عشرة آلاف من المُغل الكفرة الفُجار . فلم يلبث مولانا السلطان أن رمى بنفسه مُقحماً إلى هؤلاء التتار، قول ذلك التتار . ونبغته العساكر والملك الظاهر في الساقه، فوجدوا القوم قد استعدّوا للنضال صمى النضال، فحمل مولانا السلطان عليهم أولاً وثانياً، وكزّ وما فرّ، فيكون لعنان العنان

(١) هكذا في الأصل : ولا معنى له . والصواب : «وكانت علامات الملك» .

(٢) في الأصل : «واتفق ما اتفق» .

(٣) كُتبت فوق السطر .

(٤) هو سليمان بن علي، قُتل في أواخر سنة ٦٧٥ هـ . أنظر عنه في : تالي وفيات الأعيان ٩ ، ٨٠ ، رجم ١٢٠ .

(٥) كُتبت فوق السطر .

(٦) عن الهامش .

ثانياً. فجدلوا القوم عن آخرهم صرعى، وكانت النصرة بمولانا السلطان بحق أوليته عقلاً وشرعاً.

ثم جَدَّ الملك الظاهر في السير في خراب من البلاد، وعدم أقوات لا تثبت معها القوات لعدم الطارف والتلاد. ولم يَزَلْ إلى أن دخل قيسارية الروم، وبلغ منها المروم. وجلس على كرسي آل سلجوق، وخُطِبَ باسمه على منابرهما من غير عائق يعوق، وملكها ملك يمين، وتحكَّم فيها تحكُّم من لو شاء لَقَطَعَ مَنْ بها الوتين. إلا أنه أبقى أهلها على ما هم عليه، /١٣ب/ وخرج منها وعيْنُهم منطلعة إليه. وكلُّ ذلك برأي مولانا السلطان الذي ما خاب مستشيرُهُ، وقوَّة جأش جيشه الذي ما خذل به أميره.

وأما ابن البروانه فإنه لم يفِ بقوله، ولا ثَبِتَ لورود العسكر المصري وهُزِلَ. ورأى أن السلامة في ذهابه، وحَسِبَ حساباً فجاء حساب الزمان غير حسابه. فخرج منها قبل ورود العساكر الإسلامية خائفاً يترقب، وصار من المذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء بما أساء إلى كُلِّ وأذنب^(١).

[وفاة السلطان الظاهر بيبرس]

وعاد الملك الظاهر إلى دمشق كما بَدَى^(٢)، وسلك طريقه في استشارة مولانا السلطان التي وَجَدَ عليها هدى. فحلَّ بدمشق وقد حَلَّتْ مَنِيَّتُهُ، وخابت في البقاء أُمِّيَّتُهُ. فمرض أياماً قلائل، ودرج بالوفاة إلى رحمة الله تعالى^(٣).

(١) كان فتح قيسارية الروم في سنة ٦٧٥ هـ. أنظر عنه في: حسن المناقب، ورقة ١٤٣ ب هـ ١٤٤ ب، وتاريخ الملك الظاهر ١٥٧ و ١٧٥ و ١٧٧، والروض الزاهر ٤٥٣ - ٤٧١، وتاريخ مختصر الدول ٢٨٧، ٢٨٨، وتاريخ الزمان ٣٣٥، ٣٣٦، والمختصر في أخبار البشر ٩/٤، ونهاية الأرب ٣٠/٣٥٤ - ٣٥٧، وذيل مرآة الزمان ٣/١٧٠، والدرة الزكية ١٩٣، ١٩٤، وزبدة الفكرة، ج ٩/ ورقة ١٨٤، ب، والمختار من تاريخ ابن الجوزي ٢٨٥، ودول الإسلام ١٧٦/٢، والعبر ٥/٣٠٥، ومرآة الجنان ٤/١٧٤، والبداية والنهاية ١٣/٢٧١، ٢٧٢، وعيون التواريخ ٩٣/٩٤، ١٠١، وتالي وفيات الأعيان ٥١، والجوهر الثمين ٢/٨٠، وتاريخ ابن خلدون ٥/٣٩٢، والسلوك ج ١ ق ٢/٦٢٠ - ٦٣١، وعقد الجمان (٢) ١٥٩ - ١٦٢، والنجوم الزاهرة ٧/١٧٠ - ١٧٣، وتاريخ ابن سباط ١/٤٤١، ٤٤٢، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/٣٣٨، وتاريخ الأزمنة ٢٥٣.

(٢) هكذا في الأصل. والصواب: «بدأ».

(٣) توفي السلطان الظاهر يوم الخميس ٢٩ من محرم سنة ٦٧٦ هـ. أنظر عنه في: حسن المناقب، ورقة ١٤٤ ب، وتاريخ الملك الظاهر ٢٢٢ وما بعدها، والروض الزاهر ٤٧٢ وما بعدها، والمقتضي =

[سلطنة الملك السعيد ولي العهد]

فقام مولانا السلطان بعده بخُسن الخلف، وأخفى أمر وفاته /١١٤/ حتى كاد (أن) يخفيها عن نفسه، وأظهر عن الخروج عن عهد الملك السعيد غاية الصلَف. ولم شمل العساكر المنصورة، والخزائن المعمورة. وأحضر الجميع إلى الديار المصرية مؤجماً أنَّ الملك الظاهر مريضاً^(٢) وفي محقة استصحابها، وأمور كتمانيتها رتبها، وأخلاق شرسية من ذوي التفقر بهيته هذبها.

ولما استقرَّ شعار الملك بقلعة الجبل أخذ في تجديد اليمين للملك السعيد فجذدت، وفي تأكيد أسباب ولاية عهده فأكدت. وأحلَّه منه محل الولد، ورعى فيه وصية والده نأوياً أن لا ينقضها طول الأبد. وهاب مولانا السلطان من في قلبه مرض، وخافه من عرض له بعد وفاة الملك الظاهر غرض.

واستقرَّ الملك السعيد سلطاناً مطاعاً، وملكاً مُراعى.

[خروج الملك السعيد إلى دمشق لمواجهة التتار]

وأخذت أخبار التتار تقوى، ووارداتها تزداد من ذوي السر في المكاتبات والنجوى. وتحقق أنَّ سائرهم إلى البلاد سائر، (مكافأة)^(٣) وحنقاً على خفية نكايه

= للببرزالي ١/ ورقة، وتاريخ مختصر الدول ٢٨٨، وتاريخ الزمان ٣٣٦، ٣٣٧، والنور اللانع ٥٦، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ١٠، ١١، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٦٥ - ٣٦٨، وتالي وفيات الأعيان ٤٩ - ٥١ رقم ٧٩، وذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٣٩ - ٢٦٢، والدرة الزكية ٢٠٨ - ٢١٨، والحوادث الجامعة ٣٩٢ - ٣٩٤، والمختار من تاريخ ابن الجزري ٢٩٣، ٢٩٤، ودول الإسلام ٢/ ١٧٧، والعبر ٥/ ٣٠٧، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٦٧، ٣٦٨، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٤، ٢٢٥، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٧٤ - ٢٧٦، وفيات الوفيات ١/ ٢٣٥ - ٢٤٧، وعيون التواريخ ٢١/ ١٣٢ - ١٣٥، ١٤٥، ومرآة الجنان ٤/ ١٧٥، والوافي بالوفيات ١٠/ ٣٢٩ - ٣٤٨ رقم ٤٨٤١، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٩٣، ومآثر الإنافة ٢/ ١٠٦، ١٠٧، والسلوك ج ١/ ٢ - ٦٣٥، ٦٤١، وعقد الجمان (٢) ١٧٤ - ١٨٤، والمنهل الصافي ٣/ ٤٤٧ رقم ٧١٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٤ وما بعدها، وحسن المحاضرة ٢/ ٩٥، وذرة الأسلاك ١/ ورقة ٥١، ٥٢، وتاريخ ابن سبط ١/ ٤٤٦ - ٤٥٥، وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٠، والدارس ١/ ٣٤٩، والجوهر النمين ٣/ ٧٩، ٨٠، وتاريخ الأزمنة ٢٥٤، وبدائع الزهور ج ١ ق ١ج ٣٣٨ - ٣٤٢، وأخبار الدول ١٩٨، ١٩٩، وتاريخ ابن الفرات ٧/ ٨١.

(١) عن الهامش.

(٢) الصواب: «مريض».

(٣) عن الهامش.

الظاهر. / ١٤ب/ فأشار مولانا السلطان بمُعالجة القوم، وخروج الملك السعيد في جيوش والده ليخلف أمسه في اليوم. فخرج وبرز على مسجد التين،^(١) وبه خيم، وعلى قصد القوم حتم، فأوهمته ممالك أبيه وحسنت له مخالفته وتأييه. فعاد إلى القلعة، وما حُمدت منه وقد رجع عن الصواب تلك الرجعة. وبلغ ذلك العدو فازداد طمعه في البلاد، وساق أبا بن هولاًكو - لعنهما الله تعالى - إلى أن وصل إلى موضع المقتلة بمن حوله من السواد. وقربت الأخبار، وجاء من النواب بالشام أنواع الإنذار والإعذار. فصمم مولانا السلطان على أن لا بُد من الخروج ضربة لازم، وعزم عليه عزم اللبيب الحازم. فلم يسع الملك السعيد إلا الموافقة، وعزم، إلا أنها عزمة غير صادقة.

ولم يزل إلى أن وصل إلى دمشق، ومولانا السلطان يكتفه بحسن دفاعه، ويحيط عنه الأذى بأوليائه من خوجداشيته وأشياعه. / ١٥أ/ فاستقر بقلعة دمشق المحروسة، وغدت به (بعد)^(٢) وحشة أبيه مانوسة. ومولانا السلطان يرفرف عليه بحفظ جناح أبوته، وإن كانت بنتؤه هي المأمورة من الله بحفظه، ويترك حظه من المُلْك وإن كان من استحقاقه أكبر حظه.

وأما العدو، فإنهم أحجموا، وفشلوا وما أقدموا، وخافوا وما حافوا، إلا أن الملك السعيد وافق من حوله من ذوي اللُّهُو، وأرباب الزُّهُو، فانعكف وما اعتكف، واستمطر سحب المُكْرَم (الأكرم)^(٣) وقد وكف. وما كف في تناوله ساعداً ولا كف. واحتجب عن الرأي وصوابه، والقول وجوابه.

وصار مولانا السلطان والأمراء الصالحة يحضرون إلى الخدمة فلا يؤذن لهم ولا يعتذرون، ويرجعون ولا تسَل كيف يرجعون.

واستمر الحال على هذه الصورة، وصارت أوقات الملك السعيد على مثل ذلك مقصورة، لا بل مقصورة.

[غضب الأمراء من الملك السعيد لاستهتاره ولهُوه]

واتفق أن مولانا السلطان وخوجداشيته الأمراء الصالحة، وهم كالأمير عَلم

(١) مسجد التين: يقع قرب المطرية. (السلوك ج ١ ق ٢/ ٦٨٤ حاشية ٣).

(٢) كتبت فوق السطر.

(٣) عن الهامش.

الدين سَنَجَر^(١) الحلبي، / ١٥ب/ والأمير بدر الدين بَيْسَرِي الشمس، والأمير شمس الدين سُنْقَرُ الأشقر^(٢)، والأمير علاء الدين طَيْرِس الوزيري^(٣)، والأمير عز الدين أَيْك الأفرم، والأمير بدر الدين بَيْلِكَ الأيدُمري، والأمير بدر الدين بَكْتاش أمير سلاح^(٤)، والأمير شمس الدين سُنْقَرُ المَسَاح، والأمير سيف الدين بَلْبَان المستعري، والأمير شجاع الدين طُغْرَيْل الشبلي، كل هؤلاء كانوا أمراء صالحين جالسين بداركاه^(٥) القصر الأبلق^(٦) الظاهري بدمشق المحروسة قبل العصر وقت الخدمة وهم ميمنة وميسرة، ومعهم من الأمراء الناصرية والظاهرية جملة كبيرة. ومماليك الملك السعيد، بأعلا^(٧) هذا القصر عنده في رَقَصٍ ورهَجٍ يُسَمَعُ من بعيد، فكيف من قريب.

واتفق أَنَّ أحد مغاني العرب الشُعراء الذين في الخدمة سَكِرَ وعزَّند، فَأُنْزِلَ، وخرج من باب القصر وهو يتمايل، وكاد (أَنَّ)^(٨) يتعلَّق بمولانا السلطان فما مَكَّنَ، وَحَصَلَتْ أَنْفَقَةٌ من مثل ذلك / ١٦٦ / وتغيَّرَ ظهر على مولانا السلطان وعلى أولئك. فقام منصرفاً من الخدمة بغير دستور، وتَبَعَتْهُ الأمراء وتسايروا، (وتساوروا)^(٩) وتساوروا، وما تساوروا.

فلَمَّا بلغ الملك السعيد انصرافَهُم على هذه الصورة، وظهور قَضِيَّتِهِم التي كان في الظَّن أنها مستورة. وَأَنَّ سَبَبَ هذه القضية أحد شعرائهم «وَالشُعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَآوُونَ»^(١٠)، فَجَرَّأَتْهُ بَغِيْبَةُ ذَهْنِهِ على الأمراء لا بل هم الملوك الحاضرون.

فبادر الملك السعيد قاصداً القلعة، وشَارَعَ مستدرِكاً فارط تلك الشناعة لا بل الشنعة. وحضر مولانا السلطان هو والأمراء المذكورون ثاني هذا اليوم إلى قَلَّةِ قلعة

(١) توفي سنة ٦٩٩ هـ. (تالي وفيات الأعيان ٨٧).

(٢) توفي سنة ٦٩٢ هـ. (تالي وفيات الأعيان ٨٥).

(٣) توفي سنة ٦٨٩ هـ. (تالي وفيات الأعيان ٩٣).

(٤) توفي سنة ٧٠٦ هـ. (تالي وفيات الأعيان ٥٧، الدور الكامنة ١/ ٤٨٠، ٤٨١ رقم ١٣٠١).

(٥) الدركاء: لفظ فارسي (DARGAH) معناه: عَتَبَةُ العظماء، وأُطْلِقَ للدلالة على بلاط السلطان.

(٦) القصر الأبلق: بناء الظاهر ببيرس بمناية قصر للضيافة، ويقع بميدان المرجة. (أنظر: تاريخ البصري - بتحقيق أكرم حسن العلبي - ص ١٢٠ بالهامية (١)).

(٧) الصواب: «بأعلى».

(٨) عن الهامش.

(٩) عن الهامش.

(١٠) سورة الشعراء، الآية ٢٢٤.

دمشق، وطلبوا إذناً فأذن لهم، فحين حلّوا في منازلهم من الملك السعيد، وتمكّن مولانا السلطان من القول ولم يزل متمكناً من قريب وبعيد. قال للملك السعيد: إنما أخرجناك ليشيع بين الأعداء قوّة سلطانك، وظهور برهانك. لا أن تنفّرج في / ١٦ب/ الشام، ولا أن يسير عنا ما يحطّ من قدر الإسلام. وحيث قد خلّنا بهذه الأرض فلا بُدّ لحلولنا من تأثير، ولا مُتدوّحة أن يُعتمد ما يُحمد معه عاقبة^(١) هذا المسير.

فقال الملك السعيد: وما الرأي؟

قال مولانا السلطان: الرأي أن نتوجّه أنا والأمير بدر الدين - يعني بيسري - بالعساكر المصرية والشامية، ونفتح قلعة الروم، ونغار^(٢) على سيس^(٣).

فأمّن الملك السعيد على قوله، ورجع إلى قوّته في الرأي وحوله، وتقدّم إلى العساكر المنصورة بالتوجّه صُحبتهما، وشكر الله وللتناس غلّو همتهما، ورُسم، فكتب مثلاً مطلقاً عن الملك السعيد.

[الكتاب بمسير العساكر إلى قلعة الروم وسيس]

ومثاله

إنّا قد تقدّمنا^(٤) المجلسان العاليان فلان وفلان بالعساكر المصرية والشامية لفتح قلعة الروم والإغارة على بلاد سيس، فعند وقوف كلّ من النّواب بالبلاد الشامية يُبادر (إلى)^(٥) امتثال أوامرهما، / ١٧أ/ والمسير صُحبتهما من الجبلية وغيرهم، وإحضار ما يستدعيانه من آلات الحصار، والحذر من مخالفة ذلك.

وكتب إلى الملك المنصور صاحب حماه بالمسير صُحبتهما بعسكره. وفارقا دمشق متوجّهين لهذه المصلحة بهمهمهم المستنصحة^(٦).

(١) كتب فوفها بين السطرين: «مصري».

(٢) الصواب: «ونغير».

(٣) وجاء في (السلوك ج ١ ق ٢/ ٦٥٠) - حوادث سنة ٦٧٧ هـ - خلاف ذلك، وهو أن خاصكية السلطان هم الذين أشاروا على الملك السعيد بإبعاد الأمراء الأكابر عنه، فجهّز فلان وبيسري بالعسكر، فساروا إلى جهة سيس وفي نفوسهم من ذلك إخن.

(٤) هكذا في الأصل.

(٥) عن الهامش.

(٦) أنظر عن غزوة سيس في سنة ٦٧٧ هـ. في: النور اللاتع ٥٦، والدرة الزكية ٢٢٥، ونهاية الأرب، =

[الخلافا بين أمراء الملك السعيد بدمشق]

واستقر الملك السعيد بدمشق، وعنده الأمير عَلم الدين سَنَجَر (الحلي)^(١) الكبير، والأمير شمس الدين سَنُقَر الأشقر، فإنهما كانا قد اعتقلا وأخرجوا، وسافرا معه بلا أقطاع، وهذا أكبر أدلة سوء التصرف. وتأخر عنده من ممالك والده جماعة، كالأمير شمس الدين سَنُقَر التكريتي، وحسام الدين لاجين الزيني، وعز الدين أيدمر الدودار الظاهري، والسقسيني، وجماعة من الظاهرية، أمراء وغير أمراء.

وكان سيف الدين كَوْنُذَك السَّعِيدِي نائب السلطنة إذ ذاك، فحصل بينه وبين المذكورين تنافس، وانضمَّ إلى كَوْنُذَك جماعة من الأمراء السلاح دارية الظاهرية التتار، وصاروا قبيلتين. مُستعربة وتتار. وقامت / ١٧ب / بينهم الفتن، وتغايرت البُحْن. وقصدت المستعربة منهم أن يبطلش بكُونُذَك، ووقفوا له في الدُهايز السلطانية، وطلبوه على لسان المَلِك السعيد، فقام وتوجه إلى داره قاعة رضوان بقلعة دمشق، فعظم ذلك عليهم. وتردَّدت الرُسل إليه وإليهم، فلم يوافق على الحضور إلى الملك السعيد، ولا جاوبهم إلاَّ من بعيد. فلما اشتدَّ امتناعه عليهم، وأكبت عليه السلاح دارية الظاهرية إكباب مُستهوون لا مُستهول كلما يجزه ذلك إليهم، فعند ذلك طلب الملك السعيد الأمير شمس الدين سَنُقَر الأشقر، وسيَّره إليه مُنكرأ عليه، فأبدى إغذاراً، وإنكار أحوال في مثلها لا يُمارى. وخرج من قلعة دمشق إلى الشرف الأعلى^(٢) منزل الأمير شمس الدين سَنُقَر الأشقر بإشارته إلى أن يأمن على نفسه، ويتوسط الأمير شمس الدين بينه وبين أبناء جنسه. فما كان إلاَّ أن استقر، ريثما غر، ثم فر، وساء وماسر، وأضرأ وضر. وركب هو وعُصْبته وبات بين البساتين. / ١٨أ / وأظهر أنَّ ذلك خوف وُهول وجزع. فعزم من عند الملك السعيد على الركوب إليه وإلى مَنْ معه، فلم يره الأمير شمس الدين والأمير علم الدين مصلحة، وأنَّ استجلابهم بالحُسنى قضية مترجحة^(٣).

= ٣٠/٢٨٥، وذيل مرآة الزمان ٤/٢، والمختصر في أخبار البشر ٤/١١، ودول الإسلام ٢/١٧٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/١٢٦، وعيون التواريخ ٢١/١٧١، ١٧٢، وتاريخ بيروت ٧٠، والسلوك ج ١ ق ٢/٦٥٠، وعقد الجمان (٢) ٢٠٢، والنجوم الزاهرة ٧/٢٦٥، وتاريخ ابن سباط ١/٤٥٧، وتاريخ الأزمنة ٢٥٦.

(١) عن الهامش.

(٢) الصواب: الأعلى.

(٣) وذكر المقرئ في حوادث سنة ٦٧٨ هـ: في المحزم قُور الخاصكية مع الملك السعيد القبض على =

[مفارقة كُونْذَك للسلطان]

ورُسم، فكتبتُ كتاباً عن الملك السعيد إلى سيف الدين كُونْذَك مضمونه التأمين، فما أخذه باليمين، ولا ألوى على مضمونه بحكم ما دلّه على هلاكه من الحُدْس والتخمين. وداخله الشكّ إلاّ أنه أزال الشكّ باليقين. وما كان منه وبين القرار إلاّ أن خرجت إليه أثقاله، وأثمنته بحصول خزائنه في القبضة أمواله.

ثم سار يطوي الأرض بالطول والعرض، والسنة من نجاته وبمن معه والفرض. قاصداً مولانا السلطان وقد كان راجعاً بالعساكر المنصورة من وجهته، وآتياً من قُورته.

[مكاتبة الملك السعيد إلى قلاون بشأن كُونْذَك]

ورُسم فسرّح الطائر حاملاً بطائق كتبها إلى مولانا السلطان، مضمونها: / ١٨ب/ «إنّ الأمير سيف الدين كُونْذَك كان قد حصل بينه وبين الصبيان خصومة أوجبت غضبه وخروجه بجماعة من السلاح دارية، فإذا وصل يُسكّن خاطره، ويحضره في الأمان والدّعة». وأُطلعت الطيور مُسرعه، وعاد الجواب على أجنحتها بالسمع والطاعة، وأنه يبذل في رضاه أو غضبه إن لم يرض جهد الاستطاعة.

فلما وصل سيف الدين كُونْذَك قال وأطال، وبلغ غرضه من نجاة نفسه بالصحيح والمُحال. وجاء كتاب مولانا السلطان بأنه حاضر معه إلى الأبواب السعيدية، إلاّ أنه بعد أن ملأ سمعيه، ونقل ما عزم الملك السعيد ومن حوله في حقّ مولانا السلطان عليه. وهو - خلد الله سلطانه - يصدق ويكذب، ويصغد فكره ويصوّب، إلى أن وصل إلى القابون، وكاتب: هل يكون الدخول بتطليب أو ترتيب، أو لا ترتيب؟ (فأجيب)^(١) وقد فهم عنه وهم أحدثه كُونْذَك بأن لا ترتيب،

■ الأمراء عند غودهم من سيس، وعينوا إقطاعاتهم لأناس منهم، وكان الأمير كوندك النائب مُطلعاً على ذلك. واستغرق السلطان في لذاته، وبسط يده بعباء الأموال الكثيرة لخاصكته، وخرج عن طريقة أبيه. وفي أثناء ذلك حدث بين الأمير كوندك النائب وبين الخاصكية منافرة بسبب أن السلطان أطلق لبعض مماليكه ألف دينار، فتوقف النائب في إطلاقها، فاجتمع الخاصكية عند النائب وفادضوه في أمر المبلغ، وأسمعوه ما يكره، وقاموا على خرد، وتكلموا مع السلطان في عزله عن النيابة فامتنع. وأخذ الخاصكية في الإلحاح عليه بعزل كُونْذَك، وعجز عن تلافي أمرهم معه. (نهاية الأرب ٣٠/٣٩٣) (السلوك ج ١ ق ٢/٦٥١، ٦٥٢).

(١) عن الهامش.

وأن /١٩/ يكون الدخول مُطْلَباً^(١)، وبالترتيب الأول مرتباً. وأنه في باكر يخرج لملُتَقاه على العادة. فلما كان من باكر ركب للملتقى، فلم يزل إلى أن فارق عمارة دمشق، فأوقف وأشير عليه أن لا يتعدى، وخُوف مَمَّن يتعدى. رجع من الطريق، وكانت ساعة قضت إلى الساعة بالتفريق.

وكان مولانا السلطان قد ركب في العساكر، وسارعن المنزلة، فلما بلغه رجوعُ الملك السعيد كثر وهُمه، وقوي على ما قاله كَوْنَدَكَ عَزْمُهُ. وعاد إلى المنزلة التي فارقها فنزلها بالعساكر، وضرب مشواراً فيمن معه من أمراء الحل والعقد، فما كان منهم إلا من هو لُتْضَح كَوْنَدَكَ شَاكِر^(٢).

ذَكَرَ مَا تَرْتَبَ عَلَى هَذِهِ الرَّجْعَةِ لِلْمَلِكِ السَّعِيدِ مِنَ الْمَفَاسِدِ

وأقام مولانا السلطان بالمنزلة التي رجع إليها لما رجع الملك السعيد عن الملتقى، والعساكر المنصورة طائفة /١٩ب/ لأمره، مُنْضَوِيَةٌ إِلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ. عالمة أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِي مَوَافَقَتِهِ، وَالسَّلَامَةَ مَقْرُونَةٌ بِمِرَافَقَتِهِ. هذا والرُّسُلُ إِلَيْهِ مُتَرَدِّدَةٌ، (وَالْكَتَبُ بِمَا يُبْلِيْنَ أَعْطَافَهُ مُتَوَدِّدَةٌ)^(٣)، وَهُوَ يَا أَبَا^(٤) إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ السَّعِيدُ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَلْقَائِهِ كَعَادَةِ الْمُلُوكِ مَعَهُ إِذَا قَدِمَ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ.

فَلَمَّا طَالَتِ الْإِقَامَةُ، وَحَصَلَتِ السَّامَةُ، وَسَمِجَتِ الْمَلَامَةُ، وَظَهَرَتِ لِلصَّدَقِ عَلَى مَا قَالَه كَوْنَدَكَ عِلَامُهُ (وَأَيُّ عِلَامِهِ)^(٥)، رَحَلَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ بِالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ وَنَزَلَ بِالْكُسُوفِ، وَحَالَ بَيْنَ الْمَلِكِ السَّعِيدِ وَبَيْنَ مَصْرٍ بِمَا لِلْأَنْفَةِ مِنْ قَسْوَةٍ. فَاخْتَبَطَ رَأْيَ الْمَلِكِ السَّعِيدِ، وَرَأَى مِنْ حَوْلِهِ مِنْ مُقِيمِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَضَعُفَتْ مِنْهُمْ الْجَيْتَةُ. هَذَا، وَكَوْنَدَكَ مَعَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ يُغْرِيهِ، وَيَجْتَهِدُ فِيمَا مِنَ الْغَرَضِ يُبِيدُهُ. وَكَانَ قَدْ رَسَمَ لَهُ الْمَلِكُ السَّعِيدُ قَبْلَ التَّحْوِيلِ بِأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى حَلَبٍ يَكُونُ بِهَا أَمِيرٌ أَرْبَعِينَ فَارَسَ^(٦).

(١) التَّطْلِبُ أَوْ الْمُطْلَبُ: لَفْظٌ عَامِّي ذَرَجَ عَلَى أَثْنَيْتَةِ النَّاسِ فِي عَصْرِ الْمَمَالِيكِ مَعْنَاهُ: الْحَضُورُ بِمَجْمُوعَةٍ مِنْ فِرْقِ الْجُنْدِ إِلَى أَمَاكِنِ الْإِحْتِفَالَاتِ عَلَى هَيْئَةٍ مَخْصُوصَةٍ. - مَوَاقِبُ. - (مَعْجَمُ الْمِصْطَلَحَاتِ وَالْأَلْفَابِ التَّارِيخِيَةِ ١٠٨).

(٢) أَنْظَرَ نِهَايَةَ الْأَرْبِ ٣٠ / ٣٩٤، وَالدُّزَّةُ الزُّكِّيَّةُ ٢٢٧.

(٣) عَنْ الْهَامِشِ.

(٤) الصَّوَابُ: يَا أَيُّ.

(٥) عَنْ الْهَامِشِ.

(٦) الدُّزَّةُ الزُّكِّيَّةُ ٢٢٧.

وكتبت منشوره في قطع الثلثين، وهي عادة صاحب المائة فارس. وسير إليه
قريته الخلة المزركشة، / ٢٠ / والشاش الكافوري، وهو تناقض بين، وتفاوت
وجه الهلع فيه متعين. فليس التشريف ولم يقبل المنشور ولا رضي أن يتوجه بل
لاذ بخذلانه من الانتماء إلى مولانا السلطان بالمنصور.

واقضى رأي الملك السعيد ومن حوله أن ينادي بالنفقة، وعُيِّت الدنانير
المألفة^(١) بالإيوان بقلعة دمشق، فما كانت لمن نفر بالمؤلفة. ولم يحضر أحد إلا
من لا يؤبه إليه، ولا يُعول عليه.

فلما لم تتم هذه الحيلة، ولا أفادت جلب شزيمة كثيرة ولا قليلة، عُقد الرأي
على أن يركب الملك السعيد ويتوجه من طريق الكرك ويسبق القوم ويحصل بقلعة
الجبيل، وظنوا أن ذلك من أعظم الحيل، فركب ليلاً، وركبنا معه، وأمامه الخزانة
على الهجن، فلم يجد سبيلاً إلى الذهاب، وكاد يرك مولانا السلطان أن يأخذ
الخزانة لولا أسرع في العود والإياب.

وغدنا من ليلتنا إلى دمشق، وأخذ مولانا السلطان في الرحيل قاصداً الديار
المصرية في سكون وهدوء وتؤذه، / ٢٠ ب / في رواح وغدو.

[توسط والد الملك السعيد لدى قلاون]

ولما استمر ذلك من مولانا السلطان حصل الرأي على أن تخرج والد الملك
السعيد إليه، وتدخل دخول الحريم عليه. فركبت في المحفة السلطانية وفي خدمتها
عدة من المماليك، فأدركت مولانا السلطان وهو سائر في الأمراء الأكابر
والعساكر، فحين أقبلت ترجل مولانا السلطان هو والأمراء الأكابر. وقبلوا لها
الأرض ومشوا ميمنة وميسرة، وكانوا قد قُربوا من المنزل، وضربت على المحفة
خيمة وجلسوا بين يديها. وغضوا الأبصار عن النظر وإن كانت محجبة إليها.
وأخذت في استعطافهم بكل طريق، وحدثتهم بما لعظمتهم يليق. ومما قالته: إن
كان لكم غرض في الملك فخذوه ودعوني وولدي ننضوي إلى جهة تختارونها (ولا
تؤذوني فيه)^(٢).

فخلّف مولانا السلطان: إن هذا لم يكن من غرضنا، ولا من شفاء

(٢) عن الهامش.

(١) الصواب: «المؤلفة».

مرضنا، ولا لنا مَنِيْلٌ إلى مُلْكٍ ولدك، ولا أن نُؤْذِيكَ في فلذة كبدك. وأخذ في إقامة عُذْره، بما حصل في حقِّه وحقِّ خُوجداشيته في غُلُوِّ قُدْرهم وقُدْره. وأخبرها بما ذكره كَوْنُكَ من أخذ / ٢١١ / إقطاعاتهم، والعزم على اعتقالهم مع خلوص طاعتهم. وأنَّ رجوعه عن مُلتَقاهم أكَّد عندهم صحَّة ذلك، وسلك هو في سوء الظنِّ مسالكٍ وأتَّى مسالك. وإنا أقمنا هذه المدة على أن يستدرك الفارط بمُلتَقانا فما استدرك. ثم وسيّرنا إليه هذا الأمير رُكن الدين أبا جبي الحاجب بشروطٍ يحلف عليها فما حلف والشرط أمْلَك. وبالجُملة، فها نحن مقيمون بهذه المنزلة، إلى غِدِّ آخر النهار لتعودي إليه بشروطنا، وهي: إنَّ من كان أميراً من ممالك والده يخرج ويمشي مع الأمراء، ومن كان مقدِّماً يمشي مع المقدِّمين، ومن كان مُفردياً يمشي مع المفاردة، ونحن نتولَّى^(١) وظائف خدمته بنفوسنا وأولادنا. فالتزمْتُ لهم ذلك، والتفتت إلى مولانا السلطان وقالت: يا بِي لِر^(٢) كان الشهيد - تعني الملك الظاهر رحمه الله - قد أوصاني بأنَّه إذا حصلْتُم في ضائقة تقولي لفلان - تعنيه - بأمانة ما كنَّا داخلين الروم وأخرجْتُ له من عُبي جوجكنا^(٣). وقلت له: هذه مخيِّبة^(٤) لك في عبي منذ يومين / ٢١١ ب/ فهو يساعدكم.

فقال لها مولانا السلطان: أمانةٌ صحيحة إلا ما أساعدكم على نفسي، وقطع خُبْزي وحبسي.

وعادت فأخبرت ولدها بشروطهم فوافق، إلا أنَّ ممالك أبيه لم يوافقوا، وكادوا أن يقيموا فتنَةً، والفتنة أكبر من القتل، وإليها تسابقوا.

وأما مولانا السلطان ومن معه فإنَّه وفي بشرط الإقامة إلى أن فات وقتها ورحل، وعن تلك المنزلة إلى أخواتها انتقل^(٥).

ذِكْرُ ما اعْتَمِدَ مِمَّا لم يَتَمَّ

وفي عُضْوَن (توَجُّه)^(٦) مولانا السلطان قاصداً مصرَ بلغ الملك السعيد أن

(١) الصواب: «تولَّى».

(٢) هكذا والمراد: القائد، والرئيس.

(٣) جوجكنا: ضُرَّة صغيرة تشبه الحجاب معلقة بالرقبة تحت الثياب.

(٤) هكذا بالعامة.

(٥) أنظر الخبر في السلوك ج ١ ق ٦٥٢/٢، والدرة الزكية ٢٢٨.

(٦) كتبت فوق السطر.

الأمير الحاج علاء الدين طبرس الوزيري، وهو من أجل الأمراء قدراً، وأنوهمم
 ذكراً، وأوسعهم صدرأ، وأعلاهم محلاً، وأسدهم عقداً وحلاً، وأوفاهم عهداً،
 وأبذلهم في الوقوف عند الإيمان جهداً، بلغه أنه أبى عليهم المرافقة، (وأنف وفاء
 بعهد الظاهر والسعيد الموافقة)^(١). فاعتقدها الملك السعيد فرصة تُثَنِّزُ، وموعدة
 تُثَنِّزُ، فرسم بكتاب إليه مضمونه:

/٢٢٢/ «إِنَّه قد بَلَّغْنَا حُسْنَ عَهْدِهِ، وَوَقُوفَهُ مِنَ الْإِيمَانِ عِنْدَ حَدِّهِ، وَإِنَّه لَمْ
 يُطْعِ الْقَوْمَ، وَلَا سَامَ عَلَى مَالِنَا مِنْ سَوْمٍ، وَقَدْ شَكَرَ اللَّهُ وَنَحْنُ لَهُ هَذَا الْوَفَاءُ،
 وَاصْطَفَيْنَاهُ لِنَفْسِنَا وَحَقٌّ لَهُ الْإِصْطِفَاءُ، وَانْتَدَبْنَاهُ لَشِفَاءِ مَا عَرَّضَ مِنْ مَرَضٍ غَرَضُ
 فَكَانَ مُصْطَفَى هَذَا الشِّفَاءِ. وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ نِيَابَةَ سُلْطَنَتِنَا، وَعَوَّلْنَا عَلَيْهِ فِي تَدْبِيرِهَا،
 وَاعْتَمَدْنَا عَلَى عُلُوِّ هِمَّتِهِ وَجَمِيلِ تَأْثِيرِهَا. فَالْمَجْلِسُ الْعَالِي يَتَلَقَّى هَذِهِ الْوَلَايَةَ
 بِالْقَبُولِ، وَلِيَجْهَدَ فِي تَبْلِيغِ الْأَمْلِ وَالسُّلُوكِ، وَقَدْ كَتَبْنَا إِلَى أَمْرَاءِ الْعَشَرَاتِ وَمَقْدَمِي
 الْحَلِيقَةِ وَأَجْنَادِهَا لِكُلِّ كِتَاباً بِمُفْرَدِهِ وَأَمْرَانَهُمْ أَنْ يُجِيبُوا دَاعِيَتَهُ، وَأَنْ لَا تَكُونَ أَذُنُهُ
 لغير أمره ونهيه وإعْيِهِ. فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ وَلِيَجْهَدَ فِي رَدِّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْوَفَاءِ، وَاقْتَفَى فِي
 مُخَالَفَةِ عَهْدِهِ سُوءَ الْإِقْتَاءِ. وَنَحْنُ مِنْ وَرَائِهِ جَاهِدُونَ، وَلِمُرَادِفَتِهِ مُجْتَهِدُونَ. وَقَدْ
 أَصْدَرْنَا فِي رِجْلِنَا فِي الرِّكَابِ، وَتَلْبِيَةِ دَاعِيَتِهِ سَابِقَةً لِمُخَاطَبَةِ هَذَا الْخُطَابِ فِي
 الْعَسَاكِرِ الشَّامِيَةِ وَمَنْ اسْتَجَدَّيْنَاهُ مِنَ الْأَجْنَادِ. وَمَا تَمَّ - نَحْمَدُ اللَّهَ - عَاقَةُ عَنِ إِنْجَادِهِ،
 /٢٢٢ب/ وَتَابِعَةِ اجْتِهَادِهِ. فَيَهْتَمُّ بِمَا نَدْبَنَاهُ إِلَيْهِ، وَمَا عَوَّلْنَا فِيهِ عَلَيْهِ. وَاللَّهُ يَجْعَلُ
 تَبْلِيغَ الْمَرَامِ طَوْعَ يَدَيْهِ».

وَكَتَبْتُ الْكُتُبَ كَمَا شَرَحَ، وَجَاءَتْ فِي عِدَّةِ أَخْرَاجٍ، وَحُمِلَتْ عَلَى جُمْلَةٍ مِنْ
 خَيْلِ الْبَرِيدِ، وَأَكَّدَ فِي إِخْفَانِهَا عَنِ الْجَاهِلِ، وَهِيَاتِ تَكْتُمُ فِي الظَّلَامِ مَشَاعِلَ. فَلَمْ
 يَسْخُ الْبَرِيدِيَّةُ الْمُتَوَجِّهِينَ بِهَا مَعَ سِيءِ التَّدْبِيرِ فِي كِتَابَتِهَا فِي غَيْرِ مُطْلَقَاتٍ. وَشَهْرَةٌ
 كَثُرَتْهَا بِالْإِخْرَاجِ الْمَوْسِيقَاتِ. إِلَّا أَنَّ أَحْضَرُوهَا إِلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ بِرُمَّتِهَا، وَمَثَلُوهَا
 بَيْنَ يَدَيْهِ بِهَيْئَتِهَا، فَفَكَ خَتَمَ بَعْضُهَا، وَوَقَفَ عَلَى تَنْوِيهِهَا وَغَضَّهَا. وَأَمْرٌ فُقِيلَتْ عَنْ
 آخِرِهَا، وَمُحِبَّتِ آيَاتِ الْإِسْتِصَارِ مِنْ دَفَاتِرِهَا.

وَاسْتَرْسَلَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ فِي سَيْرِهِ، وَجَدَ فِي النُّزُولِ وَالرَّحِيلِ أَمْنًا مِنْ ضَرَرِ
 الْكَئِدِ وَضَيْرِهِ.

(١) عن الهامش.

وأما الملك السعيد فإنه رحل بالعاكر الشامية ومن استخدمه وراء مولانا السلطان منزلة بمنزلة، وتابع أوله من منازل بأجرة، وآخرة بأولة.

ذكر حُسن تدبير مولانا السلطان في هذه الوجهة

/٢٣/ لم يدغ مولانا السلطان بمنزلة ينزلها فرس بريد، ولا طير بطاقة يبدأ بها ولا يُعيد، ولا مسافر يتوجه فيخبر بما هو فيه، ولا يستطلع منه عن ظاهر أمر ولا خافيه. وما من منزلة إلا ويرد إلى الملك السعيد كتاب اسم مولانا السلطان أوله، وتلو أسماء الأمراء الذين في صحبته^(١)، مثبتة في ثلاثة أوصال مزدحمة تهويلاً وإرعاباً وإفهاماً، أنه لم يبق معه أحد وإن عذر (...) ^(٢). وتلو هذه الأسماء ما مثاله:

«يقبلون الأرض، وينهون أن الهروب من قدام السلطان طاعه، وقد علم كبر سنهم وعجزهم، وهم متوجهون إلى الانقطاع في بيوتهم، طائعين لمولانا السلطان خائفين من هيبتة، فلا يظن مولانا السلطان فيهم غير ذلك، إلا أنهم حين وصلوا إلى القاهرة المحروسة وجدوا أبوابها قد سُدت، ووطأت^(٣) سد المسالك عليهم قد استتت».

وكان نائب السلطنة بالديار المصرية إذ ذاك عن الملك السعيد الأمير علاء الدين أقطوان الشامي /٢٣ب/ المهنداري^(٤) الظاهري. ومقدم الجيش عز الدين أيبك الأفرم الصالحي. فحين رأى مولانا السلطان هذا التضييق، وتوغل هذه الطريق، لم يقدم شيئاً على أخذ الخيول السلطانية من الأسطبلات، وترك المماليك الذين بالقلعة رجالاً لا يستطيعون الفرار ولا الشبات. وأغلقت قلعة الجبل فحوصرت، وإن لم تحمل الحصار، وخُذلت حتى من المهاجرين والأنصار. وبطق المماليك من القلعة إلى الملك السعيد بطاقة بخط الصدر الفاضل الرئيس تاج الدين ابن الأثير الحلبي^(٥)، كاتب الإنشاء الشريف السلطاني، مضمونها:

(١) ذكر المقرئ أسماء ٢٩ أميراً منهم. أنظر: السلوك ج ١ ق ٢/ ٦٥٤، ٦٥٥.

(٢) كلمة ممسوحة في الأصل.

(٣) الصواب: «ووطأت».

(٤) المهندار: هو الموثق الذي يتلقى الرسل ويستقبل السفراء والمبعوثين القادمين من الخارج إلى بلاط السلطان، ومن يرغبون بمقابلته. ويقابله الآن مدير المراسم والتشريفات.

(٥) هو أحمد بن سعيد بن محمد. باشر الإنشاء للسلطان الظاهر، وللسلطان قلاوون. ومات سنة ٦٩١ هـ.

«يا خَوْنَد»^(١) أَدْرِكْنَا، فَقَدْ أَخَذَتِ الْخِيُولُ السُّلْطَانِيَّةَ، وَنَحْنُ مُحْصُورُونَ بِالْقَلْعَةِ». واستغاثوا وكرَّروا الاستغاثة. ووقعت هذه البطاقة وهو على أُمِّ الْبَارِدِ^(٢)، فعزم من هناك على التوجُّه إلى الكَرْك، وتأخَّر عنه عسكر الشَّامِ صُحْبَةُ الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينِ أَيْدُمَرُ الظَّاهِرِيِّ نَائِبُهُ.

ورحل الملك السعيد فنزل غَيْثًا^(٣) / ١٢٤ / وانتقض ذلك العزم، ورأى مُشِيرُوهُ أَنَّ طُلُوعَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَالْحَصُولَ عَلَيْهَا غَايَةُ الْحَزْمِ.

وكان يَزْكُ^(٤) مولانا السلطان محيط^(٥) بالقلعة، فحين وصل له هذا الخبر أمر الْيَزْكِيَّةَ أَنْ تُخْلِيَ لَهُ (ليحصل في القلعة)^(٦)، فحصل فيها، وتراءى للجيش المحاصر ظناً منه أنه متى لاحت لهم بارقة منه بادر كلُّ منهم زَلَّتْهُ بَتْلَانِيهَا، فما ألوى أحدٌ عليه، ولا مَدَّ حَتَّى وَلَا طَرَفَ^(٧) إِلَيْهِ^(٨).

وأخبرني الصدر تاجُ الدِّينِ ابْنُ الْأَثِيرِ (- رحمه الله تعالى -)^(٩)، وكان بالقلعة محصوراً معهم، أَنَّ الْحَاجَّ عِلَاءَ الدِّينِ طَيِّبَ رَسِ الْوِزِيرِيِّ طَلَعَ إِلَى الْقَلْعَةِ الْمُحْرُوسَةِ، واجتمع بالملك السعيد، وقال: قُمْ وَأَنْزِلْ مَعِيَ لِأَرْدَ عَلَيْكَ مُلْكَكَ، وَأَنَّهُ قَامَ فَتَعَلَّقَ الْمَمَالِيكُ السُّلْطَانِيَّةَ بِأَذْيَالِهِ بَاكِينَ، وَمَنْعُوهُ مَا نَدَبُهُ إِلَيْهِ شَاكِينَ، وَفِي الْخِذْلَانِ غَيْرِ شَاكِينَ. وَهِيَ حِيلَةٌ مِنَ الْأَمِيرِ عِلَاءَ الدِّينِ عَلَى طَلَبِ الدِّسْتُورِ الْمَشْرُوطِ فِي أَيْمَانِهِ، الْمَعْدُودِ مِنْ قُوَّةِ إِيْمَانِهِ.

وحيث نزل علاء الدين المذكور سأله مولانا السلطان / ٢٤ب / أين كان؟ فأخبره بالصورة غير متلثم، مُعْرَباً غَيْرَ مُعْجَمٍ.

١ - (الوافي بانوفيات ٦/ ٣٩٣ - ٣٩٥ رقم ٢٩٠٦، والمنهل الصافي ١/ ٢٨٢، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٤، وفي: إعلام النبلاء ٤/ ٤٧٥، ٤٧٦ رقم ٢٥٧ توفي سنة ٦٧١ هـ. وهو غلط، مع أنه ذكر كتابته للسلطان المنصور قلاوون، وهذا تولَّى السُّلْطَانَةُ سنة ٦٧٨ هـ).

(١) خَوْنَد: كلمة فارسية بمعنى سَيْدٍ. أصلها خَوْدَاوند. (معجم الألفاظ الفارسية المعربة - ص ٥٨).

(٢) أُمُّ الْبَارِدِ: لم أجد تعريفاً بموضعه.

(٣) لم أجد تعريفاً بموضعه.

(٤) الْيَزْكُ: الْخَرْسُ.

(٥) الصواب: «محيط».

(٦) عن الهامش.

(٧) ضبطها هكذا في الأصل. والصواب: «طَرَفَ».

(٨) أنظر: نهاية الأرب ٣٠/ ٣٩٧، الدرة الزكية ٢٢٩.

(٩) عن الهامش.

وَاتَّفَقَتْ قَضِيَّةُ خَطَرَةِ سَلَمِ اللَّهِ مِنْهَا، وَهِيَ أَنِّي كُنْتُ مَعَ الْمَلِكِ السَّعِيدِ فِي هَذِهِ الْكُرَّةِ، وَكَانَ لَهُ دَوَادَارَانِ^(١)، أَحَدُهُمَا الْأَمِيرُ الْإِسْفَهْسَلَارُ^(٢) سَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الرَّوْمِيِّ الظَّاهِرِيُّ، وَالْآخَرُ دُونَهُ فِي الرُّتْبَةِ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينِ أَيْدُمَرُ الدَّوَادَارِ. وَكَانَ حَظِّي مِنَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ الْحِطَّ الْأَوْفَى الْأَوْفَرُ، وَمَحَلِّي مِنْ تَقْدِمَتِهِ الْمَحَلِّ الْأَعْلَى الْأَكْبَرِ. فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي نَدَبَنِي لَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ، وَعَوَّلَ عَلَيَّ فِي سِرِّ الْمَكَاتِبَاتِ وَجَهْرُهَا عَلَى صَغَرِ سَنِي وَكِبَرِ قَدْرٍ وَسَنٍّ مِنْ فِي الدِّيَّوَانِ. وَكَانَ أَيْدَمَرُ لَا يَجْسِرُ عَلَيَّ، وَلَا يَنْظُرُ فِي مَكَاتِبَةِ إِلَيَّ. فَاتَّفَقَ أَنْ طَلِبَنِي وَنَحَنَ عَلَى مَنْزِلَةٍ رَأْسِ الْمَاءِ، فَأَمَرَنِي فِي خُلُوةٍ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْأَمِيرِ جَمَالَ الدِّينِ أَقْشَ الْكَنْجِيِّ نَائِبِ مَصِيفٍ بِإِنْفَازِ أَرْبَعِينَ مِنَ الْفِدَاوِيَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَةِ لِيُسَيِّرَهُمْ إِلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ، فَامْتَنَعْتُ مِنَ الْكِتَابَةِ، فَغَزَّ عَلَيْهِ امْتِنَاعِي، وَتَغَيَّرَتْ أَوْضَاعُهُ، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ / ٢٥ / أَوْضَاعِي. وَقَالَ: أَنَا أَشَاوَرُ عَلَيْكَ السُّلْطَانِ. وَنَهَضَ، فَخَرَجْتُ وَرَاءَهُ، وَلَمْ أَتْرَكْ مَعَهُ مَنْزِلَةً مِنْ بَعْدِهَا. وَلَمْ أَجْتَمِعْ بِهِ وَإِلَى الْيَوْمِ عَلَى قُرْبِ الْمَدَّةِ وَبُعْدِهَا.

وَلَمَّا وَصَلْنَا طَلِبَنِي مَوْلَانَا السُّلْطَانُ وَهُوَ رَاكِبٌ تَحْتَ الْقَلْعَةِ لِلْحَصَارِ، وَحَوْلَهُ أَمْرَا الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، وَهُوَ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْقُطْبِ مِنَ الدَّائِرَةِ، وَالْقَمَرُ مِنَ الْهَالَةِ الْمُمْتَعَةِ بِهِ الْأَعْيُنِ النَّاطِرَةِ. وَقَالَ بَلْسَانَ الْأَمِيرِ بَدْرُ الدِّينِ بَيْسَرِي: يَا فُلَانُ، مِنْ كِتَابِ لِنَائِبِ مَصِيفٍ بِطَلَبِ الْفِدَاوِيَةِ؟

فَقُلْتُ: وَلَا أَحَدَ.

فَأَخْرَجَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْكِتَابَ مِنْ صَوْلَقِهِ^(٣). فَقُلْتُ: يَا خَوْنُودَ، هَذَا خَطٌّ أَيْدَمَرُ، الدَّوَادَارِ. وَحَكَيْتُ لَهُ صُورَةَ امْتِنَاعِي، فَشَكَرَ هُوَ وَالْأَمْرَاءَ.

[خُلْعُ الْمَلِكِ السَّعِيدِ مِنَ السُّلْطَانَةِ]

وَكَانَ قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ بْنِ رَزِينٍ جَالِسًا^(٤) تَحْتَ الْقَلْعَةِ لِإِثْبَاتِ مُحَضَّرِ نُظُمٍ بَعْدَ أَهْلِيَةِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ وَوُجُوبِ خُلْعِهِ.

/ ٢٥ب / وَلَمَّا طَالَ بِالْمَلِكِ السَّعِيدِ الْمَطَالُ، وَضَاقَ بِهِ الْمَجَالُ، وَوَلَّتْ عَنْهُ

(١) الدَّوَادَارُ: صَاحِبُ الدَّوَاةِ وَحَامِلُهَا لِلْسُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ. وَهُوَ يَقُومُ بِإِبْلَاحِ الرِّسَالَتِ عَنْهُ وَتَقْدِيمِ الْقَصَصِ وَالشَّكَاوَى إِلَيْهِ. (صَبِيحُ الْأَعْيُنِ ٥/ ٤٦٢).

(٢) الْإِسْفَهْسَلَارُ: لَفْظٌ فَارِسِيٌّ مَعْنَاهُ الْقَائِدُ الْعَامُّ لِلْعَسْكَرِ.

(٣) الصَّوْلُقَةُ: الْجُبَّةُ أَوْ الْمُحَفَّلَةُ الَّتِي تُودَعُ فِيهَا الرِّسَالَتِ وَالْخَطَابَاتُ.

(٤) جَالِسًا: جَالِسًا.

رجال الحرب ويا لها من رجال، واشتدّت به الأوجال، وقال فلم يُسمع له مقال، استقال وحُقّ له أن استقال، وسير إلى مولانا السلطان يطلب منه الكرك وما فيها وهي جملة كبيرة. وكان والده الملك الظاهر قد أذخرها هنالك وهي قريب الألف ألف دينار، فأجابه مُعلماً أنه لم يكن ثمّ رغبة في المُلْك، ولا ضميراً مفسوداً^(١) يقضي له بالهُلْك. بل دفعاً لضرر حاشيته، وطلباً للسلامة من أذى غاشيته، الذين استولوا على عقله، وحملوه على ما لا يليق في حقّ مثلهم من مثله.

وكان الملك السعيد عندما حلّ بالقلعة قد كسّر أقفال الخزائن وأخذ منها جملة كبيرة، وفرّقها على مماليكه ليحصل عليها عند الخروج. فلما أذن له في الخروج جرّد مولانا السلطان من قعد على باب القلعة، وتتبع الخارجين مملوكاً مملوكاً، وأخذ من كلّ منهم ما كان معه من الذهب عارية وإنّ /٢٦٦/ ظنّ أنه مملوكاً.

وخرج الملك السعيد بعد أن أخذت علائمُه بخطّه إلى كلّ قلعة في دُرَج أبيض، ليكتب على خطّه بتسليمها.

وخرج الملك السعيد إلى الكرك، وعلى يده كُتِبَ بتمكينه منها^(٢).

[سلطنة الملك العادل سلامش]

وطلع مولانا السلطان (إلى)^(٣) القلعة بنية الوفاء، وتدارك مرض القلوب الوجلة بالشفاء^(٤). ونزل بدار النيابة، وأعمل رأيه الذي ما زال مقروناً بالإصابة. فرأى إقامة بدر الدين سلامش ولد الملك الظاهر عوض أخيه، وأن يقوم بشرط عهده فيه وبوفيه. إذ وضع العُدْرُ في خلع أخيه المذكور، وقصّوره عن الملك باستيلاء حفدته على ما يتعلّق به من سائر الأمور. فأقيم ولقب بالملك العادل،

(١) الصواب: ولا ضمير مفسود.

(٢) أنظر: النور اللامع ٥٧، والدرّة الزكية ٢٢٩، وذيل مرآة الزمان ٤/٤، ٥، والمختصر في أخبار البشر ١٢/٤، ونهاية الأرب ٣٩٧/٣٠، ٣٩٨، وتاريخ ابن الوردي ٢٢٦/٢، ٢٢٧، والبدابة والنهاية ٢٨٧/١٣، وعبود التواريخ ٢٢١/٢١ - ٢٢٣، والسلوك ج ١ ق ٢/٢٠٢ - ٦٦٥، وعقد الجمان (٢) ٢١٥ - ٢٢٢، والنجوم الزاهرة ٢٦٧/٧ - ٢٦٩، وتاريخ ابن سبط ١/٤٦٩، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/٣٤٥، ٣٤٦.

(٣) عن الهامش.

(٤) في الأصل: «الشفى».

وَرُكِبَ بشعار الخلافة. وكان عُمُرُهُ إذ ذاك أحد عشر^(١) سنة. فَأُيُفَ الأُمراء الكبار النضال لصغر سنه، وأبوا إلا أن يكون مولانا السلطان لَسَدَ هذه الثلثة، إذ فَرَّ المُلْكُ من أكبر فتة. فامتنع عليهم، ولم يمدَّ يد مبايعته إليهم، وقال: أنا أتولى أمر أتابكيتِه، وأكون كفيله في رعيتِه / ٢٦ب/ فقالوا: هذا أمر لا يُغْنِي عَنَّا، ولا يُدُّ أن تكون وليس نَرَى كالأبَاء إينا. والبركةُ مع الأكابر، والصغار والذَلَّ في رأي الأصاغر. وما نأمن أن تقوى شوكة ممالك أبيه فيتعدَّر علينا قُطْها، وتعلو^(٢) رُتبته بالتمكين فيصعُب علينا حُطْها. فصمّموا، وعن سماع العذر تصامموا، وأبوا إلا أن يكون سلطانهم الذي له يدينون. وتألَّبوا وتوثَّبوا، واجتمعوا وتجمَّعوا.

[سلطنة المنصور قلاوون]

فلما رأى عينها منهم، ورأى مشاهدة لا من روى عنهم، وافق حسماً لمادة الفِتْن التي أقبلت قِطْعُها كِقِطْع الليل، وجاءت كالسيل، وكادت أن تلحق الخيل بالخيّل. وشرط عليهم شروطاً ودخلوا تحتها، وألزمهم آداباً نجَزَها معهم وبثَّها.

وفي أثناء ذلك طلبني - خَلَّد الله سلطانه - وقد انتقل إلى دار الملك السعيد (التي)^(٣) بقلعة الجبل، وفتح في أبوابها شباكاً صار يجلس فيه للأتابكية، ونجلس من خارجه على مساطب نوقع بين يديه. فحضرتُ إليه في القاعة المذكورة خلوةً، وأمرني سراً أن أكتب أسماء ملوك متعدّدة، فأبيتُ وقلت: كيف يُمكن / ٢٧أ/ أن تكتب أسماء ملوك بقلعة ملِكٍ مُستَقَر المُلْك، وهذا لا يمكن. فعزّت عليه - خَلَّد الله مُلكه - مخالفتي لأوامره، وتغيّر، وأمرني بالخروج، فخرجتُ من بين يديه، وقد عَزَّ عليه. ولحقني الأمير ركن الدين أباجي أمير حاجب واستوفضي، فقلت: ما يُمكن أن أكتب إلا بحضور أمراء الحلّ والعقد، فعاد وشاوره، فأحضروا، وحضرتُ وكتبت، فأخذ القلم من يدي بعد التشاور، وعلم على «المنصور»، ثم انفصلتُ عنه، وكتمت الأمر عن رفقتي إلى أن ظهر سلطانه، وقام بالدليل برهانه.

كه زنبى مهرى حيدر زنبى روسيهام ميز ندروروزو شبان برمرخود جامن سم^(٤)

(١) الصواب: «إحدى عشرة».

(٢) الصواب: «تعلو».

(٣) عن الهامش.

(٤) شعر فارسي.

[مباشرة مهام السلطنة]

ولما كان سنة ثمانٍ وسبعين وستماية جلس مولانا السلطان على منبر المُلك وسريره، وَخَوَزَنَقَه^(١) وسديره^(٢). واستدعينا فإذا هو قد ملأ جوانبه بشخصه المنيف، وأقرّ العيون بمشاهدة نظره الشريف. وأمرأ الحلّ والعقد مبسوطون^(٣) / ٢٧ب/ الأَكُفْ لمُبايعة، مجمعون على مُبايعته. وأحضرت الختمات لتحليفهم فأخذنا في التحليف، وسارعت الأمراء للأمان من غير تكليف.

وفي أثناء ذلك نادى مولانا السلطان كبيرنا الخال محيي الدين ابن عبد الظاهر، ونارله إضبارة ورقٍ من يده، وقال: خُذْ ولديك واكتب على هذه العلائم، وهي العلائم التي كان الملك السعيد كتبها عند خروجه من القلعة، فقسمناها، وكُتبت كما في النفس وزيادة، وجُهِز بها المتسلمون.

[مكاتبة الملوك بالسلطنة]

ورسم - خلد الله مُلكه - فكتبنا إلى اليمن، وإلى الغرب، وإلى برِ سوداني، وإلى العراق، وإلى ماردين، وإلى سائر الملوك الفرنجية، المُهادنين، والمواذنين، والمكاتبين، بما مَنَّ الله به من مُلك مولانا السلطان، مبشرين بما وهب الله الأمة من شريفي الحُسن والإحسان. واستبشار الرعية بنعمة الله فيه، ووثوقهم بقمع أعداء الله واستدراك الفارط بخُسن تلافيه. وجُهِزت الرُسل إلى كلِّ جهةٍ بكتابها، وأكد عليهم في أن يأتوا البيوت في الأدب / ٢٨/ من أبوابها.

واستقرّ الحال، وحلّف الجيش بكماله لمولانا السلطان بأفصح مقال، وأؤكد تفصيل وإجمال.

(١) الخَوَزَنَق: قصر كان بظهر الحيرة، أمر ببنائه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عددي بن نصر بن الحارث... بناه له رجل من الروم يقال له سنقار في ستين سنة، فكان بيني الستين والثلاث ويغيب الخمس سنين وأكثر من ذلك وأقلّ فيُطلب ولا يوجد، ثم يأتي فيحتج. وعندما انتهى من البناء وقال: إني أعلم موضع أجرة لو زالت لسقط القصر كله، فقال النعمان: أيعرفها أحدٌ غيرك؟ قال: لا. قال: لا تجرم لأدعئها وما يعرفها أحد، ثم أمر به فغُذِف من أعلى القصر إلى أسفله فنقطع. فضربت العرب به المثل. (معجم البلدان ٢/ ٤٠١).

(٢) السدير: يفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت، وآخره راء. لفظ فارسي أصله سه دل، أي فيه فيها ثلاث قبات متداخلة. قيل هو قصر قريب من الخوزنق. (معجم البلدان ٣/ ٢٠٦).

(٣) الصواب: «مبسطون».

وأخذ مولانا السلطان في مكافأة خوجدا شينته بزيادة إقطاعاتهم الامتاع، بالملابس التي يحق لها الإمتاع. وألوف من الأموال من الورق والبعين، وإعلاء الرتب التي كادت أن تكون بمثابة العين من الحاجب والحاجب من العين. ودانت له الرقاب، وأعمل إلى أبوابه الركاب. وجاءت إليه رسل الملوك بالهناء، ووفدت عليه بالهدايا والتحف فانشى كل عن أبوابه بأحسن الشاء. وسار ذكر ملكه في العدو الأكبر التتار، وعلّموا أنهم وإن كان لهم الثار، لا بُد وأن يجدد لهم ثاراً وأني ثار. فاستعدوا واستجلدوا واستجدوا، واستجاشوا وجيشوا، وعلى من يستجدوا به فثشوا.

[الأوضاع والعلاقات الخارجية عند سلطنة قلاوون]

ملك مولانا السلطان والفرنج المخذولون بعكا، وصور، /٢٨ب/ وعثليث، وصيدا، وبيروت، وحصن المرقب، وطرابلس الشام، وقد انقضت (مدة)^(١) هُذَنهم المستقرة بينهم وبين الملك الظاهر، فظهر كل منهم في صورة المنافر. وكادوا يشفوا صدورهم وهيهات أن تُشفى، وأن يُخفوا نكاياتهم، وأبا^(٢) تدقيق النظر في حركاتهم وسكناتهم أن تُخفى. والملك السعيد بالكرك، ومماليكه تغار^(٣) إلى باب غزه، وخُمائِه حيقون إذ قد بدّلوا ذلّة بعد غزه.

والأمير شمس الدين سُتُر الأشقر قد شقّ العصا، وتسلطن بدمشق^(٤).

والتتار قد اختلفوا وتجمّعوا، وعلى قصد البلاد أجمعوا.

والدنيا مختبطة، والآمال في العدو^(٥) مُنبسطة. فقابل مولانا السلطان كلاً

(١) عن الهامش.

(٢) الصواب: «وأي».

(٣) الصواب: «تغير».

(٤) أنظر عن سلطنة الأشقر بدمشق في: تشريف الأيام والعصور ٦١، والدرة الزكية ٢٣٤، والمختصر في أخبار البشر ١٣/٤، ونهاية الأرب ١٤/٣١، ودول الإسلام ١٨٠/٢، والعبر ٣١٩/٥، وتاريخ ابن الوردي ٢٢٧/٢، والبداية والنهاية ٢٨٩/١٣، ومروءة الجنان ١٨٩/٤، وعميون التواريخ ٢١/٢٢٥، والسلوك ج ١ ق ٣/٦٧٠، ٦٧١، وعقد الجمان (٢) ٢٣٣، ٢٣٤، وتاريخ ابن سباط ١/٤٧١، وتاريخ ابن الفرات ١٦٢/٧.

(٥) الصواب: «العدوين».

بما يجب لمثله، وتوجه لأداء فرض حسم الداء ونفله. ولم يزل - خلد الله سلطانه - حتى جمع الكلمة، ومحي^(١) بنور طلعت ليالي الفتن المظلمة. وأرعب الأعداء، وسكن الدهماء، ويأتي ذكر ذلك مفصلاً.

[خروج السلطان قلاوون لمواجهة التتار]

كان القوم قد داخلهم الطمع، وغرثهم الخدع، وبسط آمالهم ما بلغهم ما اتفق للملك السعيد، وظنوا أنها فرصة تُنتهز، وموعدة تُنتجز. فاجتمعوا على قصد البلاد وأجمعوا، وجاءت الأخبار بدخيلة أمرهم، وجلية مكرمهم، وصورة ما عليه صمموا، وما له يسموا، وما فيه تسموا، إلا أنهم ما تمموا، ولا سلموا حتى ودعوا. ولا أقول ما ودعوا حتى سلموا لا بل ولا سلموا.

ولما تأكدت هذه الأخبار عند مولانا السلطان بكُتِب مكاتيبه، وقُضد أخباره الذين لا يزالون لمشافهة أخبارهم مُشافهيه. فإن مولانا السلطان مَلَكَ والمكاتيبون ببلاد التتار مُنْبَثُون، ولغامض أخبارهم مكاتبون، كبغداد، وتوريز^(٢)، والعراق، وسائر بلاد العجم، وماردين، والموصل، والروم، والكُرَج، وما من هذه البلاد وأكبارها^(٣)، لا بل ونوابها، [إلا]^(٤) يُطالعون بالأخبار أول^(٥) بأول. ولهم رسوم جزيلة لا تنقطع عنهم، وأموال جمة تُحْمَل إليهم. لا جَرَم أنهم كانوا بما كان من العدو وما يكون منهم. فلم يكذب مولانا السلطان خبراً، / ٢٩٩ب / ولا اتهم مخبراً. بل ساعد وتقدم إلى العساكر المنصورة، فخرجت أول^(٥) بأول، ولا شك فيما بلغه ولا تأول.

وعندما تكمل خروج العسكر خرج في الساقة، وبذل في تكملة العدة والعديد الجهد والطاقة. فحين وصل إلى غزة صحت عنده الأخبار أن القوم عندما طار إليهم خبر عزم مولانا السلطان طارت أنفسهم شعاعاً. ودخلوا مساكنهم جزعاً وهلعاً، ولم يكشفوا بالخسارة قناعاً، فأثر التخفيف عن البلاد الشامية من نقل وطأت^(٦) العساكر المنصورة التي ملأت الرحاب، وتسمت حتى الهضاب، وغضت بها البراري والقفار. وكادت أن تكاثر عدد أمواج البحار.

(٤) إضافة على الأصل بقتضيها السياق.

(٥) الصواب: «أولاً».

(٦) الصواب: «وطأة».

(١) الصواب: «ومحا».

(٢) يقال: توريز وتبريز.

(٣) الصواب: «وكبارها».

فأقام بغزة شهرين احترازاً من أن يعزَّ للقوم رأي ثاني^(١)، أو حسن لهم من هو لأعنيهم إلى قصد البلاد الشامية ثاني^(٢).

[كُتِبَ السلطان بالاحتراز من التار]

ورسم - خلد الله سلطانه - فكتبنا إلى الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير آل فضل بحفظ المعابر، من كلِّ عابر، وصيانتها حتى من الطير الطائر. وإلى الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي أمير آل مرا^(٣) بأن لا / ١٢٠ / يخرج في سنته إلى الحجاز. وإلى نائب الشام بأن تكون العساكر مهتأة مُنَجَّزة مجهزة. وكتبنا إلى سائر المكاتبين والنصحاء بأقاصي البلاد التترة:

«أن قد خرجنا بنية العزاة والجهاد، واستفتحنا ملكنا بما يكون بمشيئة الله تعالى من فتوح (أخر)^(٤) لأيماننا منه الطارف والتلاد. وخبا له ما استولت عليه يد العدوان من البلاد. على أنه ما كان قط فُتُوح إلّا ونحن عنوان كتابه، ومفهوم خطابه، وإقليد باب، والسابق إليه، والمتجاسر عليه، وقد علم ذلك كل من واجهناه (وجابهناه)^(٥)، وقابلناه وواجهناه، وإنما كان لمن سلف اللفظ ولنا المعنى، والبعيد ولنا الأدنى. وقد علم الله ذلك والناس، وتحققه من الأعداء سائر الأجناس. وما زال الملك من بين عينينا يتلمح، ومن صفحات وجهنا يتصفح، وقد كنا والاسم لغيرنا، نذب عن الإسلام أي ذب، وندفع عن حوزته ما ذرَج ودب، فكيف وقد أناط الله بنا أمور البلاد والعباد، وروى إلى ملكنا حتى التهائم والتجاد. وملكنا رقاب الأمم، / ٣٠ب / وأنفذ سلطاننا في العرب والعجم. وقد علم الله نيتنا وأعطانا على قدرها، واطلع على شكرنا لنعمته، فحولنا على قدر شكرها. وكتابنا هذا ونحن مقيمون بالبلاد الشامية إلى أن ينقضي شتاها^(٦)، وترتفع أنواها^(٧)، وتُحسن

(١) الصواب: «ثاني».

(٢) أنظر عن خروج المنصور إلى غزة في: تشریف الأيام والعصور ٧٨، وتذكرة النبيه ٥٩/١، والدرة الزكية ٢٣٩، وذيل مرآة الزمان ٥٢/٤، والمختصر في أخبار البشر ١٤/٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٨، والبدایة والنهاية ١٣/٢٩٢، وعميون التواريخ ٢١/٢٤٩، والسلوك ج ١ ق ٣/٦٨٢، ٦٨٣، وعقد الجمان (٢) ٢٥٤، وتاريخ ابن سباط ١/٤٧٤.

(٣) هكذا في الأصل. والصواب: «آل مرا».

(٤) كُتِبَ فوق السطر.

(٥) ما بين القوسين كُتِبَ على الهامش.

(٦) الصواب: «شتاؤها».

(٧) الصواب: «أنواؤها».

أدواها^(١). فَإِنْ حضر القوم فيها ونِعِمَّت، وَإِنْ لم يحضروا فنحن على عزم غزوهم، في عُقْر دارهم. وكم عزيمة لنا - بحمد الله - ثَمَّتْ.

إِنَّ الشَّجَاعَ إِذَا لَمْ يُسْتَرْزَرَ زَارَا

وسُيِّرَت هذه الكتب إلى من هي له بهذا النبا العظيم، وطُوِيَت ضلوع طرُسها على فحوى هذا التفخيم. كُلُّ هذا بترتيب قريبي الصاحب فتح الدين^(٢) صاحب ديوان إنشائه، فإنه، خَلَّدَ الله سلطانه، ملك ديوان المكاتبات بيد (و)^(٣) دادرية^(٤) غُلْف الألسنة لا يحIRON جواباً، ولا يُحسنون خطاباً. فانتقاه من بين شيوخ على صِغَر سِنِّه بالنسبة إليهم، وقَدَّمه حتى على والده وعليهم. فإنه كان يعلم مِثْلَ الْمَلِك الظاهر إليه، وأن ما من غزوة له إِلَّا وَكَانَ فِي جَالِشِهَا^(٥) بين يديه. ونرجع إلى ما / ٣١ / كُنَّا فِيهِ.

ولم يَخْلُ مولانا السلطان إقامته بغزة من مصلحة تعود على انتظام شمل الإسلام، وتقضي باجتماع الكلمة التي ظَنَّ تفرقتها مَن غَلَبَ عليه كاذِبُ الأوهام. وهو ما تَقَدَّمَ من حديث الملك السعيد وتجاسر من حوله، واعتقاد كُلِّ منهم أن يفيدَه ويعيده من جُرْد قُوَّته وحوله.

ذَكَرَ مَا كُتِبَ بِهِ مولانا السلطان إِلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ بِالكَرْكِ

رسم - خَلَّدَ الله سلطانه - فكَتَبْتُ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ مَا مِثَالُهُ، بعد ألقابه وتفخيمها، ومراعات^(٦) منزلته وتعظيمها.

«إِنَّه قد علم حُثُونًا عليه وإشفاقنا، وَحُسْنُ نظرنا في حَقِّه وحقِّ مَخْلُفِي أبيه حتى كدنا أن نَخْبِئَهُمْ^(٧) في آماتنا. ومراعات^(٨) أبيه الشهيد فيهم، وتنفيذ وصيته في

(١) الصواب: «أدواؤها»، أي مصانها.

(٢) هو أبو الفتح محمد بن محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر، تولى كتابة السُرِّ للسلطانين: الظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون، والأشرف خليل. مات سنة ٦٩١ هـ - بدمشق. (تالي وفيات الأعيان ١١٩، ١٢٠).

(٣) كتبت فوق السطر.

(٤) هكذا. والصواب: «دادرية».

(٥) الجاليش: طليعة الجيش.

(٦) الصواب: «مراعاة».

(٧) في الأصل: «تخباهم».

(٨) الصواب: «مراعاة».

ترقيهم وتوقيهم، ومثابرتنا على مصلحته، ومبادرتنا إلى تشييد مُلكه ومملكته. وأطلع الله على نيتنا ونيتيه، وأضمرنا / ٣١ب/ له وفاءً، وأضمر لنا غدرًا. فنهضت بينتنا بخاص دولته ونائبه، وما نهضت متمحلات ببيتته. ثم كابرنا في ذلك مع وضوح الحق بعدم تلقينا، ووافقنا والدته السَّتر العصمى الخاتوني ووفينا شرطها، وكان الأولى به أن يُوفينا. ولما كاد أن يستحكم الفساد، وأن تخلصوا^(١) من الأرواح والأجساد. لم نخفر ذمام البيت الظاهري بل أقمنا أخاه، وبلغنا والدته الشهيد ما كان لُصحننا توخاه. وتولينا أمر تدبيره، وبأشرنا رعاية لُصغره مصلحة كبير الأمر وصغيره. وكادت القضية التي حُشيت منه أن تبدو^(٢) جذعة، والمخوفة ممَّن حوله من فضلة سيفنا أن تبدو وكاسات غدرها مُترعة. وأن يوتى على هذا^(٣) العصاية الصالحية التي تعددت وقائع مناصرتها للإسلام، وطالت مدة مُدافعتها عنهم على تمادي الأيام. وإن تبدلوا بمن لا يُغني عن الإسلام عثًا، ولا يعني خمول ذكره بشهرة من أوسع الإسلام وأهله ثنا. وجاء نبأ نصر الله والفتح، ووفى الدهر ما كان في ذمته / ٣٢أ/ من مُلكنا ولا نُطيل الشرح. ولم نقدّم شيئاً على الإحسان إليه، والحُنو عليه. وحمايته ممَّن كان في قلبه من أبيه ومنه مرض وأي مرض، ووقايته من عَرَضٍ ربما عَرَض من ذي عَرَض. وتمكينه من الكرك وأموالها الجمّة، ونعمتها، التي ما مثلها نعمة. وتمكين من اختاره من ممالك أبيه من التوجّه صُحبته، وتوطينه ببقعة حفظت روحه ولا أقول صحته. وتوفير خاطره مما للملك من دواعي الأرواح، وإراحة فكرته من مراعات^(٤) حفظ البلاد والعباد التي لا ينهض بها كلّ راعي^(٥). ولو لم يكن إلاّ قعقة البريد، بمتجددات الأعداء التي تتجدد في كل يوم جديد، فلم تجز عن ذلك كلّهُ إلاّ بدفائن لا تُجدي عليه نفعاً، وطلب أوتاد في ضعف لا تجلب إليه وترأ من بلوغ غرض ولا شُغفاً. ودسائس مكاتبات لا تزال تحمل إلينا، ويُعرض فساد تخيل تحيلها علينا. ومن فاته الكلّ كيف يطمع في البعض، ومن فارق الجنّى^(٦) لا يغني عنه الغُصّ. / ١٣٢ب/ وقد كان الأمر بيدك فما أحسنت في حفظ رأس ماله، ولا فكرت في عاقبة ماله. وليس للمولى صديق ولا للمخذول ناصر، فتدازك نفسك قبل أن تقول في عدم مطاوعتنا: يا ليت،

(١) الصواب: «تخلصوا».

(٢) الصواب: «تبدو» من غير أنف.

(٣) الصواب: «هذه».

(٤) الصواب: «مراعاة».

(٥) الصواب: «كل راع».

(٦) الصواب: «الجنّة».

وقصر ذيل غاراتك، واكف عادية من يغرك بمجاراتك.

ونحن الآن قد خرجنا وفي صحبتنا من آلات الحصار ما لا يثبت معه سهل (ولا)^(١) جبل. ولا تفيد معه نكايات ولا حيل. ومعنا من العساكر ما ملأ الفضاء جيشها الكرار، وأربع زائر أسودها وهل مع زار الأسد إلا الفرار؟

فإن وقفت عند حدك المحدود. ودافعت عن يومك الموعود. وإلا فأنت الظالم على نفسك، والمؤاخذ في يومك بأمسك. والسلام.

وجَهزَ إليه هذا الكتاب، وانتظر منه الجواب، فعاد جوابه وقد صَدَرَ بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى ديارِهِمْ فَأُولَئِكَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُنْقَلُونَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَنْغِيهِمْ عَنْهَا وَعْدُ رَبِّهِمْ وَلَا يَجْعَلُونَ لَهَا بِرْدًا أُولَئِكَ هُمْ صَائِرُونَ﴾^(٢)، وضمنه بعد ذلك أَعذاراً ملفقة، وأحوالاً غير محققة. وسيرَ صحبتَه رسولاً فأعيد بجواب أمر من الأول، وأنكى عند من يتأول، وصَدَرَ بقوله تعالى: ﴿إِزْجِعِ الْيَهُودَ فَلَنَأْتِيَنَّكَمْ بِجُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣).

وتقدّمت أوامر مولانا السلطان بمضايقته وصار في أضيق من سُم الخياط، وجرد لذلك جُنْداً حرموه بقبض أنفاسه الانبساط. ورحل - خلد الله سلطانه - قاصداً مقرّ ملكه.

ذكر وفاة الملك السعيد وبما اعتمد (مولانا)^(٤) السلطان فيها من الوفاء

واستمرّ الملك السعيد إلى أن وافاه زائر الحمام، وانقضت أيامه حتى من الأجل ومن ذا الذي دامت له الأيام. فكانت وفاته في سنة ثمانين وستمائة بقلعة الكرك^(٥).

(١) كُتِبَ فوق السطر.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ١٧٣، ١٧٤.

(٣) سورة النمل، الآية ٢٧.

(٤) كُتِبَ فوق السطر.

(٥) انظر عن وفاة الملك السعيد في: تالي وفيات الأعيان ٥٢، وذيل مرآة الزمان ٣٢/٤، والمختصر في أخبار البشر ١٢/٤، ونهاية الأرب ٣١/٢٥، ٢٦، والنهج السديد لابن أبي الفضائل ٢٩١، والدرّة الزكية ٢٢٤، وزبدة الفكرة ٩/ورقة ١٠١أ، والمبر ٥/٣٢١، ودول الإسلام ٢/١٨٠، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٦٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٢٧، والبداية والنهاية ١٣/٢٨٩ و٢٩٠، والوافي -

فلما بلغ مولانا السلطان / ٣٢ ب/ وفاته شقَّ عليه أعظم مشقه، ودمعت عيناه لما جُبل عليه قلبه من رقه. وجلس بالإيوان الكبير لتلقي عزاته، واعتمد في ذلك اعتماداً من فقد أعزَّ أعزَّائه.

ولما توجه مولانا السلطان إلى دمشق في هذه السنة بنية الغزاة والجهاد، وهجر بتهجير (الرقاد)^(١)، ووصل الشهاد، وصل من جهة والده الملك السعيد من سأل مولانا السلطان في تمكينها، من إحضاره إلى دمشق ودفنه عند والده بترته فأجاب سؤاها، وتلقى بالقبول أقوالها. فلما حضر أمر مولانا السلطان أمراء الدولة الكبير والصغير بالخروج بالشموع ليلاً ومشيهم تحت تابوته. وخرج مولانا السلطان من قلعة دمشق إلى التربة المذكورة، وجلس بمحرابها، وبادر إلى هذه الحسنة واكتساب ثوابها. وحين رأى نعشه نهض له واقفاً على قدميه، وأخذ يكفكف حفظاً لناموس الملك دمع عينيه. وأمر الأمير عز الدين أليك الأفرم الصالحني بأن يباشر مواراته / ١٣٣/ بنفسه، فبادر إلى امتثال أوامره، وأنزل على والده هذا والقرآن يتلى، والوعاظ تتكلم بأحسن ما يكتب ويُملى.

وأمر مولانا السلطان فأنزلت والدته بدار الملك الزاهر تجاه المدرسة العزيزية^(٢) بخدمها وحشمها، وبالغ مولانا السلطان في رعاية ذمها، وأحسن لها التسلية، وقابل نداءها بالتلبية، ورتب لها ما يليق بمثلها من الإقامة. وأحضرها بالتعظيم والتبجيل أيام من مات. خلد الله ملكه ما أكثر خيره، وأجزل بره، وأوسع صدره، وأوفى ندره، وأوضح بشره. هذه الصورة في أمر الملك السعيد^(٣).

ذكر حديث الأمير شمس الدين سنقر الأشقر

هذا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من أجلّ الأمراء الصالحين، وهو علاني

= بالفويات ٢/ ٢٤٨، ومراة الجنان ٤/ ١٩٠، ومآثر الإنافة ٢/ ١٢٤، ودرة الأسلاك ١/ ورقة. ١٠، وتذكرة النبي ١/ ٥٣، والجواهر الثمين ٢/ ٢٩٦، والسلوك ج ١ في ٣/ ٦٦٩، وعغد الجمال ٢/ ٢٣٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٩، وتاريخ ابن سباط ١/ ٤٧١، وتاريخ الأزمنة ٢٥٧، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٢، وبدائع الزهور ج ١ في ١/ ٣٤٦، وتاريخ ابن الفرات ٧/ ١٦٥، وعيون التواريخ ٢١/ ٢٣٦.

(١) كتبت فوق السطر.

(٢) بناها الملك عثمان ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهي شرقي التربة الصلاحية، وغربي التربة الأشرفية، وشمالتي القاضلية بالكلاسة لصيق الجامع الأموي. (الدارس ١/ ٢٩٠).

(٣) هنا توجد ورقة طيارة معلقة فيها أحاديث شريفة وأقوال مأثورة لا علاقة لها بالكتاب.

منسرب لعلاء الدين الساقى الصالحى، وهو الجامع / ٣٣ب / بينه وبين مولانا السلطان في الخوجداشية. وقد تقدّم صورة حاله مع الملك السعيد، وأنه سافر معه وعاد بغير إقطاع.

ولما أفضت الأتابكية إلى مولانا السلطان لم يقدّم شيئاً على مصلحته، ولا أعلى رتبة أحد قبل إعلاء رُتبته، وفوّض إليه أمر النيابة بالشام المحروس، وخوّله نعمها الجسيمة، وأمتعه بغُرر منزهاتها الوسيمة. وأنفذ فيها أمره، وأعلى بنياتها ذُكره.

ولما بلغه سلطنة مولانا السلطان حدّثته نفسه بما لم يتمّ، وخسر لا بل حسر لثام الحياء ذاهلاً عما به يُلتم. واعتقد أنّ ملك الشام تمّ لغير ملك مصر وسلطانها، وأنّ الأفراد به في إمكان قوتها وقوة إمكانها، فتسلطن ولقّب نفسه بالكامل^(١). وكان اتفاقه مع من غرّته العافية، وجرّته القافية، بالمسطة الظاهرية بظاهر دمشق، فهناك حلف من حلف، وألّف ظناً منه أنه الألفى وما كلّ من ألف ألف.

ثم ركب وهجم قلعة دمشق في غصبته وغصابته، وظن / ٣٤ / أنه قد ربح بجسارته لا بل بخسارته. فلما ولّى عن المسطة المذكورة ظناً منه أنه قد تولّى، وأنّ الأمر قد تمّ له وأتته به الأوّلَى. ساق أحد ممالك الأمير ركن الدين بيبرس الشالىق الجمدار^(٢) الصالحى، وهو عزّ الدين أُنَيْك الخاصّ، وكان من ممالك الخال محيى الدين بن عبد الظاهر ابتاعه المذكور منه صغيراً فنبّل حتى عظم قدره، وشاع بالشجاعة ذُكره.

وحضر إلى قلعة الجبل المحروسة عصر اليوم الثالث من ركوبه من دمشق المحروسة، وأخبر الصاحب فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان المكاتبات بما تمّ، وبما ألمّ من ألم.

وحكى لمولانا السلطان في الوقت وأخبره فخلع على أُنَيْك المذكور خلعة

(١) نشرif الأيام والمصور ٦١، الدرة الزكية ٢٣٤، المختصر في أخبار البشر ١٣/٤، نهاية الأرب ١٤/٣١، دول الإسلام ١٨٠/٢، المعبر ٣١٩/٥، تاريخ ابن الوردي ٢٢٧/٢، مرآة الجنان ٤/١٨٩، البداية والنهاية ٢٨٩/١٣، عيون التواريخ ٢٢٥/٢١، السلوك ج ١ ق ٣/٦٧٠، ٦٧١، عقد الجنان (٢) ٢٣٣، ٢٣٤، تاريخ ابن سباط ٤٧١/١، تاريخ ابن القرات ١٦٢/٧.

(٢) الجمدار: لفظ فارسي مركّب من «جم» و «دار»، معناه حامل الملابس، وهو الموظّف المختصّ بخزّانة ملابس السلطان وإلباسه الثياب الخاصة بكل مناسبة. (حدائق الياسمين ٦٨).

نفيسة ووصله بمالٍ جسيم . وشكر له حُسن مُناصحته بألفاظٍ أرق من النسيم . وثبت مولانا السلطان لهذه الصدمة ، وأظهر فيها حركةً في سكونٍ وهمةً وأيَّ همة . ثم طلب الكتاب ، فحضرنا بين يديه ، وأمر على لسان كاتب سرِّه الصاحب فتح / ٣٥ب/ الدين بن عبد الظاهر باستدعاء ورق الطير ، وكان معي مُعدّاً لمثل هذا المهم ، محضلاً لوقوع مثل هذا المُلم ، فقلت : هو حاصل . فأملى على كاتب سرِّه المذكور نسخة إلى سائر أمراء الشام ومقدميها ، ومفاردتها فأسرعتُ في تعليقها ، وأعجلتُ القلم في توريقها .

واتفق أنَّ مولانا السلطان قال للصاحب فخر الدين ابن لقمان ، وكان من أكابر الكتاب ، وأجلِّ الأصحاب . وله هجرة صالحة ، ومكاتبه صاحبة . إلا أنه كان قد خُمِّلَ ذِكْرُه في هذا الزمان ، وتقدَّم عليه الصاحب فتح الدين بإصابة رأي السلطان ، قال له : يا فخر الدين اكتبوا لكلِّ الأمراء ، فانتهر فرصة المشاكلة ، وظنَّ أنه ربَّما قامت عن الفرض النافلة ، فقال للسلطان : لعلَّ مرسوم مولانا يبرز بحضور بعض كتاب الجيش ليُعرفنا أسماء الأمراء ومنازلهم . فبدَّرتُه بإخراج دستوري وسكَّته ، لا بل بكَّته ، لا بل بكَّيته ، وفتحت الدستور وأوريت . ومولانا السلطان ينظر أمراء مصر والشام ميمنتها وميسرتها ، فقال / ٣٦ب/ له مولانا السلطان : إذا لم تعرف سُلَّ من يعرف . وشرعنا في الكتابة إلى كُلِّ بما مثاله ؛ بعد الألقاب^(١) :

«إنا قد بَلَّغنا ما أنفق من وقته وساعته ، وتولَّت الملائكة الكرام الحَفَظَةَ فضل إذاعته وإشاعته ، من حديث سُنْفَر الأشقر وتقفره ، وتعاطيه وعداً لم يكن اللُّهُ بمنجزه ، وتسئمه لذروة لا يستقرُّ به قرارها ، وتوثِّبه على مملكة طال ما أجبجت ممن سِوَاهُ نارها ، وتحقَّقنا الصورة كما وقعت ، والحالة كما توقَّعت . وإنَّ المجلس كان فيها مُكرَّها لا بطل ، وأنه ما وسَّعه إلا الموافقة خوفاً على نفسه وهو معذور ، ومُدَّارةً للوقت ودخولاً تحت القدر المقدور ، وتيقُّناً أنه معه صورةٌ ومَعْنَى معنًى ، وأنه مصروف العنان إلى جهتنا تصريفاً لا يُشنى . كيف وما زلنا عليه بحسن المخالصة نُشني ونشني . ونحن والله والله وتالله وتالله وبالله وبالله وبالله / ٣٦ب/ لم نُشكَّ في وُدِّه ، ولا نرتاب في صحَّة عقد عهده . ولا غيَّرنا عليه مغير ، ولا أثر في قلبنا غير ما يعهده مؤثِّر ؛ فيشرح صدره ، ويروج سرِّه . ويعلم أنه عمَّا

(١) أُلصقت هنا ورقة طَيَّارة فيها أحاديث شريفة وأقوال مأثورة لا علاقة لها بموضوع الكتاب .

قريب يترك المشار إليه، عما توثب عليه . ويحصل الغرض بمشيئة الله تعالى وقدرته، ويُجرينا على المألوف من نصرته . فَيَعْلَمَ ذلك ويطيب نفساً، ويقرّ عيناً . والسلام» .

وَجَهَّزَتِ الْمَلَطَفَاتِ أَوَّلَ^(١) بِأَوَّلِ فِي الْخَفِيَّةِ صُحْبَةِ قُصَادٍ، وَوَصَلَتِ الْأَجْوِبَةُ مِنْ كُلِّ بِالْخَلْفِ أَمَّا^(٢) قَالَه مَوْلَانَا السُّلْطَانُ مِنَ الْغَضَبِ صَحِيحٌ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ رَأْيِهِ تَبَدُّوا^(٣) لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ بَادِرُوا إِلَيْهَا، وَكَذَا بِاللَّهِ كَانَ .

وَكُتِبَ إِلَى الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ شُنْفَرُ الْأَشْقَرِ كِتَابٌ مِثْلُهُ :

«خَلَّدَ اللَّهُ نِعْمَةَ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ الشَّمْسِيِّ، وَلَا زَالَ مَمَاحِيكٍ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْصَافِ يَعْرِفُ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِهِ، وَبِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ يَسْتَعِيزُ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ الْخُرُوجَ عَنْهُ وَمَسَّهُ . وَبِمَا أَلْفَهُ / ١٣٧ / مِنْ اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوَازَةِ الْإِسْلَامِ لَا يَخْرُجُ إِلَى وَحْشَةٍ تَفْرِيقُهُ عَنْ أَنْسِهِ . وَبِمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِ عُلُوِّ قَدْرِهِ مِنْ اتِّبَاعِ وَضُوحِ مَنَهِجِ الْحَقِّ لَا يَرُكِنُ إِلَى كَيْسِهِ، أَصْدَرْنَاهَا إِلَيْهِ مُتَضَمِّنَةً مَا لَا يَسْغُرُ إِلَّا التَّأْمِينُ عَلَيْهِ عَاتِبَةٌ بَلْ غَائِبَةٌ حَاضِرَةٌ، وَفِي النِّيَابَةِ عَنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَنِ الْأَلْسُنِ الْغَائِبَةِ . رَاجِعَةٌ بِهِ عَمَّا ارْتَكَبَهُ مِمَّا لَا يَدُومُ، مُغْلِيَةً عَلَيْهِ مَا سَامَهُ مِنْ شَطَطٍ كَانَ الْأَلْيَقُ بِمِثْلِهِ وَلِمِثْلِهِ لَا يَسُومُ . وَهُوَ مَا ظَهَرَ فِيهِ مِنْ إِدْعَاءِ مُلْكٍ جَهَّةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهَا بَلْ لُمْدَعِيهَا تَسْتَقِلُّ وَلَا تَنْهَضُ بِالْدَفْعِ عَنْ حَوَازَتِهَا بِمَنْ حَوَتْهُ، وَهِيَهَاتَ وَكَمْ جَهْدُ الْمُقَلِّ، وَهَلْ هِيَ إِلَّا ضَمِيمَةٌ لِلْمَمْلَكَةِ الْمَصْرِيَّةِ وَجُنْدُهَا، وَدَخِيلَةٌ تَحْتَ ذَيْلِ مُنَاصَرَتِهَا، وَكَمْ لَهَا مِنْ مِثَّةٍ فِي جِيدِهَا، وَمُنْصَوِيَّةٍ إِلَى أَبْجَادِهَا، وَمُتْرَامِيَّةٍ إِلَى إِسْعَافِهَا وَإِسْعَادِهَا . وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمٍ، وَكَمْ مَرَّةً أَخَذَتْ بِيَدِهَا عِنْدَمَا زَلَّتْ بِهَا الْقَدَمُ . وَكَمْ سَامَهَا مَا سَمَتْهُ فَأَغْلَتِ سَوْمَهَا . وَكَمْ رَامَ مَا / ٣٧ب / رُمَتْهُ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ تَحْتَ الذَّلَّةِ وَقَدْ أَسْلَمَ قَوْمُهَا . وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَرِيدُ وَمَنْ نَرِيدُ، وَتَعْرِفُ حَقِيقَةَ مَا قُلْنَاهُ مِنْ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ . وَمَا زِدْتُ عَلَى أَنْ فَرَّقْتُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، وَأَطْمَعْتُ الْأَعْدَاءَ لَا بَلْ أَشْمَتُهُمْ بِتَفْرِيقِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِلْتِمَامِ . وَجَعَلْتُ لِمَنْ قَبْلَكَ ذَنْباً لَمْ يَجْتَرِحُوهَا، وَأَوْجِبْتُ عَلَيْهِمْ مَوَآخِذَاتٍ بِأُمُورٍ لَمْ يَقْتَرِحُوهَا . عَلَى أَنَّهُمْ بِمَا تَحَقَّقْنَاهُ بُرْءَاءُ مِنْهُ لَا مُحَالَةَ، غَيْرَ مَوَآخِذِينَ بِهِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ مَثَا إِذْ كَانُوا مَغْضُوبِينَ عَلَى مَا رُمْتُ مِنْهُ . ثُمَّ وَلَوْ حَاسِبْتُ

(١) الصواب: «أولاً» .

(٢) الصواب: «أَنَّ مَا» .

(٣) الصواب: «تبدؤ» من غير ألف .

نفسك لما ارتكبت هذه الخطئة، ولا حططت بها مروءتك هذه الخطئة. ولا قمت في وجه حقنا ببطالك، ولا جازيت إحساناً النقد بمماطلك. وأنت تعلم كيف سافرت مع الملك السعيد وكيف عُدت وكيف قرُبت من خمورك في أيامه وما بعُدت، وما أجدى رأيك عليه وعليك، وما ساقته مناصرتك إليه وإليك. وأنت كان أعلى رتبك الحرمان / ٣٨ / وأتجز الإحسان إليك وعد باللسان، فلم ألبث أن قلدتُك الشام، وقلدتُ عُتقك بالأيادي الجسام، وأجزلتُ لك النائب، وفارقتك على أنك النائب، فتطاولت إلى نقل اسمك، والخروج عن رسمك. وكأني بك تقول إنا قد افترقنا نائبين (وتقاسمنا المملكة)^(١)، وما وجه الأولوية، وإن كلا الذمتين بما انتقلت إليه مليه. وهو تحيل لا شبهة في فساد، وتحيل لا تُكر لعناده، وأين (من)^(٢) وقع عليه الإجماع مصرأ وشامأ، وخطبه له أولو الخُل والعقد نقضاً وإبراماً. وعهد إليه أمير المؤمنين ومد له كف مُبايعته. وكل على دعوته أسرع مؤمنين، وأفاض عليه شعاره العباسي فتبسم به ثغر (كل)^(٣) مملكه، وأناه كتابه فتلقاه باليمين. سالكاً في القبول مُسلكه. وهل السابق كاللاحق بابتداعه، وهل المُجمَع عليه كالذي قنع من نفسه لنفسه بإجماعه. ولو كان ما تلبس به لا بل لبس واستغنى به، وكأنه به وقد أفلس بولاية لولايتنا لكان أفضل / ٣٨ ب / للمتقدم قول ليس عن دعواه ثاني، وحسبنا في إراقة دمه، ما جاء عن النبي ﷺ من قوله: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثاني».

هذا، وهي الخلافة المعظمة، وإمرة المؤمنين المفتحة، فكيف بفروعها المُحطّطة عن قدرها، المندرجة تحت نهيها وأمرها. فخلّ عنك ما عللت به (شُرّه)^(٤) نفسك، وتدارك بيوم رجوعك أمسك. واركب في سرجك، واسلك أوضح نهجك، ودع الإسلام وشمله الملتئم، والكلمة ونفردا الملتزم، واغمد سيف الفتنة من حيث سللت، وحلّ من مكان النيابة حيث حللت. وامنح دعوى الكمال، بتلقيك الكامل بيد تنصلك. واجلب القلوب النافرة عنك، بما أُلّف من قديم حُسن توصلك. ولا تظن بأن لمن حولك حول ولا قوة لمناصرتك. ولا أن لهم نيّة في مُعاصرتك. وإنما معك الصورة ومعنا المعنى، ولك من البعيد الشخص ولنا من القريب الأدنى. وإن كابرزت

(٢) نُكِت فوق السطر.

(١) عن الهامش.

ويجمعك المفلول كاثرت، فسيأتيك / ٣٩ / بدعوانا الخبر اليقين، ولتعلمن نبأه بعد حين. ولا تعتقد أننا لا نقيّل عثرتك، ولا نغفر زلتك. فوالله متى اعتذرت قبلنا عذرك، وعرفنا لك من الخوجداشية قدرك. وأقبلنا عليك، وأحسنّا مع الإساءة إليك. وأويناك حيث تحبّ وتختار، وأريناك بالمرافقة على ما تحبّ أن تتدبره لصيانة نفسك المصونة مثلاً إن رجعت لِمَنْ عَقَبِي الدار. وهذا كتابنا ينطق علينا بالحق. وقلنا شاهدٌ علينا بما عودناه من صدق. وكفى بالله شهيداً. والسلام».

وسُيّر إليه الكتاب، فما أجاب ولا أناب، ولا باشر التنصل بنفسه ولا استتاب. بل صمّم على الخطأ، ومدّ إلى المقارعة الخطأ^(١). فلما أيس من إذعانه، ورجوعه عن عدوانه، جُهِّزَتْ إليه شُرْذمة من العساكر المنصورة، تقدّمها الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير، وأخذ عليه مولانا السلطان في أن لا يجرد سيفاً حتى يُعذر إليه، ولا يُراق دمٌ حتى يُعرض الرجوع عليه.

وكتب على يد الأمير علم الدين / ٣٩ب / أماناً من مولانا السلطان له، وسير معه خاتمه ومنديله، ومن مضمون الأمان:

«إنّا لا نؤاخذه بما اعتمده، ولا ننقم عليه ولا نُضمر له سوءاً في اليوم ولا في ما بعده. ولا نحلف فيما التزمناه وعده، وإن حضر إلينا كان بمنزله وأعلى^(٢)، لا يخاف غيلة ولا خديعة ولا مكرأ، وهو الأليق بنا في حقّه والأولى. وإن اختار قلعة يتدبرها أجبنّا اختياره، وبلغناه أوطاره، هذا أماننا، والله والله والله، وتالله وتالله، وبالله وبالله وبالله إنّا لمؤفون له إن أجاب ﴿وَإِنْ لَهُ عِنْدُنَا لَزُلْفَى وَحُسْن مَآبٍ﴾^(٣).

فأبأ^(٤) إلا السيف، وامتنع من قزّي ما لوُفِد عساكرنا من حقّ الضيف. وبرز وبارز، وركب في جيشٍ مُستعار، وارتكب لمحاربة إخوانه المسلمين عاراً وأني عار. فحين طلع نجم صنّجق مولانا السلطان الشريف كَسَفَتْ شمسُه، وخاب في اليوم أمسه. وهرعت الأمراء الشاميون إلى صنّجقنا فدخلت تحت ظلّه الممدود، وانتهت / ٤٠ / إلى حدّ التزامها المحدود.

(٣) سورة ص، الآية ٤٠.

(٤) الصواب: «فأبى».

(١) الصواب: «الخطي».

(٢) الصواب: «وأعلى».

وأما الأمير شمس الدين سُنقر الأشقر فإنه كان قد أعد قلعة صهيون لهروبه، ورأى حذّه نفس مكتوبها وما كان أسعده لو جرى نخت مكتوبه . ففرّ مُنهزماً، وأخلّ بما كان به لمن تابعه من الشرط ملتزماً^(١) .

ودخل الأمير عَلم الدين المشار إليه إلى دمشق فسذّ حَلَلَهَا، وأوضح سُبُلَهَا، وأعاد حقّ مولانا السلطان منها إلى نصابه، وأعلن باسمه على منابرها وأنه الأولى به .

واستقرّ سُنقر الأشقر بصهيون، وصُعب عليه بحضرها ما ظنّ أنه يهون .

ذِكْر ما اتفق للأمير شمس الدين سُنقر الأشقر بعد ذلك

ولما خرج مولانا السلطان في السنة المذكورة للجهاد في أعداء الله التتار الذين كان أطمعهم الأمير شمس الدين سُنقر الأشقر بخلفه، وحملهم على الحضور بعدم فكرته في عاقبة من / ٤٠ب / تركه من خلفه . وحلّ بدمشق بالعساكر الإسلامية التي أعدّها، وتجاوزت في الكثرة حُدّها، وسلّت سيوفاً أمضت النصر المضمونة من الله حُدّها . جرّد أمامه وقد قويت الأخبار أنّ القوم واصلون لا محالة، وتأكدت بصحة مكاتبات النُصحاء وأنّ ما منهم إقاله . ووصلت مكاتبات نائب الرحبة أنهم حوصروا من القوم بجيش كبير . وأنهم في ضيق^(٢) من القاصد أن يسير معهم عسير . فلم يلبث مولانا السلطان عند سماع هذا الخبر المقلق إلّا أن خرج للوقت مُطلقاً لاعتة خيل الله وحقّ له أن يُطلق . وبدأ فجرد إلى الرحبة طائفة كبيرة من العساكر المنصورة . وأمر فكتبَتْ عنه - خَلد الله مُلكه - إلى الأمير شرف الدين عيسى بن مُهَنّا بالمسير والمصير إلى جهة الرحبة . وكتبنا إلى الملك المسعود خضر ولد الملك الظاهر بإنفاذ من عنده بالكرك من العسكر الظاهري، وإلى عربها بني عُقبة في أن يحضروا وإلى / ٤١ب / الديار المصرية بإرسال من تأخّر بها من العساكر، وإستادارية الأمراء والعرب بأن يحضروا إلى سائر الجهات . ولم يتأخّر

(١) تاريخ مختصر الدول ٢٨٨، تشریف الأيام والعصور ٦٥ - ٦٩، ذيل مرآة الزمان ٣٥/٤، المختصر في أخبار البشر ١٣/٤، الدرة الزكية ٢٣٥ - ٢٣٧، نهاية الأرب ٣١/٢٠، ٢١، زبدة الفكرة ٩/ورقة ٥٤، دول الإسلام ١٨٠/٢، العبر ٣٢٢/٥، تاريخ ابن الوردي ٢٢٧/٢، البداية والنهاية ١٣/٢٩٠، عيون التواريخ ٢١/٢٤٢، مرآة الجنان ٤/١٩٠، تذكرة النبی ١/٥٧، ٥٨، السلوك ١٣ ق ٣/٦٧٦، عقد الجمان (٢) ٢٤٢ - ٢٤٦، تاريخ ابن ساط ١/٤٧٢، تاريخ ابن الفرات ٧/١٧٢ .

(٢) كتب في الأصل: «في ضيق البسیر» ثم شطب على «البسیر» .

أحدُ عن فرض الله الجهاد، وخُشِر الناس وقد نادى لسان التناصُر من كلِّ وادٍ بكلِّ وادٍ.

وأعمل مولانا السلطان السيرَ وقد بلغه أنَّ القوم انتخبوا من الألف مائة، ومن المائة عشرة، وأنهم شتوا بالأطاق^(١) - ومعنى هذه اللَّفظة الجبل الأبلق - وهو خارج الدَّرْبَنَدات^(٢) وتشتيتُهُم فيه علامة على قصد البلاد. فلم يزل - خلد الله ملكه - يحث السيرَ بنية الغزاة الصادقة، ويطوي المراحل في كلِّ غاربة وشارقة. والأخبار من جهة النُصحاء تتأكد، والقُصَاد منه وإليه تتردّد، إلى أن حلَّ ركابُه حمص، فلَمَّا بلغ التنازَ المخذولون^(٣) هذا الاهتمام، وتفويق هذه السهام، وإعلان هذه الأعلام، وقُدوم مولانا السلطان في أحسن هيئات الإقدام، علموا أنهم لا قُدرة لهم بمصادمة هذا ٤١١ ب/ الجيش الجزار، ولا لهم استعداد يقابل هذا العزم الكرار. وحصل لهم من الرعب ما ثبَط عزمهم، وثبَّج حزمهم، وكاد أن يبذّر نظمهم.

وكان المقدّم لهذا الجيش الحاضر به منكوثمر بن هولاكو. وسبب حضوره أنَّ أخاه أبغا ملك التتار الآن، والقائم بأسته، والمتولّي أمر سياسته، وقد تقدّم إليه، وقد ألخ (عليه)^(٤) في طلب مملكةٍ بأن يجمع الجيوش من أدنى بلادهم وأقصاها، فتتبع العساكر من التتار والكُرْج والروم والأعجام واستقصاها. وأن تفتح البلاد الشامية ويستملكها، وأن يستقطع كلَّ أرض يسلكها. وما هو إلّا أنَّ غرَّته العافية، وخُيِّل له قُرب الأجل موافاة ما عَدَّت له منيَّته مُوافية. هذا، وأحواله عندنا يوماً بيوم لابل ساعة بساعة، والمكاتبون بإنفاذ القُصَاد باذلون في إعلامنا جُهد الاستطاعة.

وعند ما تحقّق مولانا السلطان الخبر، يادر لاقتفاء الأثر، فبينما نحن كذلك / ٤٢١ إذ ورد كتاب النائب بالرحبة، وبآخِره مُلَطَّفَةٌ قد أُلجِّقت بعد ختم كتابه، متضمنة أنَّ التتار قد أحاطوا بالقلعة^(٥) كما تقدّم.

(١) الأطاق: بهزة قطع في أوله، وهو بالتركية، آلا داغ، أي الجبل.

(٢) الدَّرْبَنَد: لفظ فارسي معناه: سنبلة يُغفل بها باب الدكان أو الحانوت. دخلت العربية منذ العصر الأيوبي، ثم انسحب اللفظ لِطُلُق على المعابر الضيقة بين جبلين والمضايق التي تقطعها الأنهار (معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ١٧٨).

(٣) الصواب: المخذولون.

(٤) عن الهامش.

(٥) نهاية الأرب ٣١/٣١.

ذِكْرُ مَا انْعَقَدَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ثُمَّ نَقِضْ

كان مولانا السلطان قد عقد الرأي والمشور مع أمرائه في أن يرجع ويكون القتال بمرج الزنبقية ظاهر دمشق، وأن في ذلك مصالح، منها: القرب من دمشق وقلمتها لاحتمال عدم النصر - والعياذ بالله - ولا نُكْرُ، لأنّه قد جاء عن النبي ﷺ «لا تتمثوا لقاء العدو فإنهم يُنصرون كما تُنصرون»^(١). واختلفت آراء الأمراء، فمنهم من آمن على ذلك، ومنهم من قال: الرأي أن يُقسم الجيش قسمين، يتقدم قسم، ويتأخر قسم، فإذا خُذِل الأول أُرِدِفَه الثاني، فقال - وهو الأمير علاء الدين طبرس الوزيري -: ليس هذا برأي لأنّا إذا أخذنا حَزْمَةَ نِشَابٍ وسللناها سهماً / ٤٢ب/ سهماً وكسرناه تكسر الجميع. وإذا أخذنا الجملة وأردنا كسرها لم تنكسر، ولا نلتقي الكل إلا بالكل، هذا، والرأي على الرجوع مستمر.

وما أكمل مولانا السلطان كلامه مع قريبي الصدر فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء الشريف بأن يكتب إلى النائب بدمشق بما وقع عليه الرأي، وأن يُخرج دِهْلِيْزاً^(٢) وسوقية إلى مرج الزنبقية، حتى فرغت الكتاب كما أملاه مولانا السلطان. وعندما التفت الصدر فتح الدين إليّ بأن أكتب ناولته الكتاب مفروغاً، وعندما ناولته وقّده لمولانا السلطان ليشمله خطّه الشريف عجب من سرعته، وأثنى على (عُلُوِّ)^(٣) همته، ولا أقول همتي تضاولاً عن عُلُوِّ رُتْبَتِهِ. وسلّم الكتاب بعد ختمه للبريد. وأكد مولانا السلطان على البريد في سرعة سيره، وانفصل بعد تقبيل الأرض. فأشار إلى الصدر فتح الدين بن عبد / ٤٣أ/ الظاهر بأن أعوّق البريد، فامتنع عليّ، فرسّمت عليه بعض مماليكنا.

وأمر مولانا السلطان بتقويض الدهلير. وركب مولانا السلطان بهذه النية، ولم يزل إلى أن وصل إلى مفرق الطُرُق ما بين حمص ودمشق، فاجتمع

(١) أخرجه في حديث طويل، وفيه: «لا تتمثوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا». البخاري في الجهاد ٤ ج ٩ باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى نزول الشمس. و ٢٤/٤ باب لا تتمثوا لقاء العدو، وفي التمني ٨/ ١٣٠ باب كراهية لقاء العدو، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٤١) و (١٧٤٢)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٣١) باب في كراهية تمني لقاء العدو، وأحمد في المسند ٢/ ٤٠٠ و ٥٢٣.

(٢) الدهليز: لفظ فارسي بمعنى: معبر ما بين اثاب والدار. ودخل إلى العربية بالمعنى نفسه ولا زال شائعاً حتى الآن في البلاد الشامية.

(٣) عن الهامش.

الأمراء والشيوخ من مقدّمي الحلقة الصالحية ورجعوا به عن ذلك الرأي في الرجوع، وصنّموا على قصد حمص، لئَلَمْ ما حَصَلَ لتلك البلاد عند الجفلة من الصّدوع.

وأمر مولانا السلطان فكتب للأمير علّم الدين سَنَجَر الباشقردى الصالحى ما مثاله :

«يا علّم الدين ما هو وقت دعوى الفُروسية، وأن يغرّك من معك من العسكر الحلبى، فتحمل فيمن قبلك من التتار على كثرتهم، فتفسد الحرمة من غير بلوغ قصد، فيكون بينك وبين التتار مسافة يوم كامل، متأخراً إلينا إلى أن نجتمع على أخذ هذا العدو المخدول».

هذا نصّ (كلام)^(١) مولانا السلطان / ٤٣ب/ وكتبَ إليه به عنه، وعاد جوابه بالسمع والطاعة، وأنه لا خروج له عن السّنة والجماعة.

ذكر ما اعتمده مولانا السلطان في أيام إقامته بحمص

أقام مولانا السلطان بحمص خمسة عشر يوماً، وفي كل يوم يركب هو ومشايخ الصالحية وأمراء الحلّ والعقد، ويصعد هو وهم فوق تلّ هناك، وهو الذي بُنيت عليه قبة النصر، ويُعقد الرأي هنالك. وفي كل يوم تركب العساكر المنصورة بكمالها مُلبسة، معتقلة رماحها، شاكية سلاحها، ويتكوزون وهو ينظر إليهم تدريباً وتمريناً، وتهدياً وتأدياً.

ذكر ما رآه مولانا السلطان أيضاً في هذه المنزلة وما انعقد عليه الرأي

قد تقدّم أمر من جُرد إلى الرحبة المحروسة من العساكر / ١٤٤أ/ والغربان. ولما صحت الأخبار في كثرة هذا العدو وتنوّع أعدائه، وقوة استعداداته، عُقد المشور، واقتضى الرأي مداواة الأخطر، وحفظ الأكثر من العدو الأكبر. بأن يحضر من جُرد إلى الرحبة إلى حمص، وأن يكتب إلى نائبها بأن يمّسك خيله ريثما يلتقى الجمعان، ويتناصف الصّفان. فحضر من كان هنالك إلى هنا، وتكفل (بحفظ)^(٢) من رحلوا عنه إلّا هنا، فحضروا وقويت شوكة الإسلام بحضورهم، واعتقد العدو أنها نجدة فحاروا في أمورهم.

(٢) عن الهامش.

(١) كتبت فوق السطر.

ذِكْرُ احتفال المكاتبين بحقيقة أحوال القوم

قد تقدّم حديث المكاتبين والمناصحين لله ولرسوله وللإسلام. ولما كان قبل مُلتَقَى القوم ومولانا السلطان نازلُ بحمص، حضر قاصد (من)^(١) ديار بكر من جهة، كبير جليل سلك الجهة، / ٤٤ب/ على يده مُلَطَّف بعدد القوم وتفصيل جملتهم، وحصر عدّتهم، وأسماء مُقدّمي ثَماناتهم^(٢)، وأجناس تجنيسهم، وتلبس شعارهم لرعا عريّتهم من العوام، وهي عادة تلبس إبليسهم. وأخبر هذا القاصد أنه خاض القوم ميمنةً وميسرة، وقلباً وجناحين، وأخبر أنهم في غاية الكثرة، وإنما ساق منهم من عليه جَنَى الخين. وتضمّن المَلَطَّف المذكور أنّ القوم مائة وعشرون ألف فارس^(٣). وطابَقَ هذا الخبر في العدة ما كان أخبر به جَلَدَر^(٤) بهادر أمير أخور^(٥) هولاکو الذي كان أمسك بعين تاب.

ذِكْر الصورة في إمساك جَلَدَر بهادر المذكور

كان منكوتر أخو أبغا طاغية هذا الجيش عندما قرّب من البلاد الشامية وجدها خالية من المساكر والرعايا، وتجفيلهم استجراً له، وإنهاكاً لقوّته، وبُعداً لمسافة عَوْدَه عند كُشْرته، / ٤٥أ/ صار يركب وينفرد عن جيشه في شُرْذمة يسيرة للصيد، وكم من رام أن يصطاد فاصطيد، وكانت أجناد عين تاب يركبون في كلّ يوم ويتخطّفون منفرد القوم، ويتداولون ذلك اليوم بعد اليوم، فيظفرون ويغنمون ويعودون. واتفق أنهم ركبوا يوماً وأبعدوا عن الحصن، فصادفوا منكوتر المذكور

(١) عن الهامش.

(٢) ثَماناتهم = طوماناتهم، مفردها تومان = طومان، وهو لفظ فارسي بمعنى الأمير، أو القائد على عشرة آلاف فارس.

(٣) في نهاية الأرب ٣١/٣١ يزيدون على ثمانين ألف فارس من المغل. وفي الدرّة الزكية ٢٤٢: إنّ التار في مائة ألف فارس. وفي تاريخ ابن سباط ١/٤٧٥ أن العسكر يتوف عن ثمانين ألفاً، منهم ٥٠ ألفاً من المغل، والباقي مجتمعة من الكُزج والأرمن والمجم وغيرهم.

(٤) ضبطه المؤلّف بفتح الجيم وسكون اللام، وفتح الدال المهملّة، وفي آخره راه. وقد ورد في نهاية الأرب ٣١/٣٠: حلنارة بالحاء المهملّة والتاء المثناة، وفي تاريخ ابن الفرات ٧/٢١٣: حلنارة بالتون.

(٥) أمير أخور: المتحدّث عن اصطبل السلطان وخيوله، وعادته أن يكون مقدّم ألف يتحدث فيها حديثاً عافاً، وهو الذي يكون ساكناً بإصطبل السلطان، ودونه ثلاثة من أمراء الطليخانة. (صبح الأعشى ١٨/٤، ١٩).

في قليل من القوم، ومعه هذا «جَلْدَر بهادر». وكان أبغاً قد سيّره معه ليستضيء برأيه فيما يأتي ويَذُر، ولا يخرج عن إشارته وزدأً وصدَر. لأنه من كبار قومه، وشيوخ قور لقاي هولكو أبيه بزعمه. فحين رأى جَلْدَر بهادر أجناد عين تاب قال لمنكوتر: «أُنْج بنفسك وِرْج أنت ومنا ومنهم لأنك إن قابَلْتهم وقابلتْهم وانتصرت عليهم فلا فخر، وإن خَذِلْتَ كان عاراً، ففرّ منكوتر، ووقف جَلْدَر بهادر ومعه بعض من كان مع منكوتر، وتجاللوا وتصادموا، فعيّن بعض أجناد عين تاب على وتر قوس جَلْدَر بهادر بسيفه فقطعه، / ٤٥ب/ وضربه آخر بدبوس في رأسه فصرعه، وهرب من كان حوله، واشتغل أجناد عين تاب بالأهم من إمساك هذا الخصم الألد بما أبداه من صَوْلِه. وهم التتار لا حيلة لهم إلا النشأ، ولا نفوذ لهم إلا ما يُرسله ما لقُسِيهم من قاب. لا يدرون ما المطاعنة بالرمح، ولا كيف يستقي بأشطانها ما للأجساد من أرواح. ولقد حمل بعضهم عليّ برُمج ليس له سنان وطعنتي عدّة طعناتٍ بعد أنْ اثْنَحْتُ بالجراح، فلم يؤثّر في ذلك الطعان.

ثم إنَّ النائب بعين تاب عندما اقتنص جَلْدَر بهادر سَرَح الطائر الميمون بالبطائق، بطليعة هذا النصر العزيز، وأماير هذا التأييد الذي أبرزه الله (أعظم)^(١) دليلاً^(٢) عليه قبل التبريز. وللوقت كتبت جواب البطائق حسب الأوامر الشريفة السلطانية بالاحتفاظ بالمذكور، وجَهَز تحتها الأمير عزّ الدين أبو شامة الشهابي الحاجب على خيل البريد، وعلى يده مثال / ٤٦أ/ شريف بتسليمه له في القيد إن كان فيما للحياة من قيد، وأن يجَهَز الجماعة الذين رَمَوْه إلى الأبواب العالية. فسُلم له، ووصل إلى دمشق المحروسة ومولانا السلطان بميدان القصر الأبلق يُطارِد الكُرّه، ولا أقول يلعب، ويتمرن على المدافعة وما زال في مثل ذلك يذأب. وهو رجلٌ تامّ الخلقة، ضخّم الجفّة، عريض الأكتاف، صغير الرأس. فاستؤذن مولانا السلطان عليه وهو منجمل في المطاردة، فوقف واستوقف، وألقى عصا جوكانه^(٣) التي كانت لكُرّة مطاردته تتلقّف. وأحضّر جَلْدَر بهادر المذكور متوكّناً على من أحضره من ثقل قيده، ورأسه معصوبة من الضربة التي صغرت خذيه في التراب،

(١) عن الهامش.

(٢) الصواب: «دليل».

(٣) الجُوكان: لفظ فارسي بمعنى العصا المصفوفة. وهي التي كان يلعب بها السلطان ويقذف بها الكُرّة. وهي عصا البولو التي تشبه الآن لعبة الهوكي.

وأزته من شدة وقعتها العَجَب العُجاب، وأمر بتقبيل الأرض فأبى من حُمفه، ونُهي فصمَّ إبَّاساً ممَّا بقي من رَمَقه. وكان كثير الضحك، فعمد إليه الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار فألقى برأسه إلى الأرض، وأقامه من سُجُوده / ٤٦ب/ لتقبيل يد مولانا السلطان ليحصل على السُّنة والفرص. فقبَّلها مراراً، ورأى ما هاله من حُسْن هيئة^(١) مولانا السلطان وهيبته وجميل صورته. وعلم أنَّ ذا الحق لا يُمارى.

ثم أمر مولانا السلطان بانصرافه إلى قلعة دمشق المحروسة وإنزاله في بُرج من أبراجها، وأن تُحمَل له الفُرش والحُكماء ويداوى، وأن يقرَّر له من الإقامة كفايته وزيادة. وأحسن له - أحسن الله إليه - العادة في العيادة.

ولما حضر مولانا السلطان إلى القلعة من الميدان استحضره واستخبره، فأخبر بمثل ما تضمَّنه المُلطَّف الواصل من ديار بكر من العِدة والعُدَّة.

وأملَى عليّ قريبي الصنِّد فتح الدين صاحب ديوان الإنشاء الشريف مقدَّمي القوم، حتى كان إملاؤه ومُلطَّف ديار بكر لم يَخْتَلِفَا في مذهبه.

ولما عزم مولانا السلطان على التوجُّه للقاء القوم جهَّز المذكور إلى ديار مصر. ولما عاد بعد نصره إلى مقرِّ مُلكه أحسن إليه، وأفاض / ٤٧أ/ بملباس النعماء عليه. وأجرى رزقه، ووفاه من الصدق في الأخيار حقَّه. وأطلقه من الأسار، وصيره بعد العبودية من الأحرار. إلى أن مات في خدمته، وأدركه ما فاته من الموت عند صرعته.

ذِكْر الرُكُوب للقاء العدوِّ المخدول

ولما كانت ليلة الخميس المسفِر صباحها عن اليوم المبارك الرابع عشر من شهر رجب الفرد سنة ثمانين وستماية، بات مولانا السلطان والعساكر المنصورة على ظهر قُوضت الخيام، ونهَيْتات القسي لاعتقال عوامل السهام. وتلمظت^(٢) السيوف في الأغعاد خنقاً، وشكت الرماح بئُغدها عن أسنتها بطُول ليل انتظارها أَرْقا. ووزَّرت الجواشن أطواقها على اسم التحصين، وحمى الحديد فظنَّ في ظلامها أنه ومضان برق أو شعاع شمس بما أبداه صقالها من تحسين. وأسفر نجاب

(٢) في الأصل: 'تلمظت'.

(١) في الأصل: 'هيئة'.

صُبْحُهَا / ٤٧ب/ وعلى يده مُخْلَقٌ^(١) تملأ الدنيا بشائره، وأشرقت شمس يومها وقد جاء نصر الله والفتح الميمون طائره، فترتبت الجيوش الإسلامية ميمنة وميسرة، وانضمت جناحين لا تسأل في الإقدام نظرة إلى ميسرة. ونُشِرت الأعلام المحمّدية، وأظلت الراية السوداء العباسية. وبايع مولانا السلطانُ الله ورسوله، ورفع يديه مبتهلاً بأن يبلغه من نصر الدين المحمّدي سوله. ووقف وما في الموت شكّ لواقف، وأقدم من ممالكه في جَمْع متكاثف. وارتفعت الأصوات بتلاوة القرآن، واجتمع حول جواد مولانا السلطان من الفقراء والمشايخ الصلحاء الحاضرين من مصر وبغداد والبطايح والعراقيين والشام جمعٌ كبير مشاة. وتقدّمت الجالشيّة، وأقبل القوم فغصّ الفضاء بكثرة جمعهم، وضاق وسعاً عن وسعهم وارتفع عجاجهم، وهال ثجاجهم، وأمطرت غمامتهم السوداء مطر السوء من سهامهم. وخطت وما / ٤٨أ/ تخطت مرسلات نبل أعلامهم. ودارت سواقي غجل النيل، إلا أنها قُربت بالخطأ (من الخطأ)^(٢) لا الصواب، وجاءت خور عين معاينتهم فدخلت على المستشهد بها من كلّ باب. وأخذ مولانا السلطان في تثبيت عساكره، واستجار القوم من غير رهج وثوقاً بالله ناصره.

ثم إن التتار المخذولين صاروا كُردِيساً^(٣) واحداً بعد الترتيب، وحملوا على الميسرة الإسلامية حملة رجل واحد فراجعوا عنها كيما تخسر وثبّتهم وتخب.

وعندما بلغ مولانا السلطان خبر الميسرة وتأخرها، وتحيرها وتنازعها، وأن التتار قد صاروا خلف صناعقه المنصورة أمر بلقها، وتبطل الكوسات^(٤) وكف كفها.

ثم لم يزل مولانا السلطان على من بقي من القوم إلى أن هزمهم بإذن الله وقوّته، وشئت شملهم بعظيم سطوته^(٥).

(١) المخلوق: الكتاب أو الرسالة المعطرة بالروائح، المخلقة بالمسك وغيره.

(٢) عن الهامش.

(٣) هكذا، والصواب: كردوساً. والكردوس: القطعة العظيمة من الجيش.

(٤) الكوسات: مفردة كوسة: ضئج من نحاس تشبه الترس الصغير يُدق بإحدهما على الأخرى بإيقاع.

(٥) أنظر عن موقعة حمص في: تاريخ مختصر الدول ٢٨٨، ٢٨٩، وتاريخ الزمان ٣٤١، ٣٤٢، وزبدة الفكرة ٩/ ورقة ١١٢ب - ١١٩ب، والذرة الزكية ٢٤١ - ٢٤٧، والمختصر في أخبار البشر ١٤/٤، ١٥، ونهاية الأرب ٣١/٣١ - ٣٥، ودول الإسلام ١٨٢/٢، ١٨٣، والعبر ٣٢٦/٥، ٣٢٧.

واتفق لمنكوترم مقدّم هذا الجيش أمر عجيب .

ذُكر ما اتفق لمنكوترم في هذا اليوم

٤٨ب/ كان الملك المنصور صاحب حماة قد أهدى للمقرّر الحسامي طرنتاي نائب السلطنة المعظمّة فرساً جيّداً، قيل إنّ ثمنه خمسة عشر ألف درهم . وكان الأمير حسام الدين قد توغّل في المحاربة، ففُرح فرسه، فطلب الفرس المهدى إليه، فلمّا أقبل ليركبه ساب من يد أمير أخوره، ولم يزل إلى أن وقف قدام منكوترم، فاستبشر به، وانثنى ليركبه . وكان منكوترم هذا يغوّج الرقبة، أضور^(١) خلقه، فحين انثنى ليركب جاءته نصابة في عوجة عنقه . فأخذها وهرب على تلك الفرس . فكانت له نعشاً أدناه من مصرعه . ورجعت به ولكن لا تسَل كيف مرجّعه، وخُذِل القوم بخذلانه، ولم يمُت حتى أَكَل ما نُقِل لسانه، من شدة الألم بأسنانه^(٢) .

ذُكر ما اتفق عند مواجهة القوم

لما ركب مولانا السلطان للملتقى وقعت البطاقة /٤٩/ من حصن الأكراد على جناح الطائر، مضمونها أنه قد وصل إليه الخبر من جوا طرابلس الشام أنّ التتار المخذولين سيروا جمعاً كبيراً منهم إلى طرابلس ليخرجوا منه ويكونوا من وراء العساكر المنصورة عند مواجهتهم القوم باللقاء . ولما قرأها قريب المملوك

= وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٢٨، ٢٢٩، ومرة الجنان ٤/١٩١، والبدابة والنهاية ١٣/٢٩٥، ٢٩٦، وعيون التواريخ ٢١/٢٧٨ - ٢٨٠، وتذكرة النيه ١/٦٢، ٦٣، وتاريخ ابن خلدون ٥/٣٩٨، ومآثر الإنافة ٢/١٢٩، وتاريخ الخميس ٢/٤٢٤، والسلوك ج ١ ق ٣/٦٩٠ - ٦٩٩، وعقد الجمان (٢) ٢٧٢ - ٢٧٨، ومشاريع الأنواق ٢/٩٤٧، ٩٤٨، والنجوم الزاهرة ٧/٣٠٢ - ٣٠٦، وتاريخ ابن سباط ١/٤٧٥ - ٤٧٨، وتاريخ الأزمنة ٢٥٩، وتاريخ ابن الفرات ٧/٢١٢، وبدائع الزهور ج ١ ق ٢/٣٥٠، والتحفة الملوكية ٩٨ - ١٠٢ .

(١) هكذا في الأصل .

(٢) أنظر عن موت منكوترم في : تاريخ مختصر الأول ٢٨٩، وتاريخ الزمان ٣٤٣ وفيهما أن منكوترمه مات مسموماً، ونشريف الأيام والعصور ١٨، ونهاية الأرب ٢٧/٣٩٩، ٤٠٠، والمختصر في أخبار البشر ٤/١٥، ١٦، والدرة الزكية ٢٤٣، ودول الإسلام ٢/١٨٣، ١٨٥، والتحفة الملوكية ١٠٧ (حوادث سنة ٦٨١ هـ) . وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٢٩، وعيون التواريخ ٢١/٢٩٣، وتاريخ ابن خلدون ٥/٣٩٩، ومآثر الإنافة ٢/١٢٩، وتاريخ الخميس ٢/٢٤٢، والنهج السديد ٢٣٤، ٢٣٥، والسلوك ج ١ ق ٢/٧٠٥، والنجوم الزاهرة ٧/٣٤٨، وتاريخ ابن سباط ١/٤٧٨، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/٣٥٠ .

الصدر فتح الدين المذكور على مولانا السلطان أحضر أمراء المشور، وقُرت عليهم، فلم يلجأوا على ذلك، وقالوا: نحن إذا لقينا القوم ودارت بنا رحى الحرب الزبون لم يبق يُعرف لنا إقبال من إدبار.

وأمر مولانا السلطان بتسريح الطائر بجوابها، مضمونه أن تُثبت ولا تخرج من القلعة أنت والبحرية^(١) المجردون بها إن مرّوا به ويَدْعهم. غير أنه يُسارع بتسريح الطائر مُخبراً بمرورهم عليه لا غير، ويدعنا ولطف الله وإياهم. فلم يكن بأسرع من أن عادت الطير بأن جماعة خرجوا من الحصن بشعار التتار من السراقوجات^(٢) وغيرها. / ٤٩٩ب/ وأن الخبر الصحيح ورد عليه من مكاتبي طرابلس النصحاء أن الذين خرجوا ليسوا^(٣) تتاراً بل فرنجاً أرادوا التشويش والإيهام والإيهام. وأنهم لم يجسروا أن يُعدوا عن باب طرابلس. بل حيلوا وتحيلوا^(٤).

فهم مولانا السلطان الصورة، وهو آخذ في شأنه من جهاد القوم، مُكب على حملاته التي لم يُر في أنف وسالف ما لها من يوم.

ولما فر القوم لا يلوي أولهم على آخرهم، وانهزموا بين يديه كلّمى قد أثرت الجراحات في بواطنهم وظواهرهم، وعاد مولانا السلطان إلى منزلته وقد ظفر بيوم نصره الموعود المنزل من السماء بمُحكّم آيته. فبينما هو كذلك إذ عاد من كان من التتار قد ساق خلف الميسرة عندما خاتلتهم بالانحياز، واستجرتهم لثريهم صدق الكثرة التي جعلها الله للمسلمين عليهم الحقيقة من المجاز. وكان هؤلاء القوم من التتار عشرة آلاف فارس أو يزيدون. وللوقت ركب مولانا السلطان في شزيمة يسيرة / ٥٠٠/ من مماليكه. ولم يكن عند ركوبه من هو من الأمراء واقف بين يديه، إلا الأمير سابق الدين بُوزبا الساقى الظاهري، وغلم الدين زُرّيق الجولاني^(٥). وللوقت أمر مولانا السلطان فدقت الكوسات، ونُشِرت الرايات، وأنت العساكر عند سماعها مُسرّعين، وعند إعلان بُوقاتها باستدعائهم لإتمام إهلاك عدو الله سامعين مطيعين.

(١) البحرية: جماعة من الممالك كانوا يبيتون بالقلعة حول دهليز السلطان بهدف الحراسة.

(٢) السراقوج: غطاء الرأس عند المغول.

(٣) هكذا، والصواب، «ليسوا» بالالف في آخره.

(٤) تفرد المؤلف بهذا الخبر فلم أجده في المصادر المتوفرة.

(٥) في الدرّة الزكية ٢٤٣ «علم الدين زريق الرومي».

وعندما اجتمعت العساكر تحت الصناجق المنصورة، وغدت التتار بين مولانا السلطان وبين إعدام بقيّتهم محصورة دُهِشُوا لِمَا نَابَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْحِيرَةِ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَا خَلَاصَ لَهُمْ وَقَدْ أَحَاطَ بِهِمْ مُوَلَانَا السُّلْطَانُ ضَرَرَهُ وَضَيْرَهُ، وَلَوْ الْأَدْبَارَ، وَفَزَوْا وَلَكِنْ لَمْ يَنْفَعَهُمُ الْفِرَارُ، لِأَنَّ مُوَلَانَا السُّلْطَانُ - خَلَّدَ اللَّهُ مَلَكَهُ - حَدَّ لَهُمْ فَجَدَلَهُمْ، وَعَاجَ لَهُمْ فَعَا جَلَهُمْ، وَسَاقَ لَهُمْ فَمَا صَاقْلَهُمْ، وَغَسَلَ بِمَاءِ السَّيْفِ خُبْنَهُمْ. فَطَهَّرَ مِنْهُمْ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ / ٥٠ ب/ وَسَاقَ أَرْوَاحَهُمُ الْكَافِرَةَ وَلَا غَيْرَ الْخَزْيِ وَاللَّعْنَةُ زَادَ.

وكانت هذه الطائفة التي أخرها عمن قتل من قومها ما فرغ ربك منه من ساعة ذلك الأجل، وأمهلها ولم يهجلها إلا ريثما قُضِيَته في أكدر عيش من الخوف والوجل. قد نزلوا السوق خلف الميسرة الإسلامية إلى المحل الذي عزمت الميسرة على الكثرة عليهم منها، واشتغلوا بكسب حمالة المسلمين واغتنام كسر سفريهم. وحملتهم نهم الجوع على سوء عاقبة سفريهم، إلى رجب من صفرهم. وأطمعهم ما بلغهم من كثرة مال مولانا السلطان، وما صحبه من الخزائن التي ملئت بما يملأ العين من العين، وما الخبر كالعيان.

ذِكْرُ خُرَيْبِيَّةٍ اتَّفَقَتْ عِنْدَ الْمَصَافَةِ

لم يشعر مولانا السلطان والقسي من الجهتين متراسلة / ٥١ ب/ برُسل الموت من سهامها، والسيوف حاسرة بتجردها من الأغمداد مُدَارَ لثامها. والعوامل من القبيلتين على الاندفاق في الصدور عامله، والصفوف حوامل وكم ولدت من عجيب حقود، هي على طلب التتار حامله، إلا وقد حضر بعض أجناد الحلقة، ومعه نُشَابُهُ فِيهَا بِطَاقَةٍ مُرَبَّوطة فَحَلَّ رِبَاطُهَا، وَشَكَرَ عَنْ آدَاءِ نُصْحِهَا جِهَادَهَا وَرِبَاطُهَا.

وحين فضّ مولانا السلطان ختامها، وحسر لثامها، تقدّم الصدر فتح الدين صاحب الديوان فقرأها، وأحسن بحسن الأداء قراها، ومضمونها:

«يا سلطان الإسلام، قد بلغ التتار، أن بين يديك خزانة يقال لها خزانة دينار، على مائة بغل مائتا صندوق، في كل صندوق خمسة آلاف دينار عينا، وقد عيّنوا عليها، وعرفوا جهتها، فانصبوا إليها، فعزّذ جذرك، والسلام».

فشكر مولانا السلطان معار جناح هذا السهم المسرح، / ٥١ ب/ وأثنى على

مرسله ثناء من كُتِبَ^(١) وصرح. ووَدَّ لو عرفه ليجزيه عن هذه الحسنة عشر أمثالها، ويعامل نصيحته الإسلامية بما يقضي بإحلالها أعلا^(٢) مَحَالَّ إجلالها.

وتقدّم أمر مولانا السلطان إلى خزانة دينار ففرغت، وأديرَت أكياسُها على خواصّ الأمراء مماليكه ولا أقول أكواسها، وجزم مولانا السلطان فيما مَن هذا الخبر عن، وجَزَم والجزم سوء الظن. وتقدّم مرسومه الشريف فكتبنا أسماء من تسلّم هذا المال، وأحسن الله تعالى بسعادة مولانا السلطان فيه وفي من تسلّمه العُقبى والمآل.

ذَكَرَ مِنْ جَهَّزَهُ مولانا السلطان فِي أثرِ مَنْ لَعَلَهُ مِنَ التَّارِ انْهَزَمَ.

ولما فرغ مولانا السلطان من قتالهم، وبلغ الغرض من إديارهم باستقبالهم، تقدّم أمره إلى المجلس العالي الأمير بدر الدين بيلىك / ١٥٢ / الأيدمرى الصالحى بأن يسوق في جماعة من العساكر المنصورة في أثر من لَعَلَهُ انهزم منهم، وأن لا ينفصل إلا بعد تطهير الأرض عنهم.

ولم يزل الأمير بدر الدين إلى أن وصل إلى مقصبة على نهر، فبلغه أنهم أكمِنوا في المقصبة مستقتلين، وأن كُلاً منهم فرَغ تركاشه^(٣) وجثا على رُكبتيه متقرّبين ومُبعدين.

وكان من المجزدين صُحبة المذكور جماعة من المماليك السلطانية الزّزاقين^(٤). فَإِنَّ مولانا السلطان، خَلَدَ الله مُلكه، كان قد علِمَ جماعةً من مماليكه إلى أن أجادوا، فأمرهم الأمير بدر الدين برمي قوارير البُفَط فمنهم من احترق. ومنهم من استجار من حَرِّ النار بما لبرد الماء من الغرق. وعاد الأمير بدر الدين. وأقام مولانا السلطان بحمص مكان الوقعة إلى أن جُهِزَت البشائر بِكُتُبِها، وسارت أنباء هذه النُصرة في شرق البلاد وغربها.

وبلغ مولانا السلطان أَنَّ أهل دمشق قد قلقوا عندما وصل إليهم بعض الأمراء

(١) الصواب: «كُتِبَ».

(٢) الصواب: «أعلى».

(٣) تركاش: حُفْنَه.

(٤) الزّزاق: هو النافع في آلة حربية على هيئة القارورة أو الأنبوب تُحشى من الداخل بِكَوّة من الكتان والأنسجة المخلوطة بِذَرَات الحديد، تزرق بزيّ النفط وتُشعل وتُلْقَى على الأعداء. (معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ٢٢٠).

/٥٢ب/ الفازين بين يدي الميسرة المنحازة ريشما كُرت، فكانت لها الكُرّة وعادت فحمدت عاقبة العُود بما نال (عين)^(١) أعيانها من القُرّة. فأكد مولانا السلطان على الصدر فتح الدين في سرعة تجهيز طير البطائق ولا أسرع من الطير، وحث على أن يحُث البريد تحتها السير. فأسرع الصدر فتح الدين إلى أن صار يسرح الطير والبطائق مخلّقة بالزعفران من غير كتابه، ويضّمخ الطير فيأتي بأدّل دلائل النصر عند داعي طايّره المقابل بالإجابة.

وكنْتُ قد أنشأت قبل الركوب للمصاف ما يكتب به في هذه البشرى تفاؤلاً يُمْنها، وتبرُكاً بحُسن طئها. وهي:

ما يكتب به بعد الألقاب

«نوضح لعلّهم أنّا لما زكينا على إسم الله بنية الغزو والجهاد، وفارقنا الأهل والوطن (لا نلوي)^(٢) على العُود، وتوفّأ لحسن الجزاء يوم المعاد. /٥٣/ ولم نزلْ نطوي المراحل (مستنجزين)^(٣) ليوم النصر الموعود مُجذّين لشهادة وقته المشهود. ونحن واثقون من الله بالنصر والظفر. متحقّقون أنّ سيلخ أدنى الرعية وأقصاها من نصرنا خير خبر. وما من منزلة إلّا ونجد مع تراذف أخبار القوم وقوّتها في نفوسها انبعاثاً وانسراحاً، ولا أدلّجنا في مَهْمَه إلّا ورأينا مَسَاءَه بانسباط خاطرنا صباحاً، وعندما حللنا بحمص أخذنا في الأُبهة بالحزم، وحددنا ما لم يرث من العزم. وأدّنا في الناس بالجهاد فأتوا من كلّ فج عميق، وأعلّنا بكلمة التوحيد فتتابعت خيل الله يقفو منهم الفريق الفريق. وجاء نصر الله والفتح، واقتدح زناد سيوف الله فأنار الوجود بذلك الاقتداح، بما لمشهور ما في الأعداء من قدح. وبَلَعْنَا عَن القوم وبَلَعْنَهُمْ عَنَّا، وأقبلوا علينا صورة إلّا أنّا أقبلنا عليهم (صورة)^(٤) ومعنى.

ولما كان /٥٣ب/ يوم الخميس أقبل القوم وأقبلنا، إلّا أنهم استدبروا من أمرهم ما استقبلنا، وشاهدوا من تنوّع قتالنا ما لم يكن لهم به يدان، ودانوا ودنا إلّا أنّا نُصِرْنَا بأشرف من به يدان، ورأينا جمعهم الملقّق فكانوا كالمثل المضروب بالذباب. الكثرة والتتان. ولم نلْبُثْ أنّ صدقناهم الحملة، فأتى كلّ مُفَرِّدٍ من

(١) عن الهامش.

(٢) كتبت فوق السطر.

جيشنا على الجملة منهم فالجملة. فأخذوا في المخاتلة، ونحن نجد في المقاتلة. وعمدوا إلى المخادعة، ونحن لا نفتر في المقارعة، وجروا على عادتهم في توليهم الإمداد، أي أنهم انكسروا، وظنوا أنه تجلب لهم ربح خديعة خسروا. وكانت عدة القوم مائة ألف أو يزيدون، وجاءوا في أجناس محبشة من تبار وفرنج وأرمين وأعجام وكُرُج من كل حَدَب ينسلون. وحمي الوطيس، وتوَع فيهم القتل ما بين / ١٥٤ / جريح وكسير وفطيس. وجدَّ النضال، وقرعت النصال النصال، وطلبت الأوتار الأوتار. وغتت السيوف الإسلامية بغرس النصر ولا غير رؤس أعداء الله التتار (النثار)^(١). ولم يكن إلَّا كلمح البصر أو هو أقرب، أو جلسة خطيب ومن السُن الخرصان^(٢) على منابر العوامل أخطب. حتى مُحِيت آثارهم، وهُتكت عن أرواحهم من الأجساد أستاذهم. وحيل بينهم وبين ما يشتهون، وظلموا أنفسهم بالتجاسير على بلاد الله (ولسان)^(٣) النصر يتلو^(٤) «وَسَبَّحُوا لِلَّهِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»^(٥). ولم يبق العزم الإسلامي منهم فاتك^(٦)، ولا من يقول لهمتنا المؤيدة: فاتك. وكانوا قد حملوا على الميسرة بجملتهم فما حمدوا عاقبة حملتهم، فكرت عليهم أيما كره، وأخذتهم وقد وثقوا بانحياز المسلمين عنهم على غره. وكتابتنا هذا وقد أيد الله الإسلام ونصره، وأظفره بأعدائه وأقدره، وجنود الله قد شَفَوْا صدور السيوف من ظهور الملحدين، وعونه / ٥٤٤ هـ / قد أيدهم فأصبحوا على عدوهم ظاهرين. فلأخذ حظه من هذه البشرى بهذه النبوة التي ما سطر مثلها من الثوب. وهذه النصره التي وهبها الله فله الحمد فيما منها وهب. ولتتقدَّم بضرب البشائر، والتحدث بنعمتها في كل مقيم وسائر. والله تعالى الموفق بكرمه.

[عودة السلطان المنصور إلى القاهرة]

وعاد مولانا السلطان إلى دمشق وقد زُخرفت بالأمته الثمينة، ورُئيت فكان

(١) عن الهامش.

(٢) هكذا، والصواب: «الخرسان».

(٣) عن الهامش.

(٤) الصواب: «يتلو» من غير ألف.

(٥) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٦) الصواب: «فاتكأ»، وأوردتها المؤلف هكذا لاتفاق السجع.

يوم دخوله إليها في الحقيقة يوم الزينة. وأقام بها رؤثما استنجم، ورحل قاصداً كرسى مملكته القاهرة وقد قدر فقهر، وقهر^(١) فقذر. ودخلها وقد هُبت^(٢) بدخوله، ورُيت أنتم زينة سروراً بحلوله. وقد خلّيت أخطاها من ثمين الجواهر بأشرف الحلى، ومُلي من نفائس الأقمشة والأمتعة الملا. وحين حلّ بقلعة الجبل أفاض ملابس الخلع على من كان في خدمته من الأمراء والكُتاب، وأتاب كُلاً / ١٥٥ أحسن ما يُثاب^(٣).

[ظهور أمر التتار اعتباراً من سنة ٦١٥ هـ]

وانقضت هذه الغزوة على أحسن الصُور، وتكفل الله تعالى أعانها بالطفاه في الورد والصدر. وهي غزوة ما اتفق مثلها في الإسلام، ولا جرت حتى ولا في الأوهام. فإن هذا العدو كان ظهور أمره في سنة خمس عشرة وستماية، وقصد العراق والمعم فآبادهم، وخرب ديارهم، وعفى آثارهم. وقصد بغداد وفيه جيش لا يردُّ يد لا مس بقتال، ولا يعرف ما للحرب من أوجال انقضاء الآجال. وهو اسم بلا جسم، وداء بلا حسم. وجمغ بلا كثرة، وكثرة بلا جمع، وقوم لا يعرفون لأوامر الجهاد طاعة ولا سمع^(٤). ومما يُسطع به عليهم أنه قيل لأحدهم: لِمَ لا حملت على خصمك؟ فقال: القنطارية بيدي اليمنى، والطارقة بيدي اليسرى، واللكازات في رجلي كيف أعمل به أكضمه^(٥)؟

ولما قصدوا حلب ودمشق كان الملك الناصر بن العزيز^(٦) مشغولاً بملاذه

(١) كتب بعدها: «وقهر» ثم شطب عليها.

(٢) في الأصل: «هيات».

(٣) الدرّة الزكية ٢٤٨.

(٤) الصواب: «ولا سمعاً».

(٥) هكذا، والمراد: أكظمه.

(٦) هو الناصر يوسف بن العزيز الأيوبي صاحب حلب ودمشق والجزيرة، وهو آخر ملوك بني أيوب بالشام. قتله التتار سنة ٦٥٨ هـ. أنظر عنه في: تاريخ مختصر الدول ٢٨٠، وذيل الروضتين ٢١٢، وذيل مرآة الزمان ٤٦١ - ٤٦٩ و ١٣٤ / ٢، وتاريخ المسلمين لابن العميد ١٧٦، وتالي وفيات الأعيان ١٦٦ - ١٦٨ رقم ٢٧٧، والمختصر في أخبار البشر ٢١١ / ٣، والدرّة الزكية ٥٧ - ٥٩، وتاريخ الإسلام (وفيات ٦٥٨ هـ). ودول الإسلام ١٦٦ / ٢، والعبير ٢٥٦ / ٥، ٢٥٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٢٠٤ - ٢٠٧ رقم ١٢٣، والتحفة الملوكية ٤٣، وتاريخ ابن الوردي ٢١٢ / ٢. ومراة الجنان ١٥١ / ٤، وأمرأة دمشق ١٠٢، وفوات الوفيات ٣٦١ / ٤ - ٣٦٦ رقم ٥٩٥، والسلوك ج ١ ق ٤٣٤ / ٢، والنجوم الزاهرة ٢٠٣ / ٧، وشفاء القلوب ٤٠٨ - ٤٢١ رقم ١٠٧، والدارس ١١٥ / ١، وتاريخ ابن سباط ٣٩٤ / ١، ٣٩٥، والقلائد الجوهريّة ٨١، وشذرات الذهب ٢٩٩ / ٥، وترويح القلوب ٥٧ رقم ٨٩، وإعلام النبلاء ٢ / ٣٠٢.

عن الفكرة / ٥٥ب/ في طارقيهم، منهجاً على مأكله ومشربه ومتنزهاته، مشغولاً بمجلس خواضه في الحُسن ومُطابقهم. على أن هولاء كتب إليه مُهولاً عليه فيما حكى لي الصدر تاج الدين أحمد بن سعيد المشهور بابن الأثير كاتب ذرجه، وكان رفيقي بديوان الإنشاء بمصر، أن هولاء كتب إليه: «وقد حضرنا إليك في جيوش لو نزلت على الجبال لتسفتها، أو وردت البحار لتزفتها، وهذه القرينتان فيهما من بلاغة الإبلاغ (وإبلاغ)»^(١) البلاغة ما لا عليه مزيد.

ثم، والوقعة التي كانت على عين جالوت^(٢) مع الملك المظفر قُطر مملوك الملك المُعز مع أبا نُؤين، كانوا ثماناً واحداً. والثمان عشرة آلاف فارس.

[مقتل المظفر قُطر]

وكان الملك المظفر قد خرج بالعسكر المصري والشام والجافل إليه، والشهارة، والأكراد، وسائر العربان والعشير. وباليته عندما بها نجح^(٣)، وعندما وازن نفسه مُعجِباً بها جاء الحق لكنه نقص وما رجح، فإنه قُتل / ١٥٦/ بمنزله قُصير الصالحية سنة سبع^(٤) وخمسين وستمائة، عند عَوْدِهِ.

(١) عن الهامش.

(٢) أنظر عن موقعة عين جالوت في: الروض الزاهر ٦٣ - ٦٦، والتحفة الملوكية ٤٣، ٤٤، والحوادث الجامعة ١٦٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٦٥ - ٣٦٧، وذيل الروضتين ٢٠٧، ٢٠٨ و ٢٠٩، والذرة الزكية ٤٩ - ٥١، وتاريخ المسلمين ١٧٥، وتاريخ مختصر الدول ٢٨٠، وحسن المناقب السرية، ورقة ٧ب، ونالي وفيات الأعيان ١٢٩ وفيه «عين جالوت»، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٠٥، ودول الإسلام ١٦٣/ ٢، والعبير ٥/ ٢٤٢، ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (٦٥٨ هـ). ومرآة الجنان ٤/ ١٤٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٧٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧، والبداءة والنهاية ١٣/ ٢٢٠، ٢٢١، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٧٩، ومآثر الإنافة ٢/ ٢٠٥، وجامع التواريخ ٣١٣، والسلوك ج ١ ق ٢/ ٤٣٠، ٤٣١، وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٢٧، وعقد الجمان (١) ٢٤٣، ٢٤٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٧ - ٨١، وتاريخ ابن سبط ١/ ٣٩١، ٣٩٢، وتاريخ الأزمنة ٢٤٢، وتحقيق انقصة للمراغي ٧٠، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩١، وتاريخ الخلفاء ٤٧٥، ومعركة عين جالوت للدكتور عماد عبد السلام رؤوف، بغداد ١٩٨٦.

(٣) كتب في الأصل: «يُجِج نَجِج».

(٤) هكذا في الأصل. وهو غلط. والصواب أنه قُتل في ١٧ من ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ. أنظر عنه في: الحوادث الجامعة ٤٥، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧١، وذيل الروضتين ٢١١، وتاريخ مختصر الدول ٢٨٢، وتاريخ الزمان ٣١٩، والروض الزاهر ٦٨، ونالي وفيات الأعيان ١٢٨، ١٢٩، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٠٧، والنور اللامع ٥٦، والذرة الزكية ٦١ - ٦٣، وآثار الأول في ترتيب الدول للعباسي ٢٦٨، وحسن المناقب (مخطوطة باريس ١٧٠٧) ورقة ٩ و ١٣٦، ونهاية الأرب ٢٩/ -

[سلطنة الظاهر بيبرس]

وفيها^(١) تسلطن الملك الظاهر وتلقب بالملك القاهر، ثم رجع عنها إلى الملك الظاهر^(٢).

[وقائع الظاهر بيبرس]

ووقعة الملك الظاهر على كينوك^(٣)، وهي وقعة أبلستين^(٤)، كانوا خمسة

٤٧٧، ٤٧٨ والمختار من تاريخ ابن الجوزي ٢٥٧، ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٠٠، ٢٠١ رقم ١١٩، ودول الإسلام ١٦٣/٢، ١٦٤، وتاريخ الإسلام ٦٥٨ هـ. والعبر ٥/٢٤٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٠٩، ٢١٠، والبدية والنهاية ١٣/٢٢٥ - ٢٢٧، وفوات الوفيات ٣/٢٠١ - ٢٠٣ رقم ٣٩٨، وعيون التواريخ ٢٠/٢٢٨ - ٢٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٢٢٧، ومراة الجنان ٤/١٤٩، وتاريخ ابن خلدون ٥/٣٨٠، ٣٨١، ومآثر الإنافة ٢/١٠٥، والسلوك ج ١ ق ٢/٣٠٧، ٣٠٨، وعقد الجمان (١) ٢٥٢ - ٢٥٤، وتاريخ ابن سباط ١/٣٩٧، ونحفين النصر ٧١، والنجوم الزاهرة ٧/٨٣، وشذرات الذهب ٥/٢٩٣، وأخبار الدول ١٩٨، والتحفة المملوكية ٤٥، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٥، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥٦، والجواهر الثمين ٢/٥٩ - ٦٥، وخسن المحاضرة ٢/٣٩، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/٣٠٨ هـ.

(١) الضمير يعود إلى سنة ٦٥٧ هـ. كما أثبت المؤلف قبل قليل، وهو غلط. والصواب سنة ٦٥٨ هـ.
(٢) أنظر عن سلطنة الظاهر في: الحوادث الجامعة ١٦٦ (حوادث سنة ٦٥٩ هـ). وخسن المناقب، ورقة ٩ ب ١٣٦، وتالي وفيات الأعيان ٥٠، والدرة الزكية ٦٢، وذيل مراة الزمان ١/٣٧٠ - ٣٧٣، والتحفة المملوكية ٤٥، والروض الزاهر ٦٩، ٧٠، والمختصر في أخبار البشر ٣/٢٠٧، ٢٠٨، ونهاية الأرب ٣٠/١٤، ١٥، والعبر ٥/٢٤٣، والمختار من تاريخ ابن الجوزي ٢٢٧، ٢٥٨، ودول الإسلام ١٦٣/٢، ١٦٤، وتاريخ الإسلام ٦٥٨ هـ. والبدية والنهاية ١٣/٢٢٣، وعيون التواريخ ٢٠/٢٢٩، ٢٣٠، وعقد الجمان (١) ٢٦٢، وتاريخ الخلفاء ٤٧٦، وتاريخ ابن سباط ١/٣٩٨، والسلوك ج ١ ق ٢/٤٣٦، ٤٣٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٩٩ هـ.

(٣) في الأصل: «البنوك» والتحرير من: «الروض الزاهر ٤١٧»، وكينوك هي الحدث الحمراء التي بناها سيف الدولة الحمداني سنة ٣٤٣ هـ. ومعنى كينوك: المحرقة. وهي من أعمال سبس. وتاريخ فتح الظاهر لها سنة ٦٧٢ هـ.

(٤) أبلستين: بالفتح ثم الضم ولام مضمومة أيضاً، والسين المهملة ساكنة وتاء فوقها نقطتان مفتوحة وباء ساكنة ونون. هي مدينة مشهورة ببلاد الروم. (معجم البلدان ١/٧٥) وموقعها كانت في سنة ٦٧٥ هـ. انظر عن موقعه أبلستين في: تاريخ الملك الظاهر ١٥٤، ١٥٥، وذيل مراة الزمان ٣/١٦٥، والنهج السديد ٢٩٩، والمختصر في أخبار البشر ٤/٩، ونهاية الأرب ٣٠/٢٣٤، ٢٣٥، ٣٥٠ - ٣٥٤، والتحفة المملوكية ٨٥، والمختار من تاريخ ابن الجوزي ٢٥٠، والعبر ٥/٣٠٤، ودول الإسلام ٢/١٧٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٢٣، ٢٢٤، ودرة الأسلاك ١/٤٩، والدرة الزكية ١٩٠، والبدية والنهاية ١٣/٢٧١، وعيون التواريخ ٢١/٩١، وتاريخ ابن خلدون ٥/٣٩٢، والسلوك ج ١ ق ٢/٦٢٥، وعقد الجمان (٢) ١٥٣، والنجوم الزاهرة ٧/١٦٨، وتاريخ ابن سباط ١/٤٤١، وتاريخ الأزمنة ٢٥٣، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/٣٣٧ هـ.

آلاف فارس، وهي نوبة الروم^(١)، ودخول الملك الظاهر إليها، وتغرّؤه بالتجاسر عليها.

ولم يقدم أحد من الأمراء ولا الملك الظاهر على خوض الفرات إلى التتار إلا مولانا السلطان وتابّعه الناس أول^(٢) فأول، وكان عليه في الاقتداء بالتجاسر المعول.

هذه وقعات التتار مع المسلمين، وأين وأين، ولا أثر بعد عين. وأين العشرات من المئين^(٣) والألوف، وأين مواطن الأمن من الموطن المخوف. وأين الذرة من القنطار، وأين ارتكاب الحذر من ارتكاب ذوي الأخطار، لم يسمع بمثل هذا الجيش الذي عالج مولانا السلطان وعاجله، وتاجزه وما أجّله. / ٥٦ب / وكائره وما كابره، وساوره وما شاوره.

[التهتة بنصرة السلطان]

وفي هذه التّصيرة يقول الصدر فتح الدين بن عبد الظاهر مادحاً لمولانا السلطان ومهتئاً له بهذه النصرة:

الله أعطاك لا زَيْد ولا غَمْرُ
هذا العطاء وهذا الفتح والنصر
لم يبق - واللّه - لا شام ولا بصر
أو يدّرع لأمة ما لامها الصبر
من ذا الذي كان يلقي العدو كذا
يا أيها الملك المنصور قد كسرت
واستأصلوا شأفة الأعداء وانتصروا
لما ثبت وزال الخوف والذعر

(١) نوبة الروم هي موقعة قيسارية التي جرت أيضاً في سنة ٦٧٥ هـ. انظر عنها في: تاريخ الملك الظاهر ١٥٧ - ١٦٤ و ١٧٥ - ١٧٧، والروض الزاهر ٤٥٣ - ٤٧١، وتاريخ الزمان ٣٣٥، ٣٣٦، وتاريخ مختصر الدول ٢٨٧، ٢٨٨، والمختصر لأبي الفداء ٩/٤ ونهاية الأرب ٣٠/٣٥٤ - ٣٥٧، وذيل مرآة الزمان ٣/١٧٠، وزبدة الفكرة ٩/ورقة ١٨٤ أ، ب، والتحف الملوكة ٨٤، والمختار من تاريخ ابن الجوزي ٢٨٥، ٢٨٦، ودول الإسلام ١٧٦/٢، والعبر ٥/٣٠٥، والدرّة الزكية ١٩٣، ١٩٤، ومرآة الجنان ٤/١٧٤، والبداية والنهاية ١٣/٢٧١، ٢٧٢، وعبون التواريخ ٢١/٩٣، ٩٤، ١٠١، وتاريخ ابن خلدون ٥/٣٩٢، والسلوك ج ١ ق ٢/٦٢٩ - ٦٣١، وعقد الجمان (٢) ١٥٩ - ١٦٢، والنجوم الزاهرة ٧/١٧٠ - ١٧٣، وتاريخ ابن سباط ١/٤٤١، ٤٤٢، وتاريخ الأزمنة ٢٥٣، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/٣٣٨.

(٢) التصواب: «أولاً».

(٣) في الأصل: «المئين».

يا عزيمة ما رأى الراؤن مُشبهها
لما بغى جيش «أبغا» في تجاسره
وأجمع المُغلّ والتكفور واتفقوا
جاءت ثمانون ألفاً من بُعوثهم
وإفا^(٢) الخميسان في يوم الخميس ضُحى
/ ١٥٧ / والسيف يركع والأعلام رافعة
والخيل لا تغتدي إلا على جُثث
والبيضُ تغمد في الأجفان من مُهَج
فجاء في رجب عيدان من عجب
فكان أسلمهم من أسلموه لأنَّ
وراح فارسُهم في إثر راجلهم
فما رعى منهم راعٍ رعيته
وكان يوم الخميس النصف من رجب
وعاد سلطاننا المنصور منتصراً
وقلتُ مادحاً له ومُهتئاً بهذه النصرة إلا أنها صدرت عن قلب جريح بألم
جسمي الجريح :

نجحت مساعي سيفك البثار
/ ٥٧ ب / وخطا إلى الخطاء^(٣) الذين تجاسروا
رام الأعاجم ردة بتناضر
عقبت إذ عقيبت عن آمالهم
وزدوا فأوردتهم حُسامك
وقضدتهم بعماملٍ من شأنها
وأسلت بحراً من حديد سلا

ووقعة سار في الدنيا لها ذكرُ
ولم يمدك إلا القنا جسرُ
مع الفرنج ومن أردى به «الكُفر»^(١)
لأرض حمص فكان البعث والنشرُ
وامتدت الحرب حتى أذن العصرُ
والرؤس تسجد لا عُجب ولا كِبُرُ
والسهل من رؤس القتلى به وعُرُ
والسُمر ناهيك يا ما تفعل السُمرُ
للسيف والرُمح هذا الفطرُ والنحرُ
يقوده القنيد أو يسري به الأسرُ
تنتابهُ الوحش أو ينبو به القفرُ
إلا أروعى لهم من روعة فكرُ
عام الثمانين هذا الفتح والنصرُ
والحمد لله تمَّ الحمد والشكرُ
وقلتُ مادحاً له ومُهتئاً بهذه النصرة إلا أنها صدرت عن قلب جريح بألم

بالحدف في دم أرمي وتناثر
فأصارهم في ذلّةٍ وصغارٍ
فبدا بقتل النجدة الأنصارِ
بالعزم ما لهم من الآثارِ
منهل الإضرار والإضرارِ
بالقصف قصف مؤجل الأعمارِ
حك المُردى العداة بقوة النيارِ

(١) عن الهامش.

(٢) الصواب: «وإفا».

(٣) الخطا: بفتح الغاء المعجمة وكسرها، وهو الأشهر. ومعهم أهل البلاد الصين.

ومن العجائب قَدْخُ نار زناده
جاءوا لأخذ الثَّار يا ملك الوري
هم يَمُوك بقضهم وقضيضهم
فحببتهم آثار من أفقدته
قد جر أبغا للتلّاف جيوشه
ما شك في إهلاكهم بتجارب
ولكنم إليه أعذرت عزمائه
/٥٨/ وأتوا ذمارك ضلّة من رأيهم
وأتوا لحمص مقبلين بهمة
ما هال إكثار لديك وقد أتوا
أرشفتهم كأس المنون فأمعنوا
خادعتهم بتخيز فتراسلوا
وحملت فيهم (حملة)^(١) علوية
«أبغا» تأذب لا تلم بمثلها
واقنع ولا تطمع فلست بطامع
يا هل ترى نجى الفُرار مخبراً
وأظنه لم ينج إذ عمّ البلا
أبقيت يا مخذول للمنصور ما
أمت جيوشك والهلاك يقول:
أوما قلاون المبيد جُموعهم
/٥٨ب/ من سالف أیدی الزمان وأنف
كم وقعة بالرأي منه وحُرمة
عزت مناقبك التي أوتيتها
وتضاءلت لعظيم قدر مديحها
تَمِس امرء وافى يحاول

أسمعتم ما يكون بنار
فتلوت ثاراً جاولوه بشار
كئِما ينالوا غاية الأوطار
فاستبدلوا الأوطار بالأوتار
إذ قاسها بالعسكر الجزار
لكنما الإضرار بالإصرار
وإزالة الإعذار بالأعذار
فقرنت طيف غرورهم بدمار
إقبالها في غاية الإدبار
في صورة الإكبار والإكثار
جهلاً ولم يُلوا على الإسار
واستأنسوا من بعد طول نفار
لم تُبق في الآثار من ديار
وحذار ممّا قد جنيت خذار
في زور مُلك في بديل مُعار
وأتى إليك بأسوأ الأخبار
جمعاً جمعتهُم من الأمصار
قد صار جُلّ مآثر السُتار
يا أطلاب «هولاكو» بدار بدار
بتوآثر الإيراد والإصدار
بتعاضد من عزمه الكرار
دارت دوائرها على الكُفّار
عن أن توفيهَا ذُو الأشمع
نُظائمه يا عالي المقدار
عزمك الخطار بالخطار للأخطار

(١) كتبت فوق السطر.

لم يجز في طرس كما أثرته قلم ولم يمرّو على أفكار
 كلاً ولا سير الملوك تضمّنت مثلاً لها في سالف الأعصار
 ما جاء قبلك قطّ جيش مثله ولقد سمى^(١) بالكثير عن أنظار
 فليهننا الأمن المنيم بمحقهم عن آخر بحسامك الجزار
 لا زلت منصور اللواء مظفراً في قوّة أبدأ وفي استظهار
 انقضى خبر هذه الوقعة مفضلاً ومفرّغاً ومؤصلاً. وقد أفردت لها جزءاً
 مستقلاً يرسم الخزانة العالية المولوية السلطانية، عمرها الله تعالى بدوام ملكه.

١٥٩/ ذكر ما انفصل عليه أمر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر

بعد انفصاله من وقعة حمص المذكورة

ولما فوَّيت أخبار التتار وتأكدت، وتجمّعت وتألّبت، طمعاً فيما بلغهم من
 أمر الأمير شمس الدين سنقر المذكور. وبلغ مولانا السلطان أن حضورهم إنما كان
 باستدعائه، وقصدَهُم البلادَ كان استنصاراً لهم لكشف بلاته. ورسم فكتبنا إليه نُنكر
 عليه سوء هذه الخاتمة، ونونخه بهذه الفعلة التي بلغت بما يجب لبثتها من
 اللائمة. التي هي لمن يدعي الإسلام غير ملائمة. وقُلنا وقلنا وواجهنا بالمراسيم
 الشريفة وما استقبلنا، فجاء كتابه وهو يحلف بالله إن هذا لم يتمّ منه، ولا صدر
 عنه، ومعاذ الله أن يبيع آخرته بدُنيائه، وأن يمدّ لغير مُبايعة الإسلام يُمناه.

وحين قرىء على مولانا السلطان كتابه، أمر فكتب جوابه. إنه إن كان الأمر
 كما زعم فليقدّم / ٥٩ب/ خيرة الله ويحضر لتنظيم في سلك الحامدين، ويشحد
 جيش الموحدين. وتُبعد الظنّ عمّا قيل إن حقاً وإن كذب، وتخيّب آمال الملحدين
 بما يتعيّن من اتفاق الكلمة ويجب. وجُهِز إليه فعاد جوابه بتلبية مُناديه، وأنه
 سيستدرك الأمر من مباديه.

وكان قد نفّر إليه الأمير سيف الدين أيتمش^(٢) السعدي الناصري.

ذكر سبب تقصير الأمير سيف الدين أيتمش المذكور

كان سيف الدين كوندك نائب السلطنة عن الملك السعيد قد التجى^(٣) لمولانا

(١) الصواب: اسماء.

(٢) هو: أيتمش بن أطلس خان. كما في: نهاية الأرب ٣١/ ٢١.

(٣) هكذا والصواب: «التجأ».

السلطان عندما أراد من حول الملك السعيد قتله، وهرب إلى مولانا السلطان كما تقدّم شرحه. قد أحسن إليه مولانا السلطان وقرّ به. وعظّم منزلته في أيام ملكه وأذناه منه وما تجنّبه. وأبثّ نفسه أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء لمن أحسن إليها، وأن تُجْزَى الحَسَنَةُ بِالْحَسَنَةِ ومن أساء فعليها.

واتفق / ١٦٠ / أن مولانا السلطان لَمَّا خرج إلى الشام في السنة المذكورة صار يبلغه عن هذا المذكور ما يصمّ الآذان خبره، ويكاد أن يسري ضرره، ومولانا السلطان يُغضي، ويقيّد حظّ نفسه ولا يمضي. ولم يزل كذلك إلى أن ختم بالروحاء قريب عكا، وهي منزلة لم تزل الفرنج تهرج إلى مساكن مصر عند نزولها، وتضرّع له بالخضوع والخشوع عند حلولها، وتنوّع في هداياها، وتفنّن في تحاياها خشية أن يمرّ بواديه، أو يلتمّ بناديه.

فأقام مولانا السلطان بهذه المنزلة خمسة عشر يوماً ولا حسّ ولا خبر، ولا عين ولا أثر، ولا زائراً برز من عكا (حتى)^(١) ولا في أقبح الصُّور. فحصل تعجّب مولانا السلطان من هذا الفتور، وعلم أن هذا الأمر سيكشف لطف الله منه المستور.

وكان بعكا مكاتب يُقال له «جوان خندَق»، فعندما وجد السبيل طالع بالسبب، وأزال ما كان مولانا السلطان فيه من عَجَب. وحضر قاصده وعلى يده كتابه الشريف، فإذا مضمونه:

/ ٦٠ ب / «يا سلطان الإسلام سيُرْكُوْذُكَ إلى المقدّمين بعكا كتاباً مضموناً أنكم لا تسمعوا ولا تطيعوا لقلّاون فإنّا عازمون على قطعه وقتله، فتكونوا معنا ونحن نردّ لكم كلّ القلاع التي فُتِحت حتى بيت المقدس، وتردّ لكم صليب الصلבות والقمامة، فاحفظوا ما معكم وانتظروا نُجْح القصد».

فحين عُزِبَ هذا الكتاب رَسَمَ الصاحب فتحّ الدين بن عبد الظاهر صاحب الديوان على التراجمة، وهم: السابق، والاستبائي كاتب الإنبرطور، بحيث لم ينقّس لهم في الاجتماع بأحد من خلق الله تعالى، خيفة أن يشيع هذا الخبر. وقرأه على مولانا السلطان، واستقرّ ذلك في نفسه، واستدرك في يومه فانت أمه.

ولما كان بعد ليالٍ من ورود هذا الكتاب ركب كُوْذُك وطلع إلى كُوْمِ عالٍ

(١) كتبت فوق السطر.

بالمنزلة المذكورة ليلاً ومعه جماعة من السلاح دارية الظاهرية مُلبسين مُثقلين،
ولأنواع الفتن مستقبلين.

/٦١١/ ولما بلغ مولانا السلطان ذلك ثَبَّتَ له أيماً ثُبُوت، ولم يظهر عليه من
الهلوع شيء، وانتظر وقت الظفر الموقوت. وطلب في الوقت الأمير بدر الدين بيليك
الأيديمري وسيّره إليه، مُستفسراً عن الأمر الذي عزم عليه. فقال: بلغني أن مولانا
السلطان متغيّر الخاطر عليّ، ماؤ طرّف الغضب إليّ، من غير ذنب ولا سبب.
وعاد الأمير بدر الدين المذكور بهذا القول. فللوقت رَسَم مولانا السلطان، فكتبت
له الأمان، متضمناً ما فيه خلاصه من الأيمان. وقَرَنَه بالخاتم والمندبل الشريف،
فحين دخل على مولانا نهض له واقفاً وأمر فأفيضت عليه ملابس التشريف. وأخذ
مولانا السلطان في تسكين هلعه، وتوطين جزعه. وخرج من بين يديه، فعاد إلى ما
نُهي عنه من تسلم ذلك الكُوم، وساماً ما كان قد اشتطّ فيه من سؤم. فأعاد مولانا
السلطان إليه الأمير بدر الدين المذكور قائلاً له: ما هذا الاعتماد؟ /٦١١ب/ فقال:
كأن هؤلاء رفقتي يشكون من الأمير عَلم الدين الشجاعى مدبّر المملكة بمصر،
ومدّه إلى أرزاقهم يذّعدونه، واحتجب عن شكاوى وكلائهم بالسفهاء من أعوانه.

فحين عاد الأمير بدر الدين بهذه الشكاية أمر مولانا السلطان فكتبت إلى
مولانا السلطان الملك الصالح ونائب السلطنة الأمير زين الدين كُتُباً بعزله وكفّ
يده، وأن لا تكون له قطعة غير القعود بباب القلّة. وأن يستبدّ الصاحب برهان
الدين السُنْجاري بالوزارة، والأمير زين الدين الصوابي بشدّ الدواوين.

واستقرّ الحال، وتمّت المكيدة على الرجال، ولم يبق من هذه المنزلة إلا
الرحال. وقوَّض الدّهليز المنصور. ورحل مولانا السلطان إلى المنزلة المعروفة
بعيون الأساور، ووجّه دهليزه إلى عكا إذ هي أقرب. فحين رأى الفرنج ذلك وأبطأ
عليهم الخبر، ولم يجدوا لصخته من أثر، بادروا بتسيير الرُسل بالهدايا معتردين،
وبمصرع من خالف منهم /٦١٢/ وحالف معتبرين. فأهيئت رُسُلهم، وضيقت
سُبُلهم. ثم استعطف مولانا السلطان عليهم فعطف، ولُوْطِف فلطف. وقبل هديتهم
المحضرة، وأمهلهم وما أمهلهم وقوفاً عند الهدنة المقررة.

وسار مولانا السلطان على اسم الله تعالى والنصر مكتنف بأطلابه، ضامناً نُجُج
طَلّابه. كلّ هذا وأيتّمش السُعدي عاقداً رأيه وراياته، والمشير بنفيه وإثباته. والحامل
على فتنه بجعله، والماكر بسيء هذا الاعتماد ولا يحقّ المكر السيء إلا بأهله.

ثم إن مولانا السلطان أَعْمَلَ السَّيْرَ إلى أن نزل بحمراء بَيْسَانَ، واستدعى الأمراء فحضرُوا إِلَّا أَيْتَمَشُ فَإِنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ اسْتِشْعَاراً مِنْ نَفْسِهِ بِمَا حَمَلَهَا عَلَيْهِ مِنَ الْغَرَرِ، وَجَلَبَنَ لَهَا مِنْ صُورِ الْخِيَانَةِ فِي أَقْبَحِ الصُّورِ. وَأَخَذَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ فِي الْحَدِيثِ مَعَ الْأُمَرَاءِ فِيمَا بَلَغَهُ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ التَفَتَ فَأَمَرَ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ قُرَا سُنْقُرَ الْمَنْصُورِي بِإِمْسَاكِ كَوْنَدُكْ، فَبَادَرَ إِلَى سَيْفِهِ فَأَخَذَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ فَقَيْدَهُ، وَأَمَرَ فَأَمْسِكَتْ أَعْوَانُهُ، وَهُمْ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَمِيرًا^(١). / ٦٢ب / وَأَقْرَبُ بَعْضِ الْمَمَالِكِ الصَّغَارِ الظَّاهِرَةِ عَلَى جَمْعٍ كَبِيرٍ مِنْهُمْ فَأَحْضَرُوا وَأَمْسَكُوا، وَخَابَتْ أَمَالُهُمْ مَتَى كَانُوا بِهِ قَدْ تَمَسَّكُوا.

ورحل مولانا السلطان فنزل خربة اللصوص، ومنها هرب أَيْتَمَشُ السَّعْدِي إلى صَهِيُونَ، وتوجَّهَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ قَاصِداً دِمَشْقَ بَعْدَ أَنْ أَمَرَ عَلَى أَخْبَازِ الْمَذْكُورِينَ بِالْمَنْزِلَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِقَرْنِ الْحَرَا، وَدَخَلَهَا وَقَدْ تَبَرَّجَتْ لَهُ بِزِينَتِهَا مِنَ الْبَيْتَاتِ، وَقَبِلَتْ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِاسْتِنَابَةٍ تَسَاقُطُ يَانِعِ الثَّمَرَاتِ. وَأَسَالَتْ وَادِيَهَا وَأَزَّتْهُ حَمِيدُ الْعَوَاقِبِ مِنْ مِبَادِيهَا. فَحَلَّ قَلْعَتَهَا، وَاسْتَجَلَى طَلْعَتَهَا. وَحَلَّ ذُرَاهَا، وَحَلَّ إِذْ حَلَّ غُرَاهَا. وَأَنَسَ مَا كَانَ مِنَ الْوَحْشَةِ قَدْ عَرَاهَا، وَمِنْهَا سَارَ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ.

وحين كتبنا إلى سُنْقُرَ الْأَشَقَرِ مِنْ حِمَصٍ كَتَبْنَا إِلَى أَيْتَمَشِ السَّعْدِي نُوْمَنَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَنْ يَحْضُرَ وَلَا يَخْشَى مِمَّا كَانَ مِنْهُ، وَلَا مِمَّا بَلَغَنَا عَنْهُ. وَيَغْتَنِمُ فُرْصَةَ الْجِهَادِ، وَأَنْ لَا يَخْشَى حَقْدًا فَالْشَّدَائِدَ تُذْهِبُ الْأَحْقَادَ. وَوَرَدَ جَوَابُهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَلِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ، وَالتَّنْصُّلِ مِمَّا تُسِيبُ إِلَيْهِ / ٦٣ / مِمَّا زَعَمَ أَنَّهُ زَوْرٌ وَبُهْتَانٌ، وَقَالَ مَا نَعُصُهُ:

«وَمَنْ هُوَ كَوْنَدُكُ الْقِطْعَةُ التُّرْكَمَانِيَّةُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا مَعَهُ؟ وَاللَّهِ يَا خَوْنَدُ مَا أَبِيعُ نُشَابَةً مِنْ تَرْكَاشِكِ بِأَلْفِ كَوْنَدُكِ».

وَأَخَذَ يُمُتُّ بِمَنْاصِرَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ وَمَتَابِعَتِهِ، وَمِبَايَعَتِهِ. وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَطَاعَ وَمَا اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَصَى، وَلَا أَنَّهُ الْحَامِلُ عَلَى شِقِّ الْعَصَا.

وَكَانَتْ الْحَوْطَةُ بِالْذِبَارِ الْمَصْرِيَّةِ قَدْ وَقَعَتْ عَلَى مَوْجُودِهِ مِنْ خَيْلٍ وَإِبِلٍ وَأَسْلِحَةٍ وَأَثَاثٍ وَذَخَائِرٍ مِنْ قَضِيَّاتٍ لَهَا قِيَمَةٌ، حَسَبِ الْمَرَاسِيمِ السُّلْطَانِيَّةِ. فَضَمَّنَ

(١) فِي نَهَابَةِ الْأَرَبِ، ٧٨/٣١ كَانُوا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ نَفَرًا، أَحْضَرُ بَعْضُهُمْ مِنْ جِبَالِ بَعْلَبَكِ، وَبَعْضُهُمْ مِنْ

كتابه العتب بسبب هذه الحوطة، وقال من جملة ما قال: «وهذه عطايا من قبلك من الملوك»، فاستحى مولانا السلطان من قوله، وأمر أن يكتب إليه بما يقيم العذر في ذلك، وأمرت فكتبْتُ إليه بما مثاله:

«إنّا لم نعتد ذلك إلّا لمصلحتك، وحفظاً لمالك، فإنّ المجلس يعلم أنّ ولده صغير السنّ، وليس له وصيّ ولا وليّ يحفظ ماله، إلى أن / ٦٣ب/ يُحسن الله ماله. فخشينا أن تمتدّ إليه الأيدي، فكتبنا إلى ولدنا السلطان الملك الصالح عزّ نصره بأن يتقدّم إلى قاضي القضاة وإلى وكيل بيت المال بحفظ ماله بالاعتبار بحضور استاد داره وكبار مماليكه وولده وإن صغر سنّاً، وأن يجعل المال والأثاث والذخائر في صناديق بمفردها ويختتم عليها باسمه، وأن يعتمد في الدوابّ ما ينبغي من الحزم من بيع ما يتعيّن بيعه واقتناء ما يتعيّن اقتناؤه إشفافاً وخسن نظراً. وجُهِز له هذا الجواب، فكتبنا بهذه الصورة، وللوقت جُهِز البريد إلى مصر بأن يُعتمد في ماله ما ذكرناه فاعتمد ما ذكرناه.»

ولما وقف أيتمش السعدي على العذر الشريف عاد جوابه بالدعاء وتصويب الرأي فيه. وحضر ضحبة الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى حمص بنية الغزاة والجهاد. وأبلى في هذه الرقعة بلاءً حسناً، وتوغل فيها توغلاً استحق فيه حسن الثناء وكان شهماً، مقداماً ليثاً هماماً.

ولما انقضت هذه النوبة / ١٧٤/ عاد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى صهيون^(١).

[وفاة أيتمش السعدي]

وحضر أيتمش السعدي إلى الديار المصرية، وبها مات محتقلاً، لإحداث ذنب اقتضاه (سوء)^(٢) طبع استحال أن يكون عنه متقلاً^(٣).

[نص كتاب استقرار الأمير سنقر الأشقر بصهيون]

وأما شمس الدين سنقر الأشقر فإنه استقر بصهيون على ما أقرّه به

(١) أنظر: التحفة الملوكية ٩٧، ٩٨، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٢٧، ونهاية الأرب ٣١/ ٧٧ - ٧٩، والنهج السديد ٣٢٢، والبلوك ج ١ ق ٣/ ٦٨٦، وتاريخ ابن الفرات ٧/ ٢٠٧، والدرة الزكية ٢٤٠، ٢٤١، وتاريخ ابن سباط ١/ ٤٧٥.

(٢) كتب فوق السطر.

(٣) مات سنة ٦٨٤ هـ. (المقفى الكبير ٢/ ٣٣٥ رقم ٨٦٦، نهاية الأرب ٣١/ ١٢٨).

مولانا السلطان بإقطاعه إياها، وإقطاع جهات متعددة بمنشور كتبت له .
وُسُخَّتْهُ :

« الحمد لله جامع شمل القلوب بعد شتاتها، ومكفر سينات هذه الأمة بحسناتها، وموقظهم من غفلة الإعراض وسيناتها .
نحمده حمداً عريق الانتساب، جزيل الاكتساب .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لها شهادة تُشرق أنوارها، وتُشرف آثارها .
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص بالفصاحة المعجزة، والعبارة الموجزة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تملأ الصحائف ثواباً، وتفتح للغفران أبواباً . وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن في ائتلاف / ٦٤ب / القلوب حكمة بالغة، ومصلحة ظلالها للأمة سابعة، ورحمة تغدوا^(١) الألسن لحلاوتها سائغة . وبه يشد الله للأمة أزرأ، ويُذيق الأعداء باتفاقها بأساً طالما بأحوالهم أزرأ^(٢) . ويُزيل به من قلوبهم بغضا، وتُشيد بهم أركان المناصرة إذ هم كما قال ﷺ كالبنيان يشد بعضهم بعضاً . لا جرم أن الله سبحانه لما علم أن المصلحة فيه مُتَعَيِّنة، ووجوه السداد فيه مُتَبَيِّنة . سهل من انقياد القلوب كل جامع الرسن، وأجرى في ائتلافها على أحسن سَنَ . وأُخمد من الفتنة ما كان قد ثار، وأطفأ منها ما كان أضرم من نار . وأزال من نيتها التنافر، ووفرها على التناصر والتضافر، وأعادها إلى المصافاة كما بدأها أول مرة، وهياً من أسبابها ما أنسى أيام الهجر المُرة .

وكان المقرّ العالي، المولوي، الزعيمى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الغياثى، الذُخْرِى، الكافلى، الظهيرى، النصيرى، الشمسى، غياث / ٦٥ / الإسلام والمسلمين، ناصر المجاهدين، مُعَزِّ جيوش الموحدين، عضد الدولة، نصير الملوك والسلاطين، وليّ أمير المؤمنين، شمس الدين سُنُقَرُ الصالحى - خَلَدَ الله نعمته - هو الشقيق فى الإخاء، والرفيق فى الشدة والرخاء . والقديم صُخْبَةً ومرباً^(٣)، والخليل الذى لا يزيده البُعدُ (متأ) إلا قُرباً . ومن غدا سُنْدُ مَوالاته عالياً، ومن تعدّ الألسن فى صُحبته سَنِيناً^(٤) لا تُعدُّ لِيالِيا . إن اتسقت نجوم الأولياء فهو

(٣) الصواب: «مربى» .

(٤) الصواب: «سنتين» .

(١) الصواب: «تغدو» .

(٢) الصواب: «أزرى» .

شمسها المنيرة، وإن نضدت عقودها فضلها معنى وصورة. وإن ذكرت مآثرها فمآثره الماثورة، وجب أن نجدد من عهوده. ما كاد أن ينسى، وأن تُنشيء من وداده ما هو الحقيق بأن يُنشى^(١). وأن نريش جناحه، ونغفر جناحه. ونُجيب إلى ما أثره، ونُعين بالإحسان تطوله ومآثره.

فلذلك خرج الأمر العالي المولوي السلطاني الملكي المنصوري السيفي، لا زالت يده بالعتاء مبسوطه، والأرزاق بمشعها وإعطائها مُنوطه. أن يُجري في ديوانه الكريم /٦٥ب/ ما رُسم به الآن لخاصه وخاص قلاعه التي تُذكر، ولمن يستخدم عليه من حلقة وجُند، فليُتسلم نوابه هذه النعمة التي لسا عليها تقتصر، ولا من تواليا نختصر. والحبلى في الإحسان إليه على الجراة، والله تعالى يُجزل منا حظّه وإيثاره.

[عودة الأمير سُنْقَرُ الأشقر إلى طاعة السلطان]

ولم يزل الأمير شمس الدين المذكور يتناول هذا الإحسان الدار، ويمتاره على قُلُق وإن ظُنَّ به الاستقرار. إلى أن طالت المدة، وجفت من القلم المدة. وشرع فيما لا يتم كما بدأ أول مرة، وتخلت عنه أعوانه إذ لم يستطيعوا له نصرة. وبلغ مولانا السلطان مأسز، وأتصل به ما أضراه عليه لا بل أغراه به وطالما كان في الإغراء ما ضر. وكتب إليه مولانا السلطان بأن يخلي عنه ما لا يجيء منه شيء، وأن يحضر للاستكنان في فيء ظله الذي هو أسبغ فيء. ومن هذه النسبة. وسير ضحية المقر الحسامي طرنطاي نائب السلطنة المعظمة في جملة من الجيش، على أنه إن وافق فلا كلام، وإن خالف /٦٦/ فالكلام. فحين وصل إليه المقر الحسامي لم يسغ إلا التسليم قبل التسليم، وتقديم رجل الطاعة وما أحقها بالتقديم. ونزل طائعاً مختاراً، وأبقأ بإحسان مولانا السلطان الذي طالما بلغ من الأمن أوطارا. وحضر به الأمير حسام الدين، فحين وصل ركب مولانا السلطان لتلقبه، وحين تواجهها نزلا وتكارشا، وقبل الأرض بين يديه، والألسنة تالية: ﴿قُلْ أَللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾^(٢).

وأحلّه مولانا السلطان من جلوس الإمرة محلّه، وكساه من (حلل)^(٣) الخلع النفيسة أئمن حلة. ولم يحصل له في أيام مولانا السلطان إلا ما أزال وحشته،

(١) الصواب: «ينشأ». (٢) سورة آل عمران: الآية ٢٦. (٣) عن الهامش.

وحفظ أحوته . وقام بشرط أيمانه وأمانه ، ووفى بما نطق به لسانه ، والله تعالى من كل قائل عند لسانه .

ذَكَرَ مَا اتَّفَقَ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ مِمَّا لَمْ يَتَّفَقَ لِمَلِكٍ غَيْرِهِ مِنْ ذَلَّةِ التَّتَارِ

وسؤال / ٦٦ ب / ملكهم الصلح

لا خفاء بقوة شوكة هذا العدو وسهولة الرواح عليه والغدو وكثرة عدده ، وعظم همته مع خساسة عدده ، وإقدامه وثبت أقدامه ، وصبره على الجلاد ، وعدم تأثيره حتى من مصادمة الجماد . وقنعه من الملبوس بما لا يسر غوزه ، ومن المأكول بما لا يدفع سوره . ومن المشروب بما لا يبل غله ، ومن المكروب بما لا له أربع ثقله . لا يردُّهم الصيف بخزه ، ولا البرد بقره ، ولا العدو بكثره . استهزم قتل النفوس وخراب البلاد ، وأيتام الأولاد ، وطالما طفوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، واستولوا على التهائم والنجاد ، بما لهم من إبراق وإرعاد . واستمرَّ عدوانهم من حين خروجهم وهو سنة أربع عشرة وستماية فما تركوا بالعجم والعراق بلداً حتى ملكوه ، ولا مالا حتى استهلكوه ، ولا سلطاناً حتى أذلّوه ، ولا منطلقاً حتى أخذوه فغلّوه . ولا حريماً حتى انتهكوا حرمة ، / ١٦٧ / وأخلقوا جدته ، وفلّوا^(١) حدته ، وحسموا مادته ، وقصّروا مدته . واستولوا (حتى)^(٢) على مدينة السلام بغداد ، وأزالوا بسواد وجوههم ما للشعار العباسي من سواد . واستولوا على الشام إلى أن وصلوا إلى عين جالوت ، واستولى على عبدة الرحمن منهم عبدة الطاغوت . إلى أن نهض مولانا السلطان ونهض لها الملك المظفر قطز المعزي ، وحمله على الخروج ، وروج أمره وقد كان يقرب عهده من السلطنة لا يروج . وكان مولانا السلطان مقدمة جيشه ، والمتلقي بشوته^(٣) ما لهذا العدو من تسرع طيشه ، فولّوا الأدبار لملكهم هولاء وقد جار ، وخار ، وندم على حضوره إذ لم يكن لمعبوده ولا معبود له استخار . وجهل بتغريبه وما علم أن مسامرة العسكر الإسلامي أخذه دشتجار .

فلم يزل مولانا السلطان في إثرهم إلى أن جلاهم عن البلاد ، وأخرجهم على وجوههم حفاة غراء مشاة ولا غير خشاش / ٦٧ ب / الأرض من زاد . واستمرت غزوات الملك الظاهر ومولانا السلطان أبو غدرتها وابن بجذتها

(١) هكذا . والصواب : «فلّوا» . (٢) كتبت فوق السطر . (٣) الصواب : «بشوته» .

وأخو نجدتها. هذا، والتتار لا يذَلُّون، لا يميلون ولا يَمَلُّون، ولا ينتهون إلى غايةٍ ولا ينتهون، ولا يغيثون لأنفسهم بل يغيثون، ولا يقفون عندما به يضرّون ويضربون. وكلّما (مادت شوكتهم قويت، وكلّما) ^(١) قام ملك من عظمهم ظنّ أنّ الأرض له قد رُوِيَتْ. يرون الصلح عاراً وأيّ عار، ويظنون الاستكبار في الاستكثار، والجموع الملققة من القوة والاستظهار. وكلّما رُدُّوا بالعزائم الإسلامية عادوا، وكلّما أرشدتهم الوقائع الإيمانية إلى صواب المسالمة عادوا. ولا تميل لهم جارحة على أنّها بنكاية السهام الإسلامية مجروحة لا جارحة. لم يُسمع منذ ظهوروا أنّ ملكهم ذلّ بإرسال رُسُلِهِ طالباً الصلح، ولا سائلاً في المهادنة ظناً منه أن في المقابحة لا للمصالحة غاية / ١٦٨ / النُجج.

إلى أن ملك الله مولانا السلطان، وعلم العدو من التتار والفرنج أنّ الملائكة له من جملة الأعوان. وأنه كان فرعاً لا يُطاق فكيف وقد صار أصلاً، وتبعاً لا يحمل وإن كان ممّن تابعه أكبر ثبلاً. ورأوا أنّ الغنيمة الباردة في إطفاء جفرة ثورته، وإخماد قوّرته. بالصلح الذي هو سيّد الأحكام، وطلب المودعة التي تُنمّهم في الدعة ممّا لقّسته من سهام.

[إسلام أحمد بن هولاكو ومراسلته السلطان قلاوون]

وكان أصوبهم رأياً في ذلك، وأسلّكهم لمنهج الصواب الذي كان قد غمّ على من قبله ما لوضوح المصلحة من مسالك. وهو الملك أحمد بن هولاكو ^(٢)، فإنه لما أفضت نوبة ملك التتار إليه، وانعقد إجماعهم عليه، وصار إليه أمرهم، وأفضى إليه سرّهم، قبض الله له من الموصل شيخاً يقال له عبد الرحمن فهذه السبيل، وأورده السلسبيل، وحسن له الإسلام، ونذمه على ما مضى في كفره من الأيام. وأراه أنّ المصلحة في مصالحة مولانا / ٦٨ ب / السلطان، وأن يسكن الحال من الجانيين، رفقا بمن بقي عنده من جُند القان، فبادر إلى رأيه مستصوباً، وأذن في بلاده بكلمة التوحيد فكان كلّ لأذانه مُتَوْبِياً. وجهز رُسُلَهُ إلى أبواب

(١) عن الهامش، وكتب في آخرها: صح.

(٢) إسمه الأصلي: تكدار، واسم أنه فنوخاتون، وهي نصرانية. (تشریف الأيام والعصور ٤).

مولانا السلطان، وهم الإمام قُطْب الدين^(١) قاضي قَيْسَارِيَّة^(٢)، والأمير شمس الدين ابن التيتي الآمدي^(٣) وعلى يدهم كتاب من التتار، من إنشاء جمال الدين ابن عيسى، وقد قعقع فيه قعقعة الأعجام، وأراد أن يزيّنه بالإعراب فشأنه بالإعجام.

ونُسخته

«بقوة الله تعالى بإقبال قان^(٤) فَرْمَان أحمد^(٥)».

أما بعد، فَإِنَّ الله سبحانه وتعالى بسابق^(٦) عنايته، ونور هدايته،^(٧) قد كان أرشدنا في عنفوان الصِّبا وزِينان الحداثة إلى الإقرار ببروبيّته، والاعتراف بوحدانيّته. والشهادة لمحمد^(٨) عليه أفضل الصلاة^(٩) بصدق نُبوّته^(١٠)، وحُسن الاعتقاد في أوليائه والصالحين من عباده / ٦٩ / في برّته. «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ»^(١١). فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين، وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين. إلى أن أفضى بعد أبينا الجيد، وأخينا الكبير نوبة المُلْك إلينا^(١٢)، فأفاض علينا من جلايب ألطافه (ولطائفه)^(١٣)، ما حقّق به آمالنا في جزيل آلائه وعوارفه، وجلا^(١٤) هذي المملكة علينا، وأهدى عقيلتها إلينا. فاجتمع

(١) هو قطب الدين محمود الشيرازي. (التشريف ٥).

(٢) في تشريف الأيام - ص ٥ : «قاضي سيواس».

(٣) هو شمس الدين محمد ابن صاحب شرف الدين التيتي المعروف بابن صاحب وزير ماردين. (السلوك ج ١ في ٣ / ٧٢٣).

(٤) قان = قان = خان.

(٥) زاد في تشريف الأيام - ص ٦ : «إلى سلطان مصر». وفي الدرة الزكية ٢٤٩ «هذا فرمان أحمد إلى سلطان مصر».

(٦) في الدرة الزكية : «السابق».

(٧) في الدرة الزكية زيادة : «وعظيم رعايته».

(٨) في الدرة الزكية : «بمحمد».

(٩) في تشريف الأيام ٦ «أفضل الصلوات والسلام». وفي الدرة الزكية ٢٤٩ «ﷺ».

(١٠) في الدرة الزكية : ٢٥٠ «والصدق برسائه وبِنبوّته».

(١١) سورة الأنعام : الآية ١٢٥. وزاد في الدرة الزكية : «كل ذلك ببركات محمد عليه أفضل الصلاة والسلام».

(١٢) إلى أن قبض أبينا الملك الجليل وأخينا الكبير، وأفضا المُلْك إلينا». (الدرة الزكية ٢٥٠).

(١٣) ليست في الدرة الزكية.

(١٤) في الدرة الزكية «وجلى».

عندنا في قورلتاي^(١) المبارك، وهو المجمع الذي تتقدم فيه آراء^(٢) جميع الإخوان والأولاد والأمراء الكبار، ومقدمي^(٣) العساكر، وزعماء البلاد. واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير، في إنفاذ الجَم الغفير، من عساكرنا التي ضاقت الأرض^(٤) برخبها من كثرتهم^(٥)، وامتلات القلوب^(٦) رُعباً لعظيم صولتهم^(٧)، وشديد بطشتهم، إلى تلك الجهة بهمة يخضع لها شُم الأطواد، وعزيمة تلين لها الصم^(٨) الضلاد^(٩). ففكرنا فيما تمخضت زُبدة عزائمهم عنه. ٦٩ب/ واجتمعت أهواؤهم وآراؤهم^(١٠) عليه. فوجدناه مخالفاً لما (كان)^(١١) في ضميرنا من إنشاء^(١٢) الخير العام، الذي هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام. وأن لا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء، وتسكين الدهماء، وتجري به في الأقطار رخاء نسام^(١٣) الأمن والإيمان^(١٤)، ويستريح^(١٥) به المسلمون في سائر الأمصار^(١٦)، في مهاد الشفقة والإحسان. تعظيماً لأمر الله، وشفقة على خلق الله. فآلهما الله^(١٧) إطفاء تلك النائرة، وتسكين الفتن الثائرة، وإعلام من أشار بذلك الرأي بما أرشدنا الله^(١٨)

(١) في تشريف الأيام - ص ٧ «قورلتاي». وقال محققه في الحاشية (١): «قوريلتاي؛ قوريلتاي هي في التركية quriltay هو الاسم المغولي لمجلس السلطنة الذي يختار الحكام ويدرس المسائل العويصة التي لا يريد الحاكم أن يفصل فيها وحده». وفي الدرة الزكية: «قوريلتاي». وأقول: ولقد فسر الكتاب معنى هذا المصطلح ووظيفته.

(٢) في تشريف الأيام - ص ٧ والدرة الذي تقدم فيه الآراء.

(٣) في تشريف الأيام - ص ٧ «ومقدمو»، وفي الدرة الزكية: «مقدموا».

(٤) في الدرة الزكية «بهم الأرض».

(٥) في تشريف الأيام - ص ٧ «من كثرتها»، وكذا في الدرة الزكية.

(٦) في تشريف الأيام - ص ٧ «الأرض» وفي الدرة: «وامتلات رعباً».

(٧) في تشريف الأيام - ص ٧ «صولتها»، وكذا في الدرة الزكية.

(٨) في تشريف الأيام - ص ٧ «صم».

(٩) في الدرة: «الجلاد».

(١٠) في الأصل: «أهواهم وأراهم» وكذا في الدرة.

(١١) ليست في الدرة.

(١٢) في تشريف الأيام - ص ٧ «أقتناء» وفي الدرة «أنباء».

(١٣) في الدرة ص ٢٥١ «رجاء نسليم».

(١٤) في تشريف الأيام - ص ٧ «الأمن والأمان» ومثله في الدرة.

(١٥) في الأصل والدرة: «وتستريح»، والتصويب من تشريف الأيام.

(١٦) في الدرة: «الأقطار».

(١٧) في تشريف الأيام - ص ٧ «فالهما الله تعالى»، وكذا في الدرة.

(١٨) لفظ الجلالة ليس في تشريف الأيام، والدرة.

إليه من تقديم ما يُرجى به شفاء العالم^(١) من الأدواء^(٢). وتأخير ما يجب أن يكون آخر الدواء. وأتأ^(٣) لا نحب المسارعة إلى هز النصال للنصال إلّا بعد إيضاح المحجة^(٤)، ولا نأذن لها إلّا بعد تبين الحق وتركيب الحجة^(٥). وقوى عزمنا على ما ذكرناه^(٦) من دواعي الإصلاح^(٧)، وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه^(٨) النجاح. / ١٧٠ / إذ كان شيخ الإسلام، قدوة العارفين، كمال الدين عبد الرحمن^(٩) الذي هو نعم العون لنا في أمور الدين^(١٠)، فأرصدناه^(١١) رحمة من الله لمن وعاه، ونعمة على من أعرض عنه وعصاه. وأنفدنا أقصى القضية فُطِب (الملة)^(١٢) والذين، والأتابك بهاء الدين^(١٣)، فما من ثقات^(١٤) هذه الدولة القاهرة^(١٥) ليعرفاهم^(١٦) طريقتنا ويتحقق عندهم من ينطوي^(١٧) عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا. وبينا^(١٨) لهم أنا^(١٩) من الله على بصيرة. وأن الإسلام يحب ما قبله، وأنه تعالى^(٢٠) ألقى في قلبنا^(٢١) أن نشبع الحق وأهله. ويشاهدون عظيم نعمة الله تعالى على المكافاة^(٢٢) بما دعانا إليه من تقديم أسباب

(١) في تشریف الأيام - ص ٧ والذرة «شفاء مزاج العالم».

(٢) الأدواء: الحروب.

(٣) في تشریف الأيام - ص ٧ والذرة «وأنا».

(٤) «الحجة».

(٥) «المحجة».

(٦) في تشریف الأيام - ص ٧ «على ما رأينا» وفي الذرة «رئنا».

(٧) في الذرة: «الصلاح».

(٨) في الذرة: «ما ظهرنا به من وجه».

(٩) في ملاحق السلوك ج ١ ق ٩٨٢/٣ «كمال الدين عبد الرحمن شيخ الإسلام قدوة العارفين، لم ير لولي قبله كرامة».

(١٠) في الذرة: «نعم العون لنا في أمورنا».

(١١) في تشریف الأيام - ص ٨ «فأرصدناه»، وفي الذرة: «أشار بذلك».

(١٢) ساقطة من الذرة الزكية.

(١٣) هو الأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم. (السلوك ج ١ ق ٧٠٣/٣).

(١٤) في تشریف الأيام - ص ٨ «الذين هما من ثقات»، وفي الذرة: «إذ هما من ثقات».

(١٥) في الذرة الزكية: «الدولة الزاهرة والمملكة القاهرة».

(١٦) «يوجه الخطاب هنا إلى السلطان قلاوون بصيغة الغائبين وهي صيغة فارسية للخطاب ويراد بها «ليعرفنكم»».

(١٧) في تشریف الأيام - ص ٨ «تنوي»، وكذا في الذرة الزكية.

(١٨) في تشریف الأيام - ص ٨ «وبينا لهم»، والمثبت يتفق مع الذرة الزكية.

(١٩) في تشریف الأيام - ص ٨ «أنا» وكذا في الذرة الزكية.

(٢٠) في الذرة: «وأن الله تعالى».

(٢١) في الذرة: «ورعنا».

(٢٢) في تشریف الأيام - ص ٨ «على الكفاة»، وفي الذرة: «نعمة الله على الكفاة».

الإحسان، ولا يحرموها بالنظر إلى سالف الأحوال فكلّ يوم هو في شان. فإنّ تطلّعت نفوسهم إلى دليل يستحكم^(١) بسببه دواعي الاعتماد، وحقّة يثقون بها من بلوغ المراد^(٢). فلينظر^(٣) إلى ما ظهر من مآثرنا^(٤) ممّا اشتهر خبره، وعمّ أثره، فإنّا ابتدأنا بتوفيق الله تعالى / ٧٠ب/ بإعلاء أعلام الدين، وإظهاره، في إيراد كلّ أمر وإصداره، تقديمًا لإقامة^(٥) نوايس الشّرع المحمّدي على مقتضى قانون العدل الأحمدي إجلالًا وتعظيمًا^(٦). وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور، وغفّونا عن كلّ من اجترح سيئة^(٧) و^(٨) اقترف، وقابلناه بالصّفح وقلنا: عفا الله عمّا سلف. وتقدّمنا بإصلاح^(٩) أوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس وعمارة بقاع البرّ، والرّبّط الدّوارس، وإيصال حاصلها^(١٠) بموجب عوائدها القديمة إلى مستحقّيها بشرط^(١١) وافقيها^(١٢)، ومنعنا أن يلتمس شيء ممّا استحدث عليها، وأن^(١٣) يغيّر أحد شيئًا^(١٤) ممّا قرّر أولًا فيها^(١٥). وأمرنا بتعظيم أمر الحاجّ، وتجهيز وفدها وتأمين سبلها وتيسير^(١٦) قوافلها^(١٧). وأطلقنا^(١٨) سبيل التجار^(١٩)

(١) في تشرّيف الأيام - ص ٨ «تستحكم».

(٢) في الدّرة: «وحقّة نبلغ بها غاية المراد».

(٣) في تشرّيف الأيام - ص ٨ «فلينظروا».

(٤) في الدّرة: «من أمرنا».

(٥) في تشرّيف الأيام - ص ٨ «وإقامة»، وكذا في الدّرة.

(٦) زاد في الدّرة الزّكية: «وتبجيلًا وتكريماً».

(٧) في الأصل: «سيئة».

(٨) في تشرّيف الأيام - ص ٨ «أو»، وكذا في الدّرة.

(٩) في تشرّيف الأيام - ص ٨ «وتقدّمنا بإصلاح أمور».

(١٠) في الأصل كتبت: «حاصلها».

(١١) في تشرّيف الأيام - ص ٨ «الشروط».

(١٢) وفي الدّرة الزّكية ٢٥٢ «على القاعدة المستقيمة لمستحقّيها بشروط وافقها بعد إصلاح تالفها».

(١٣) في تشرّيف الأيام - ص ٨ «والأه»، وفي الدّرة: «ولا».

(١٤) «شيئًا» ليست في تشرّيف الأيام، وفي الدّرة: «ولا يغيّر شيء».

(١٥) زاد في الدّرة: «وأسند إليها».

(١٦) في تشرّيف الأيام - ص ٨ «وتيسير».

(١٧) «وأمرنا بتعظيم أمر الحاجّ، وتأمين سبلها في سائر الفجاج، وتجهيز وفدها، وإطلاق سبلها، وتيسير قوافلها، وتسهيل فعلها».

(١٨) في تشرّيف الأيام - ص ٨ «وإنّا أطلقنا». وفي الدّرة: «وأطلقنا أيضًا».

(١٩) زاد في الدّرة الزّكية: «الذين هم عمارة سائر الأمصار وكذلك المتردّدين».

المرتددين إلى البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم^(١)، وحرّمنا على العساكر والقراغول^(٢) والشحاني^(٣) في الأطراف التعرّض لهم^(٤) في مصادرهم ١٧١/ ومواردهم^(٥).

وقد كان صادف قراغولنا^(٦) جاسوساً في زِيّ الفقراء كان سبيل مثله أن يهلك، فلم نر إهراق دمه صيانة لحرمة ما يحزّمه^(٧) الله تعالى^(٨)، (وأنفذناه^(٩) إليهم)^(١٠)، ولا يخفى عنهم ما كان في إنفاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين^(١١). وإن^(١٢) عساكرنا طالما رأوهم في زِيّ الفقراء والنسّاك وأهل الصلاح فسأت ظنونهم في تلك الطوائف، فقتلوا منهم من قتلوا، وفعلوا بهم ما فعلوا، وارتفعت الحاجة بحمد الله تعالى إلى ذلك بما صدر إذننا به من فتح الطريق، وتردّد التجار وغيرهم. فإذا أمعنوا الفكر في هذه الأمور وأمثالها. و^(١٣) لا يخفى عنهم أنها أخلاق جبلية طبيعية وعن شوائب التكليف^(١٤) والتضنّع غريّة. وإذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي النفرة^(١٥) التي كانت موجب^(١٦)

(١) في الدرة الزكية: بحسب اختيارهم تظميناً للعباد، آمنين على أنفسهم من حوادث الفساد.

(٢) القراغول: خُزاس الطريق عند المغول.

(٣) الشحاني: مفرداً الشحنة. قال في القاموس المحيط: الشحنة في البلد من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان.

(٤) في تشریف الأيام - ص ٩ والدرة «بهم».

(٥) زاد في الدرة الزكية ٢٥٢ وأن يمضون حيث شاؤوا على أحسن ما كانت عاداتهم من قواعدهم.

(٦) في الدرة الزكية: «قراول لنا».

(٧) في تشریف الأيام - ص ٩ فلم يُهرق دمه لحرمة».

(٨) في الدرة الزكية: «كان سبيل مثله أن يهلك، إذ سعى إلى حثفه قدمه، فلم نهرق دمه، تحرمة ما حزم الله تعالى».

(٩) في تشریف الأيام - ص ٩ «وأعدناه».

(١٠) ما بين القوسين ليس في الدرة الزكية.

(١١) في الدرة الزكية ٢٥٣: «من الضرر العام للخاص والعام من فقراء المسلمين، وعباد الله الصالحين».

(١٢) في تشریف الأيام - ص ٨ «إن».

(١٣) «و» ليست في تشریف الأيام.

(١٤) في تشریف الأيام - ص ٩ «التكلف».

(١٥) في تشریف الأيام - ص ٩ «المضرة».

(١٦) في تشریف الأيام - ص ٨ «موجبة». وفي الدرة الزكية ٢٥٣ وردت العبارة: «فسأت ظنونهم حتى قتلوا من قتلوا من هذه الطوائف بخير حرمة ولا جناح. فإذا ارتفعت الحاجة بحمد الله تعالى إلى ذلك، تأمنت الطرق والمسالك، وتردّد التجار وغيرهم، وتطمأن القلوب من الفكر في هذه الأمور» =

المخالفة، فإنها إن^(١١) كانت بطريق الدين والذَّب عن المسلمين^(١٢)، فقد ظهر بفضل الله^(١٣) ويُمن^(١٤) دولتنا النور^(١٥) المبين. وإن كانت لما سبق من الأسباب، / ٧١ب/ فمن تحرّى^(١٦) الآن طريق الصواب، فإن «لَهُ عِنْدَنَا لُزْفَى»^(١٧) وَحُسْنُ مَأَبٍ^(١٨) وقد رفعنا الحجاب^(١٩) بفصل الخطاب، وعَرَفْنَاهُمْ ما عَزَمْنَا عليه بِنِيَّةٍ خالصة لله تعالى^(٢٠) (وأُنِينَا أَسِيْفَانَا)^(٢١). وحَرَمْنَا على جميع عساكرنا العمل بخلافها، ليرضى^(٢٢) بها الله والرسول، وتلوح على صفحاتها آثار الإقبال والقبول. وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الأمة، وينجلي بنور الائتلاف^(٢٣) ظُلْمَةُ الإختلاف والعَمَّة. فيسكن^(٢٤) في سايغ ظلّها البوادي والحواضر، وتقرّ القلوب التي بِلَقَّتْ من الجهد إلى الحناجر^(٢٥). ويُعَمَّى عن سائر الهفوات^(٢٦) والجرائر.

فإن وفق الله سلطانتك لما فيه^(٢٧) صلاح العالم، وانتظام أمر بني آدم. فقد وَجِبَ عليه^(٢٨) التمسُّك بالعروة الوثقى^(٢٩) وسلوك الطريقة المثلى بفتح

-
- = ويأمن سائر الجمهور. وترتفع دواعي المضرة، التي كانت توجب المخالفة.
- (١) «وإن» ساقطة من تشريف الأيام.
- (٢) في تشريف الأيام - ص ٨ «والذَّب عن حوزة المسلمين»، وكذا في الدرّة الزكية.
- (٣) في تشريف الأيام - ص ٨ «بفضل الله تعالى»، وكذا في الدرّة.
- (٤) في تشريف الأيام - ص ٨ «في» بدلاً من «يمن»، ومثله في الدرّة الزكية.
- (٥) في الأصل: «النور»، وفي الدرّة الزكية: «الفوز».
- (٦) في الدرّة الزكية: «ممن يجري».
- (٧) في تشريف الأيام ص ٨ «الزلفى».
- (٨) سورة ص، الآية ٢٥ والآية ٤٠.
- (٩) زاد في تشريف الأيام - ص ٨ «وأنينا»، في الدرّة: «والآن فقد رفعنا الحجاب». وليس فيه: «بفضل الخطاب».
- (١٠) في تشريف الأيام - ص ٨ «على استئنافها».
- (١١) ما بين القوسين لم يرد في تشريف الأيام. وفي الدرّة الزكية ٢٥٣ «لتعلم ما عندهم من الجواب».
- (١٢) في تشريف الأيام - ص ٨ «لنرضي»، ومثله في الدرّة الزكية.
- (١٣) في الدرّة الزكية: «بنور الإسلام».
- (١٤) في تشريف الأيام - ص ٨ «فتسكن»، وكذا في الدرّة.
- (١٥) في تشريف الأيام - ص ٨ «من الجهد الحناجر» بإسقاط «إلى»، وكذا في الدرّة.
- (١٦) في تشريف الأيام - ص ٨ «عن سالف الهنات»، وفي الدرّة: «وتعمى عن ما سلف من الهنات، والجراير، وتُربح المسلمين من فكر تُفَتَّت المرائب».
- (١٧) في الدرّة وفي تشريف الأيام - ص ٨ «فإن وفق الله سلطان مصر لاختيار ما فيه».
- (١٨) في الدرّة: «عليها».
- (١٩) هكذا. والصواب: «الوثقى».

أبواب الطاعة والاتحاد^(١)، وبذلك الإخلاص بحيث تنعمر^(٢) تلك الممالك والبلاد، وتسكن الفتن الثائرة. وتُغمد السيوف^(٣) / ٧٢ / الباترة، وتحل الكافة أرض الهؤينا^(٤) وروض الهدون^(٥). وتخلص رقاب^(٦) المسلمين من أغلال الذل والهون^(٧). وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب^(٨) الرحمة، ومنع عن^(٩) معرفة (قدر)^(١٠) هذه النعمة، فبه^(١١) شكر الله مساعينا، وأبلى عذرتنا^(١٢) ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١٣) والله الموفق للسداد والرشاد^(١٤)، وهو المهيمن^(١٥) على البلاد والعباد، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١٦).

وكتب في أواسط جمادى الأول^(١٧) سنة إحدى وثمانين وستمئة بمقام الأطلاق^(١٨). (وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه)^(١٩).

هذه صورة كتابهم الوارد على يد رُسُلهم الذين اعتمد في أمرهم من الاحتراز

(١) في الدرة: «الإنجاد».

(٢) هكذا في الأصل، وكذا في نشريف الأيام - ص ١٠، والدرة ٢٥٣.

(٣) في نشريف الأيام ص ١٠ «الفتنة».

(٤) كذا، والصواب: «الهؤيني».

(٥) الهدون: الدعة والطمأنينة. وفي الدرة الزكية ٢٥٤ «وروض الهتون».

(٦) في الدرة الزكية ٢٥٤ «أرقاب».

(٧) زاد في الدرة الزكية: «فالحمد لله على الموافقة، وإخماد البارقة».

(٨) في الدرة الزكية: «واجب»، والمثبت يتفق مع نشريف الأيام.

(٩) في الدرة الزكية: «من معرفته».

(١٠) كتبت فوق السطر.

(١١) في نشريف الأيام - ص ١٠ «فقد»، ومثله في الدرة الزكية: ٢٥٤.

(١٢) في الدرة الزكية: «وأبلى عذرتنا مقبولاً».

(١٣) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(١٤) في نشريف الأيام - ص ١٠ «والله الموفق للرشاد والسداد»، وكذا في الدرة الزكية.

(١٥) في الدرة الزكية: «وهو الممتن».

(١٦) في نشريف الأيام - ص ١٠ «وحسبنا الله وحده». ومثله في الدرة الزكية.

(١٧) في نشريف الأيام - ص ١٠ «الأولى»، ومثله في الدرة الزكية.

(١٨) في نشريف الأيام - ص ١٠ «الإطاق»، وفي الحاشية (٤) بمقام الأطاق utaq وتكتب أيضاً أوطاق

otaq كلمة تركية بمعنى غرفة = خيمة، أو مجموعة خيام أو معسكر، والمراد هنا بمعسكر السلطان. وليس في الدرة الزكية «بمقام الأطلاق».

(١٩) ما بين القوسين ليس في نشريف الأيام، والدرة الزكية.

في الصدور والورود ما لا عنه مَزِيد، ووعُر بهم في حالتيه توعيراً لا يُعرف منه المقصد أقرب أو بعيد.

[استقبال السلطان لرُسُل ملك التار]

ولَمَّا أراد مولانا السلطان - خَلَدَ اللهُ مُلْكَهُ - استحضارهم جلس على منبر مُلكه في أحسن الهيئات، وأحسن الصُّور الحسنات. / ٧٢ب/ وقد لبس من المجوهر ما يأخذ بالأبصار، وأكثر من نور شموع ليلة استحضارهم إلا أن نور وجهه بَهَرَ مالها من الأنوار، في مماليكه الخاص، وخَفَذَتْهُ ذُؤُوبُ^(١) الاختصاص، وقد بَدَّوْا كزهر الربيع ألواناً، وكالرياض التي تشوق وتُرْوِق عياناً. وجوهُ مُقَمَّرَة، وأغصان قدود بالجمال مشمرة. في ملابس من الذهب الإبريز، يُخَالُ أن الشمس طَلَعَتْ لَيْلاً بتوقُّد أشعتها الباهرة، متمنقة بما يُخِيل أنها فَلَكَ البُرُوج السَّيَّارة، وإن شئت فقل السائرة. ودخلوا على مولانا السلطان وقد تأنق مجلسه العالي الرواق، وظهر في أحسن الخلق وأشرف الأخلاق، ولسان حال كل منهم يُنشِد:

سامحاني إن اعتراني دُھُولٌ واعذراني فذا مقامٌ يهُولُ
ما على الأرض مجلسٌ مثل هذا يرجع الطَّرْفُ عنه وهو كليل
ولَمَّا واجهوا مولانا السلطان غَضُّوا الأبصار هَيْبَةً وإجلالاً، / ٧٣ب/ وطراً عليهم من الحصر ما لم يستطيعوا معه أقوالاً.

ولَمَّا حصلوا في الحضرة، ومثلوا واقفين بين يديه مشاهدين ماهو للعيون قُرَّة، وللقلوب مَسْرَّة، طلب مولانا السلطان صاحب فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان المكاتب، فحين حضر انتصب له قائماً وإن كان ربّ وظيفة لا يتكلف له القيام، وأمر بجلوسه، فجلس ميمناً على عادة الكتاب من سالف الأيام. ثم أخذ يسأل بالتركي: ما المقصود بسفيرٍ معرَّبٍ بينه وبينهم، وما المراد الذي أوجب عن وطنهم بينهم.

فقال قطب الدين الشيرازي: ثمّ مشافهةً وكتاب.

فأمر مولانا السلطان أن يسلم الكتاب لصاحب ديوانه هذا، وأن تُعاد عليه المشافهة إذ هو أفهم للخطاب، فتوقّف وقال: إنما أمرتُ أن أشافه مولانا السلطان

(١) الصواب: «ذؤوب».

لا مَنْ سواه. فكان الجواب: إنني ما أعرفُ ما تقول، وهذا الذي يعرف فحواه، فلم يَسْغُه إلا أن سلّم له الكتاب المشروح / ٧٣ب/ نصّه، المثبت فضّه، وأعاد عليه المشافهة، ولم تُقَدْ تلك المجابهة.

وفي صُبحَة هذه الليلة حضر بالديوان صاحبه المذكور، وتلى^(١) على شيوخه نصّ كتابهم المسطور، وأمر كلاً أن يُنْشِء نسخة جواب فأحجموا، وعلى مثل ذلك ما أقدموا، إلا والده فإنه أنشأ فأبدع، وقال فأسمع. إلا أنه لم يكتب به، إذ لم يكن نصّ ما أنعقد عليه المشور.

وكنْتُ عملتُ نسخة صادفتُ فيها الرأي، وإن لم أحضر ذلك المحضر. وكان صاحب الديوان المشار إليه قد أنشأ نسخة، فعمدنا إلى نسخته، فكتبنا منها ما وقع الاتفاق عليه، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

«بقوة الله تعالى^(٢) كلام قلاوون، إلى السلطان أحمد^(٣).

أما بعد حمد الله الذي أوضح بنا ولنا للحق^(٤) منهاجا، وجاء بنا فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله^(٥) أفواجا.

والصلاة والسلام على / ١٧٤ / سيدنا (ونبيّنا)^(٦) محمد الذي فضّله على كل نبّي، نجّى به أمّته (وكل^(٧) نبّي ناجى)^(٨)، (وعلى آله وصحبه)^(٩) تُنْير ما دجى^(١٠)، وتُبِير^(١١) من دجى. والرضى على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، وسيد الخلفاء المهديّين، وابن عمّ سيّد المرسلين، والخليفة الذي

(١) الصواب: «وتلا».

(٢) في تشريف الأيام - ص ١٠ «والدرة الزكية ٢٥٤ زيادة: «إقبال دولة السلطان الملك المنصور».

(٣) زاد في الدرة الزكية: «بن هلاوون».

(٤) زاد في الدرة الزكية: «لنا وبنا الحق».

(٥) في الدرة: «في الدين».

(٦) ليست في الدرة الزكية.

(٧) في تشريف الأيام - ص ١٠ «وعلى كل».

(٨) ما بين القوسين ليس في الدرة الزكية.

(٩) ما بين القوسين ليس في تشريف الأيام. وهو في الدرة بزيادة «وعترته».

(١٠) الصواب: «دجا». ولم ترد في الدرة الزكية.

(١١) في تشريف الأيام - ص ١٠ «تبير». وعبارة «تبير من دجى» لم ترد في الدرة الزكية.

يتمسك ببيئته أهل هذا الدين^(١). إنه ورد^(٢) الكتاب الكريم، المتلقى بالكریم، المشتمل على النبأ العظيم، من دخوله في (هذا)^(٣) الدين، وخروجه عن ما خالف^(٤) من العشيرة والأقربين.

ولما فتح هذا الكتاب فاتح بهذا الخبر المعلم المعلم^(٥). والحديث الذي صرح أهل الإسلام إسلامه^(٦). وأصح الحديث ما روي عن مسلم. وتوجهت الوجوه بالدعاء إلى الله سبحانه (في)^(٧) أن يثبت على ذلك بالقول بالثابت. وأن يُثبت حَبَّ (حَبَّ)^(٨) هذا الدين في قلبه كما أثبت أحسن الثبوت من أحسن^(٩) المنابت.

وحصل التأمل للفصل المبتدئ^(١٠) بذكره من حديث إخلاصه التَّيَّة^(١١) في أول العمر، وعُنفوان الصَّبِي^(١٢) في^(١٣) الإقرار بالوحدانية. ودخوله / ٧٤ب/ في المِلَّة المحمَّدية بالقول^(١٤) والعمل والتَّيَّة.

فالحمد^(١٥) لله على أن شرح صدره للإسلام، وألهمه شريف هذا الإلهام، كحمدنا الله^(١٦) على أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا المقال

-
- (١) ما بين القوسين لم يرد في تشریف الأيام - ص ١٠، ولا في الدرة الزكية.
 - (٢) في تشریف الأيام - ص ١٠ «فقد وصل»، ومثله في الدرة الزكية.
 - (٣) لم ترد في تشریف الأيام، والدرة الزكية.
 - (٤) في تشریف الأيام - ص ١٠ «عَمَّنْ خلف»، وفي الدرة: «عَمَّنْ سلف».
 - (٥) في تشریف الأيام - ص ١٠ «للمعلم المعلم»، وفي النهج السديد ٥١١ «المعلم المعظم».
 - (٦) في الدرة الزكية ٢٥٤ «ولما فتح هذا الكتاب بهذا لإخبار، عطر شذاه حتى ملأ الأقطار، فالحمد لله على الإسلام المعلم المعظم، والحديث الذي صرح عند الإسلام إسلامه».
 - (٧) ليست في الدرة الزكية.
 - (٨) ليست في الدرة الزكية.
 - (٩) في تشریف الأيام - ص ١٠ «أخشن»، والمثبت يفتق مع النهج السديد ٤١٢. وفي الدرة الزكية ٢٥٥ «أزكى».
 - (١٠) الصواب: «المبتدأ»، وفي الدرة: «والفضل المبدأ».
 - (١١) في الدرة: «إليه».
 - (١٢) الصواب: «الضياء» كما في الدرة.
 - (١٣) في تشریف الأيام - ص ١٠ «إلى» وكذا في الدرة.
 - (١٤) في الدرة: «بالاسم والقول».
 - (١٥) في الدرة: «فالشكر».
 - (١٦) في تشریف الأيام - ص ١١ «كحمدنا الله»، وكذا في الدرة.

والمقام^(١). وثبت أقدامنا في كل موقف اجتهد وجهاد تنزلزله دونه الأقدام^(٢).

وأما إفضاء الثوبة في الملْك وميراثه بعد والده وأخيه الكبير إليه. وإفضاء^(٣) هذه المواهب العظيمة^(٤) عليه. وتوقد^(٥) الأسيرة التي^(٦) طهرها إيمانه، وأظهرها سلطانه فقد أورثه^(٧) الله من اصطفاه من عباده، وصدق المبشرات له من كرامة أوليائه^(٨) وعُبادَه.

وأما حكاية اجتماع الإخوان والأولاد والأمراء الكبار (ومقدمي)^(٩) العساكر وزعماء البلاد في مجمع قوريلتاي الذي يتقدح^(١٠) فيه زُند^(١١) الآراء، وأن كلمتهم انفتحت^(١٢) على ما سبق^(١٣) به حكم^(١٤) أخيه الكبير^(١٥) من إنفاذ العساكر إلى هذا الجانب، وأنه فُكر فيما اجتمعت عليه آراؤهم، وانتهت إليه أهواؤهم فوجده مخالفاً لما في ضميره / ١٧٥ / إذا قضدُ الصلاح ورأيه الإصلاح، وأنه أطفأ تلك النائرة، وسكن تلك النائرة، فهذا فعل الملك المتقي، المشفق من قومه على من بقي، المفكر في العواقب، بالرأي الثاقب، وإلا فلو تركوا وآراءهم^(١٦) حتى تحملهم (الغرة)^(١٧) لكانت تكون هذه الكزة^(١٨). لكن هو كمن خاف مقام ربه ونهى

(١) في النهج السديد - ص ٥١٢ «إلى هذا الدين، وإلى هذا المقال والمقام»، وفي الدرّة: «لهذا الدين».

(٢) في الدرّة: «في كل موقف اجتهداً واجتهاداً، وفعلًا واعتماداً».

(٣) في تشریف الأيام، والنهج السديد: «إفضاء جلابيب»، ومثلها في الدرّة الزكية.

(٤) في النهج السديد: «النعمة»، ومثله في الدرّة.

(٥) في تشریف الأيام - ص ١١ «وتوقله»، ومثله في الدرّة.

(٦) في الدرّة: الأمر بالتي».

(٧) في الدرّة: «فلقد أورثها».

(٨) في تشریف الأيام - ص ١١ «من كرامة أولياء الله»، وكذا في الدرّة الزكية.

(٩) ليست في الدرّة الزكية.

(١٠) في تشریف الأيام - ص ١١ «تقدح»، وفي الدرّة: «تقدح».

(١١) في تشریف الأيام - ص ١١ «زبد»، والمثبت يتفق مع الدرّة الزكية.

(١٢) في تشریف الأيام - ص ١١ «قد انفتحت».

(١٣) في تشریف الأيام - ص ١١ «سبقت»، وكذا في الدرّة.

(١٤) في تشریف الأيام - ص ١١ «كلمة»، وكذا في الدرّة.

(١٥) في تشریف الأيام - ص ١١ «في»، وكذا في الدرّة.

(١٦) في الدرّة ٢٢٥: «وإلا فلو تركهم ورأيهم».

(١٧) عن الهامش.

(١٨) في تشریف الأيام - ص ١١ «لكانت تكون هذه الكزة هي الكزة»، وفي الدرّة: «لكانت هذه الكزة هي الكزة».

النفس عن الهوى^(١)، ولم يوافق قول من ضلّ ولا فعل من غوى^(٢).

وأما القول منه بأنه لا تجب^(٣) المسارعة إلى المقارعة إلا بعد إيضاح المَحَجَّة، وتركيب الحُجَّة، فانتظامه في سلك الإيمان صارت حجتنا وحجته المترتبة. على من غَدَت^(٤) طواغيته^(٥) عن سلوك هذه المحجة متنبكة، فإن الله (سبحانه و) ^(٦) (تعالى) ^(٧) والناس كافة قد علموا أن قيامنا إنما هو لنُضرة هذه البلية، وجهادنا (واجتهادنا) ^(٨) إنما هو لله ^(٩). وحيث قد دخل معنا في الدين هذا الدخول، فقد ذهبت الأحقاد وزالت الدُحُول^(١٠) وبارتفاع المنافرة، تحصل المظافرة^(١١) فالإيمان كالْبُنيان يُشَدُّ بعضه ببعض ومن أقام / ٧٥ب/ مناره. فله أهل بأهل في كل مكان، وحيوان بحيران بكل^(١٢) أرض.

وأما ترتيب^(١٣) هذه الفوائد^(١٤) الجمة^(١٥) على أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال^(١٦) الدين عبد الرحمن - أعاد الله من بركاته^(١٧) - فلم يُر^(١٨) لولي قبله كرامة كهذه الكرامة، والرجاء ببركته وبركة الصالحين أن تصبح كل دار

(١) اقتباس من الآية ٤٠ من سورة النازعات.

(٢) في الدرّة: «ولم يوافق قول ولا هوى».

(٣) في تشریف الأيام - ص ١٢، والنهج السديد: «يحب»، وفي الدرّة ٢٥٦ «وأما القول فيه: إنه لا يحب».

(٤) في النهج السديد: «عدت».

(٥) في تشریف الأيام - ص ١٢ «طواغيته». والمثبت يتفق مع: النهج السديد، والدرّة.

(٦) ما بين القوسين ليس في تشریف الأيام والنهج السديد.

(٧) ليست في الدرّة.

(٨) عن الهامش.

(٩) في تشریف الأيام، والنهج السديد: «إنما هو على الحقيقة لله»، ومثلها في الدرّة.

(١٠) في الأصل: «الدحول»، بالدال المهملة. والتصحيح من تشریف الأيام والنهج السديد، والدرّة.

(١١) في تشریف الأيام - ص ١٢ «المضافرة»، وكذا في الدرّة.

(١٢) هكذا. وفي تشریف الأيام: «جيران بجيران في كل» ومثله في الدرّة الزكية.

(١٣) في تشریف الأيام - ص ١٢ «وأما ترتب».

(١٤) في تشریف الأيام - ص ١٢ «القواعد»، وكذا في الدرّة الزكية.

(١٥) في النهج السديد «الحميدة»، وكذا في الدرّة الزكية.

(١٦) في الدرّة: «شجاع».

(١٧) زاد في الدرّة ٢٥٦ «قد أشار، فإنه نعم المستشار».

(١٨) في تشریف الأيام - ص ١٢ «فلم تر».

للإسلام دار إقامة^(١)، حتى تتم شرائط الإيمان، ويعود شمل الإسلام مجتمعاً كأحسن ما^(٢) كان. ولا ينكر لمن بكرامته^(٣) ابتداء هذا التمكن في الوجود، أن كل حق ببركته إلى نصابه يعود^(٤).

وأما إنفاذ أقصى^(٥) القضاة قُطِب (المِلَّة و)^(٦) الذين، والأتابك^(٧) بهاء الدين الموثوق بنقلهما في إيلاخ^(٨) هذه البلاغة. فقد حضرا وأعادا كل قول حسن^(٩) (حوالي أحواله، وخَطرات خاطره، ومنتظرات ناظره)^(١٠)، من^(١١) كل ما يشكر ويحمد، ويعنن حديثهما فيه عن «مسند» أحمد.

وأما الإشارة إلى أن النفوس إن كانت^(١٢) تطلع إلى إقامة دليل، تستحكم بسُتته^(١٣) دواعي الوُد الجميل، فلينظر إلى ما ظهر من مآثره / ١٧٦ من موارد الأمر ومصادره، ومن العدل والإحسان، بالقلب واللسان، والتقدم بإصلاح الأوقاف^(١٤). فهذه صفات من (يريد)^(١٥) لملكه الدوام. فلما ملَك عدل، ولم يلتفت^(١٦) إلى لوم من غدى^(١٧) ولا لوم من غذل. على أنها وإن كانت من الأفعال

(١) في تشریف الأيام - ص ١٢ «أن يصبح». وفي النهج السديد: «أن تفتح دار السلام وكل دار للإسلام وهي دار إقامته»، ومثله في الدرّة الزكية ٢٥٦ ولكن فيه: «إقامة».

(٢) في تشریف الأيام - ص ١٢ «مما».

(٣) في تشریف الأيام - ص ١٢ «لمن لكرامته»، ومثله في الدرّة الزكية.

(٤) في الدرّة: «هذا الابتداء والتمكن في الوجود أن كل حق إلى نصابه ببركته يعود».

(٥) في الدرّة: «فاضي».

(٦) ليست في الدرّة.

(٧) الأتابك: لفظ تركي مركّب من: أتا، بمعنى أب، وبك، بمعنى الأمير، فيكون أب الأمير، أو شيخه المحترم.

(٨) في تشریف الأيام - ص ١٢ «في إيلاخ رسائل»، وفي الدرّة الزكية: «المؤثرون في نقلهما رسائل هذه البلاغة».

(٩) في تشریف الأيام - ص ١٢ «حسن من»، وفي الدرّة: «فقد حضرا وأعادا من ألفاظهما من كل قول حسن مما يزوها بحسنه على الصياغة».

(١٠) ما بين القوسين ليس في الدرّة الزكية.

(١١) في تشریف الأيام - ص ١٢ والدرّة الزكية «ومن».

(١٢) في تشریف الأيام - ص ١٣ «إن كانت لها»، وفي الدرّة الزكية ٢٥٧ «إن كانت تطلع».

(١٣) في تشریف الأيام - ص ١٣ «بسيه»، وفي الدرّة: «يستحكم بيه».

(١٤) في تشریف الأيام - ص ١٣ زيادة «والمساجد والربط وتسبيل السُلّ للحج إلى غير ذلك». وفي الدرّة: «والمساجد والربط والمشاهد. وتسبيل السبل للحاج».

(١٥) ليست في الدرّة.

(١٦) في تشریف الأيام - ص ١٣ «ولم يعمل»، وفي الدرّة: «ولم يرجع».

(١٧) الصواب: «عدا».

الحَسَنَة، والمثوبات التي تستنطق بالدعاء الألسنة، فهي واجبات تُؤدَّى^(١)، وهو أكبر من أنه بأجراء أجر غيره يفتخر أو عليه تقتصر^(٢)، (أو له يدخر)^(٣).

إنما يفتخر الملك العظيم بأن يُعطي ممالك وأقاليم وحصون، وأن يبذل في تشييد^(٤) ملكه أعزَّ مَصُون^(٥).

وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحاني بالأطراف التَّعَرُّض إلى أحد بالأذى^(٦) وإصفاء موارد (الواردين)^(٧) والصادرين من شوائب القُدَى^(٨) فمن حين^(٩) تقدُّمه بذلك^(١٠) تقدُّمنا أيضاً بمثله إلى سائر النَوَاب^(١١) بالرحبة^(١٢) وحلب^(١٣) والبيرة^(١٤) وعين تاب^(١٥). وتقدُّمنا إلى مقدِّمي^(١٦) العساكر بأطراف

(١) زاد في تشریف الأيام - ص ١٣ : «فُرْيات بمثلها يُؤدَّى»، ومثله في الدرّة.

(٢) في تشریف الأيام - ص ١٣ «أو عليه يقتصر»، وفي الدرّة : «وعليه يقتصر».

(٣) ليس في الدرّة الزكية.

(٤) في الأصل : «تسید».

(٥) ورد في تشریف الأيام - ص ١٣ بدل هذه الفقرة ما نصّه : «بل إنما تفخر الملوك الأكابر برز ممالك

على ملوكها، ونظمها على ما كانت عليه في سلوكه. وقد كان والده فعل شيئاً مع الملوك السلجوقية

وغيرهم وما كان أحد منهم يدينه بذن، ولا دخل معه في دين. وأقرّهم في ملكهم، وما زحزحهم

عن ملكهم ويجب عليه ألا يرى حقاً منتصباً ويأبى إلا رؤّه، ولا باعاً منتقداً بالظلم وبرضى إلا

ضدّه. حتى إن أسباب ملكه تقوى، وأيامه تنزّين بأفعال التقوى». وفي الدرّة الزكية ٢٥٧ باختلاف

يسير : «إنما تفخر الملوك الأكابر برز ممالك على ملوكها، ونظم ما كانت عليه من حسن سلوكها،

فقد كان والده فعل شيء (١) من ذلك مع الملوك السلجوقية وغيرهم، وما كان أحد أخذ بذنبه

ذنب، ولا دخل معه في دين. وأقرّ بهم في ملكهم، بعد ما زحزحهم عن ملكهم...».

(٦) النص في الدرّة الزكية هو : «وأما تحريمه على الشحاني والعسكر والقراغولات في الأطراف التعرض

إلى الآخذ بالأيدي عن الأذى».

(٧) عن الهامش.

(٨) في النهج السديد : «القُدَى»، وفي الدرّة : «موارد الواردين من شوائب العداء».

(٩) في النهج السديد وتشریف الأيام - ص ١٣ «فمن حين بلغنا»، وكذا في الدرّة الزكية ٣٥٧.

(١٠) في النهج السديد : وتشریف الأيام - ص ١٤ «تقدّمه بمثل ذلك»، وفي الدرّة : «أن تقدّموا بمثل

ذلك».

(١١) في النهج السديد وتشریف الأيام - ص ١٤ «سائر نَوَابنا»، وفي الدرّة : «وقابلنا الجميل بالجميل من

فعله، وأمرنا سائر النواب».

(١٢) الرُّحبة : هي رحبة مالك بن طوق، بين الرقّة وبغداد على شاطئ الفرات.

(١٣) حلب لم ترد في تشریف الأيام، والنهج السديد. والدرّة الزكية.

(١٤) البيرة : بلد قوب سَمِيساط بين حلب والثغور الرومية.

(١٥) عين تاب : قلعة حصينة ورُستاق بين حلب وأنطاكية، كانت تُعرف بدُنُوك.

(١٦) في تشریف الأيام - ص ١٤ «وعينتاب وإلى مقدِّمي».

تلك الممالك، (بمثل ذلك)^(١). وإذا اتحد الإيمان، وانعقدت / ٧٦ب/ الإيمان،
تحتم هذا الإحكام، وترتب^(٢) عليه جميع الأحكام^(٣).

وأما الجاسوس الفقير الذي أَمْسَكَ وأُطْلِق^(٤). وأن بسبب من يتزنا من
الجواسيس بزَيِّ الفقراء قُتِلَتْ^(٥) جماعة من الفقراء الصالحين^(٦) رَجُماً بالظن
فهذا باب من ذا الجانب^(٧) كان فتحه، وزند منه كان قَدْحه^(٨). وكم من مُزَيِّ
بفقر^(٩) من ذلك الجانب سيّره، وإلى الإطّلاع (على الأمور)^(١٠) سوروه.
وظفر النواب منهم^(١١). بجماعة فرفعوا^(١٢) عنهم السيف، ولم يُكشَفْ ما غَطَّنَهُ
حُرمة الفقر^(١٣) بِلَمْ^(١٤) ولا كيف. وأما الإشارة إلى أن اتفاق^(١٥) الكلمة يكون
صلاح العالم^(١٦). وينتظم^(١٧) شَمَل بني آدم، فلا راد لمن فتح باب^(١٨)

(١) ما بين القوسين لم يرد في: تشريف الأيام، والنهج السديد. وفي الدرة الزكية ٢٥٧، ٢٥٨ وأمرنا
سائر النواب بالرحبة والبيرة وعين تاب بأطراف ممالكننا بالكف عما كففت عنه، وأن نسد هذا
الباب.

(٢) في الأصل: «وترتب».

(٣) وفي الدرة الزكية: «تحتم هذه الحكاية، وترتب في جميع الأحكام مما يجوز في مجالس
الحكام».

(٤) زاد في الدرة الزكية ٢٥٨ «وكان سبيله أن يهلك».

(٥) في تشريف الأيام - ص ١٤، والنهج السديد «قتل»، ومثلها في الدرة الزكية.

(٦) في تشريف الأيام - ص ١٤، والنهج السديد «الصلحاء»، ومثلها في الدرة.

(٧) في تشريف الأيام - ص ١٤، والنهج السديد «فهذا باب من الجانب»، وفي الدرة: «فهذا باب من
تلقى ذلك الجانب».

(٨) في تشريف الأيام - ص ١٤، والنهج السديد، والدرة: «وزند من ذلك الطرف كان قَدْحه».

(٩) في الدرة الزكية ٢٥٨ «وكم من مُزَيِّ بزَيِّ الفقير».

(١٠) ما بين القوسين لم يرد في الدرة الزكية.

(١١) في تشريف الأيام ص ١٤، والنهج السديد، «وظفر الله منهم».

(١٢) في تشريف الأيام - ص ١٤، والنهج السديد «رفع»، وفي الدرة: «مما ظفر منهم بجماعة كبيرة
رفع».

(١٣) في تشريف الأيام - ص ١٤، والنهج السديد والدرة: «ما غَطَّوه بخرفة».

(١٤) في الدرة الزكية: «بكم».

(١٥) في الدرة الزكية وتشريف الأيام، والنهج السديد: «أن باتفاق».

(١٦) في الدرة الزكية وتشريف الأيام، والنهج السديد: «الكلمة تنجلي ظلم (ظلمة) الاختلاف وتُبدَر بها
من الخيرات الأخلاف، ويكون بها صلاح العالم»، وفي الدرة: «وتدَر بها من الجوابر».

(١٧) في تشريف الأيام - ص ١٤، والنهج السديد والدرة الزكية: «وانتظام».

(١٨) في تشريف الأيام - ص ١٤، والنهج السديد «أبواب».

الاتحاد. و (من) ^(١) جَنَحَ إلى السلم فما ^(٢) حاد ولا حاد ^(٣). ومن ثنى عنانه عن المكافحة، كمن ^(٤) مَذَّ يد المصالحة للمصافحة ^(٥). والصُّلَحَ وإن كان ^(٦) سيد الأحكام (فلا بُدَّ) ^(٧) من أمورٍ تُبنى عليها ^(٨) قواعده، ويُعلم من مدلولها ^(٩) فوائده. (فإنَّ) ^(١٠) الأمور المستورة ^(١١) في كتابه هي كليات لازمة ينعم ^(١٢) بها كلٌّ مَغْنَى وَمَعْلَم، (إنَّ تَهَيَّأَ صلح أو لم) ^(١٣).

/ ١٧٧ / وثمَّ أمور لا بُدَّ وأن تُحَكَّم ^(١٤)، وفي سلكها عقود العهود تُنظَّم. قد تحمَّلها لسان ^(١٥) المشافهة التي إذا أوردت أقبلت إن شاء الله عليها النفوس، وأحرزتها صدور الرسل ^(١٦) كأحسن ما تحرزه الطُّروس ^(١٧).

وأما الاستشهاد ^(١٨) بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ^(١٩) فما على هذا النُسخ من الوُدِّ يُنْسَج، ولا على هذا السبيل يُنْهَج.

(١) «من» ساقطة من تشريف الأيام، والتهج السديد، والدرّة الزكية.

(٢) في تشريف الأيام، والتهج السديد: «وما».

(٣) في التهج السديد «فقد جاد ولا حاد»، وفي الدرّة: «فقد جاد وما حاد».

(٤) في الدرّة: «كان كمن».

(٥) في الدرّة: «مذيده للمصافحة للمصالحة».

(٦) في الدرّة: «وإن يكن».

(٧) ما بين القوسين ليس في الدرّة الزكية:

(٨) في التهج السديد والدرّة، وتشريف الأيام: «عليه».

(٩) في التهج السديد والدرّة، وتشريف الأيام: «مدلوله»، وفي الدرّة الزكية «مدلولته».

(١٠) في التهج السديد والدرّة، وتشريف الأيام: «فالأمر».

(١١) في الدرّة الزكية: «المستورة».

(١٢) في التهج السديد والدرّة، وتشريف الأيام - ص ١٥: «يعتبر».

(١٣) ما بين القوسين ليس في الدرّة الزكية.

(١٤) في الدرّة: «لا بدَّ أن تُعقد وتُحكَّم».

(١٥) في التهج السديد، وتشريف الأيام ص ١٥: «بلسان». وفي الدرّة الزكية: «قد يحمّلها لسان».

(١٦) في تشريف الأيام - ص ١٥، والتهج السديد: «الرسائل» - وفي الدرّة: «أقبلت عليها إنشاء (!) الله

النفوس، وأحرزتها صدور الرسائل».

(١٧) في تشريف الأيام - ص ١٥، والدرّة، والتهج السديد: «ما تحرزه سطور الطُّروس».

(١٨) في تشريف الأيام - ص ١٥، والدرّة، والتهج السديد: «وأما الإشارة إلى الاستشهاد»، وفي الدرّة:

«أما الإشارة إلى قوله تعالى».

(١٩) سورة الإسراء: الآية ١٥.

بل أفضل التقديم^(١١) في الذين حقوق تُرعى^(١٢)، وإفادات تُستدعى^(١٣).

وعند الانتهاء إلى جواب^(١٤) ما لعله يجب عنه الجواب من فصول الكتاب، سمعنا المشافهة التي على لسان أفضى القضاة قُطِب الدين^(١٥) فكان منها ما يناسب ما في الكتاب^(١٦). من دخوله^(١٧) في الذين، وانتظام عقده بسلك المؤمنين، وما يَسْطُهُ من عدل^(١٨) وإحسان، (وسيرة)^(١٩) مشكورة بكل لسان^(٢٠)، فالمنة لله في ذلك^(٢١)، فلا يَشْنُها^(٢٢) منه بامتنان. وقد أنزل الله (تعالى)^(٢٣) على رسوله في حق من آمن بإسلامه: ﴿قُلْ لَا تَمُوتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ / ٧٧﴾ بَلِ اللَّهُ يَمُوتُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ^(٢٤).

ومن المشافهة أنه قد أعطاه الله (من العظام) ^(٢٥) ما أغناه به عن امتداد^(٢٦) الطَّرَف إلى ما في يد غيره من أرض وماء^(٢٧)، فَإِنْ حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالأمر حاصل. والجواب^(٢٨) أَنْ تَمُوتُ أموراً متى حصلت عليها الموافقة، تَمَّتْ

(١) في التشریف، والنهج: «بل لفضل المتقدم».

(٢) في التشریف، والنهج: «في الدين ونصره عهد تُرعى»، وفي الدرّة: «فما على هذا النسق السبيل يُنهج، ولا الود يُنْجج، بل الأفضل للمقدم في الدين ونصره عهد ترعا».

(٣) في التشریف، والدرّة، والنهج زيادة بعدها: «وما برح الفضل للأولية وإنْ تَناهى العدد للواحد الأول، ولو تأمل مُورد هذه الآية في غير مكانها تروى وتؤل».

(٤) في التشریف، والنهج: «وعندما انتهينا إلى جواب»، ومثلها في الدرّة الزكية ٢٥٩.

(٥) في التشریف، والنهج: «قُطِب الملة والدين».

(٦) في التشریف، والنهج: «ما في هذا الكتاب»، وفي الدرّة: «فكانت مما تناسب».

(٧) في التشریف، والنهج: «من معنى دخوله».

(٨) في التشریف، والنهج: «من معدلة»، ومثلها في الدرّة الزكية.

(٩) لم ترد في التشریف، والنهج، والدرّة.

(١٠) في التشریف، والنهج: «مشكورة بلسان كل إنسان»، ومثلها في الدرّة.

(١١) في التشریف، والنهج: «فالمنة لله عليه في ذلك»، وفي الدرّة «على ذلك».

(١٢) في التشریف - ص ١٥ «فلا يَشْنُها»، والمثبت يتفق مع الدرّة الزكية.

(١٣) لم ترد في التشریف، والنهج، والدرّة.

(١٤) سورة الحجرات: الآية ١٧.

(١٥) عن الهامش.

(١٦) في تشریف الأيام - ص ١٥، والدرّة الزكية ٢٥٩: «ومن المشافهة أن الله قد أعطاه من العطاء ما أغناه عن امتداد».

(١٧) زاد في الدرّة الزكية: «من ممالك فسيحة تروي الظما».

(١٨) في تشریف الأيام - ص ١٥ «فالجواب». وفي الدرّة: «فإن حصلت للرغبة الموافقة، فالأمر حاصل، فالجواب».

المصاحبة^(١) والمصادقة. ورأى الله^(٢) والناس كيف يكون تصافينا، وإذلال مُعادينا^(٣) وإعزاز مُصافينا. فكم من صاحب أُوجِد^(٤) حيث لا يوجد الأب والأخ والقرابة. وما تمَّ أمر الدين^(٥) المحمّدي^(٦) واستحكم في صدر الإسلام إلا بمظافرة^(٧) الصحابة. فإن كانت له رغبة مصروفة إلى الاتحاد وحسن الوداد^(٨)، وجميل الاعتضاد^(٩)، وكُتِبَت^(١٠) الأعداء^(١١) والأضداد، والاستناد إلى من يشتدُّ به الأثر^(١٢) عند الاستناد، فقد فهم المراد^(١٣).

ومن المشافهة إذا كانت^(١٤) رغبنا غير ممتدّة إلى^(١٥) ما في يده من أرض وماء فلا حاجة إلى إنفاذ المُغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة (تعود)^(١٦). فالجواب أنه لو^(١٧) كَفَّ كَفَّ العدوان (من هنالك، / ٧٨ / وخَلَّى لملوك المسلمين مالهم^(١٨) من ممالك. سكنت الذُهماء، وحققت الدماء. وما أحقه بأن لا يَنَّهُ^(١٩)

-
- (١) في تشريف الأيام - ص ١٥ متى حصلت عليها الموافقة ابتنى على ذلك حكم المصاحبة، وفي الدرة: «ثم أمور متى حصلت حصلت الموافقة، وابتنى على ذلك حكم المصاحبة والمصادقة».
- (٢) في الدرة: «ورأى الله تعالى».
- (٣) في تشريف الأيام - ص ١٥ والدرة: «وإذلال عدونا».
- (٤) في تشريف الأيام - ص ١٥ «وُجِدَ».
- (٥) في تشريف الأيام - ص ١٥ «أمر هذا الدين»، وفي الدرة ٢٥٩: «وما تمَّ هذا الدين في صدر الإسلام».
- (٦) ليست في تشريف الأيام، والدرة الزكية.
- (٧) في تشريف الأيام - ص ١٥ «بمضافرة» وهو الصواب، والمثبت يتفق مع الدرة الزكية.
- (٨) في الدرة الزكية: «وحسن الاعتقاد».
- (٩) ما بين القوسين ليس في الدرة الزكية.
- (١٠) في الأصل: «وكتب».
- (١١) في الدرة: «الأعداء».
- (١٢) في تشريف الأيام - ص ١٦ «يشتدُّ الأمر به»، وفي الدرة: «يشد».
- (١٣) في تشريف الأيام - ص ١٦ «عند الاستناد فالرأي إليه في ذلك»، وكذا في الدرة الزكية.
- (١٤) في تشريف الأيام - ص ١٦ «ومن المشافهة أنه إن كانت»، وفي الدرة: «ومن المشافهة إن كانت الرغبة».
- (١٥) في تشريف الأيام - ص ١٦ «ممتدّة الأمل إلى»، ومثله في الدرة الزكية.
- (١٦) ليست في الدرة الزكية.
- (١٧) في تشريف الأيام - ص ١٦ «فالجواب عن ذلك أنه إذا كَفَّ»، وفي الدرة: «فالجواب عنه أنه إذا».
- (١٨) في تشريف الأيام - ص ١٦ «كَفَّ العدوان وترك المسلمين ومالهم»، وكذا في الدرة الزكية.
- (١٩) هكذا. والصواب: «بالأَيَّنة».

عن خُلُقِي وَيَأْتِي مِثْلُهُ^(١)، وَلَا يَأْمُرُ بِشَيْءٍ^(٢) وَيَنْتَسِي^(٣) فِعْلَهُ، وَقَنْغَرُطَاي^(٤) الرُّومُ^(٥) (الْآن)^(٦)، وَهِيَ بِلَادٌ فِي أَيْدِيكُمْ، وَخَرَأْجُهَا يَجِيءُ إِلَيْكُمْ. فَقَدْ^(٧) سَفَكَ فِيهَا وَفَتْكَ^(٨)، وَسَبَى وَهَتْكَ. وَبَاعَ الْأَحْرَارَ، وَأَبَى إِلَّا التَّمَادِي عَلَى ذَلِكَ^(٩) وَالْإِصْرَارَ.

وَمِنَ الْمَشَافَهَةِ أَنَّهُ إِنْ^(١٠) حَصَلَ التَّصْمِيمُ عَلَى أَنْ^(١١) لَا تَبْطُلَ هَذِهِ الْإِغَارَاتُ^(١٢)، وَلَا يَفْتَرُ عَنْ هَذِهِ الْإِثَارَاتِ. فَيَعِينُ^(١٣) مَكَانًا يَكُونُ فِيهِ اللَّقَاءُ، وَيُعْطِي اللَّهُ النَّصْرَ^(١٤) لِمَنْ يَشَاءُ. فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَمَاكِنَ الَّتِي اتَّفَقَ فِيهَا مُلْتَقَى الْجَمْعَيْنِ^(١٥) مَرْءٌ وَمَرْءٌ وَمَرْءٌ قَدْ عَافَ مَوَارِدَهَا مِنْ سَلَمٍ مِنْ ذَلِكَ^(١٦) الْقَوْمِ، وَخَافَ أَنْ يَعَاوِدَهَا فَيَعَاوِدُهُ مَصْرُغُ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَوَقْتُ^(١٧) اللَّقَاءِ جَلَّمَهُ عِنْدَ اللَّهِ لَا^(١٨) يَقْدَرُ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِمَنْ أَقْدَرُ لَا لِمَنْ قَدَرٌ. وَمَا^(١٩) نَحْنُ مِمَّنْ يَنْتَظِرُ فُلْتَهُ، وَلَا مِمَّنْ لَهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَفْتُهُ. وَمَا أَمْرُ سَاعَةِ النَّصْرِ^(٢٠) إِلَّا كَالسَّاعَةِ لَا

(١) يُلَمِّحُ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَا تَنْسَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْنِي مِثْلَهُ عَاذَ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتُ عَظِيمَ

(٢) فِي تَشْرِيفِ الْأَيَّامِ - ص ١٦ «وَلَا بِأَمْرِ بِيْرَ»، وَمِثْلُهُ فِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ ٢٦٠.

(٣) فِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ: «وَيَنْتَسِي».

(٤) قَنْغَرُطَايَ KONGARTAI كُونْغُورَادَايَ.

(٥) فِي تَشْرِيفِ الْأَيَّامِ «بِالرُّومِ»، فِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ: «هَذَا قَنْغَرُطَايَ بِالرُّومِ».

(٦) لَيْسَتْ فِي تَشْرِيفِ الْأَيَّامِ، وَالدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ.

(٧) فِي التَّشْرِيفِ: «وَقَدْ»، وَمِثْلُهُ فِي الدَّرَّةِ.

(٨) فِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ: «وَقَتْلَ».

(٩) فِي التَّشْرِيفِ: «عَلَى الْإِصْرَارِ وَالْإِصْرَارَ»، وَمِثْلُهُ فِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ.

(١٠) «إِنْ» لَيْسَتْ فِي التَّشْرِيفِ. وَفِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ: «إِذَا».

(١١) كَذَا، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: عَلَى الْإِصْرَارِ.

(١٢) فِي التَّشْرِيفِ: «الْإِغَارَاتُ»، فِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ.

(١٣) فِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ: «وَلَا تَغْيِرُ هَذِهِ الْإِثَارَاتُ»، يَعْنِي.

(١٤) فِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ: «وَيُعْطِي اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ النَّصْرَ».

(١٥) فِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ: «الْمُلْتَقَى لِلْجَمْعَانِ».

(١٦) فِي التَّشْرِيفِ، وَالدَّرَّةِ: «مَنْ أَوْلَنَكَ».

(١٧) فِي التَّشْرِيفِ، وَالدَّرَّةِ: «فَوَقْتُ»، وَفِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ: «فَوَقْتُ اللَّهِ لَا يَحْصُرُ».

(١٨) فِي التَّشْرِيفِ، وَالدَّرَّةِ: «فَلَا». وَفِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ: «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا يَقْدَرُ».

(١٩) فِي التَّشْرِيفِ، وَالدَّرَّةِ: «وَلَا».

(٢٠) فِي الدَّرَّةِ الزَّكِيَّةِ: «السَّاعَةُ بِالنَّصْرِ».

يأتي^(١) إلا بغته . / ٧٨ ب/ والله الموفق لما فيه صلاح هذه الأمة، والقادر على إتمام كل خير ونعمه^(٢) . إن شاء الله تعالى .

وكتب في مُستَهَلِّ رمضان المعظَّم

سنة أحد^(٣) وثمانين وستماية

انقضى مضمون جوابهم، ومفهوم خطابهم، وفحوى العرض الذي خطي^(٤)

بهم .

وتقدَّم أمر مولانا السلطان فأفيضت عليهم ملابسُ نعيمه، وأُجزِلت لديهم مواهب كرمه، وخصَّ كُلاً منهم بما يناسب قدره، ويشرح صدره، ويحسن له إلى وطنه الكَرَّه . ثم جيزوا بجوابهم المشروح، فحين وصلوا إلى مُرسلهم بالجواب، وأعادوا عليه ما هالهم، وأخبروه أنَّ قلم هذا الجواب كان في الكتاب، ورجل سلطانه في الركاب . علماً منه بعادة التتار في الركوب خلف كتابهم، والوثوب عند انفصال خطابهم، وقالوا وقالوا، وحذثوا ولا حَرَجَ عن عِزِّ سلطانٍ جالت أفكارهم عندما^(٥) / ١٧٩ / بممالكه المعظَّمة جالوا .

إلا أنَّ الملك أحمد لم يرتكب عادة التتار، في العُتُو والثَّفار، ولا ركب رغبةً في الصُّلح الذي فيه عمارة الدار والجار . بل أقبل على قضية الصُّلح أيما إقبال، وابتهج به رغبةً في سلامة العُقبى والمآل . ورأى أنه خيرٌ وأبقى، وأبقى وأتقى^(٦) . وأخذ في تجهيز شيخه والهادي له إلى الإسلام كما زعم، والذَّالَّ له على طريق سلامة الصُّلح إن انتظم، وجَهَّزه وصحبته موكب من الأمراء والخدم، والبرك^(٧) والخُشَم . ورفع على رأسه الجِتر^(٨) وهو قُبَّةٌ من آدم، وحكمه في البلاد فأحكم إذ

(١) في التَّشريف، والدِّرة: «لا تأتي» .

(٢) حتى هنا في تشریف الأيام، والنَّهْج السَّديد، والدِّرة الزَّكية .

(٣) الصواب: «إحدى» .

(٤) كذا في الأصل . والصواب: «خطا» .

(٥) تَكَزَّرت «عندما» في آخر الورقة ٧٨ وأول الورقة ٧٩ .

(٦) الكلمتان مهملتان في الأصل .

(٧) البرك: يسكون الواو . المتاع الخاص من ثياب وأسلحة ونحوها، مما يحمله المسافر .

(٨) الجِتر: بكسر الجيم، من شعار السلطنة، ويُعرف أيضاً بالمظلة التي هي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب، على أعلاها طائر من نقشة مطلية بالذهب . (صبح الأعشى ٤/٧، ٨) .

حكم. وتقدّم إليه بالتوجّه لباب مولانا السلطان، ومصافحته بالصّلح يوفي ماله من الضمان.

هذا، والأخبار عند مولانا السلطان من مكاتبيه بحركة هذا الشيخ وسكونه منزلة بمنزله، وأنباؤه مرحلة بمرحلة. وعدّة من في صُحبته وصورة هيئته وهيئته^(١). فلما قرُب من البلاد. / ٧٩٩ب / ودنا المراد من المراد، برزت مراسم مولانا السلطان بالكتابة إلى الأمير جمال الدين أقوش الفارسي أحد الأمراء الكبار القديمي الهجرة، المعروفين بالشجاعة في كلّ أمر وإمره، بأن يركب لتلقّيه من البيرة، وأنه إذا عدّى يمنعه من الركوب بالجتر ويقول له: قد صرت في بلاد مولانا السلطان، ولا يركب فيها أحدٌ بالجتر غيره. فحين عدّى ما تعدّى، وحطّ مرفوعه عن راسه، وعرف منذ حلّ أرض مولانا السلطان قدّر نفسه^(٢).

ولما وصل إلى حلب المحروسة وجد ما كان قد رُسم به لئائها الأمير شمس الدين قُرا سُنقر المنصوري من إخلاء القاعات لنزوله، وبهيئة ما يليق به قبل وصوله. فحين وصل وجد ما ينبغي لمثله. وأنزل من رحاب مولانا السلطان منزلاً مباركاً لا يُنكر قُزط إفضاله وفضله، وأقيم له من يقوم بمصالح خيله، وأن لا يمكن أحدٌ ممّن معه أن يخرج من المنزل الذي نزل، احترازاً من تحيّل، وإن لم يكن في خيله^(٣). / ١٨٠ / وسُيّرت مطالعة من النائب المذكور بحلب بعدّة من معه، ومن أعجب ما رأيته فيها أربع^(٤) فقراء يرسم الزمزمة والسماع.

هذا ما كان من الشيخ المذكور.

[دخول السلطان قلاوون دمشق]

وأنا ما كان من مولانا السلطان (فإن)^(٥) مشوّرة انعقد مع عُقلاء أمرائه وشيوخ آرائه على أن يكون الاجتماع بهذا الرسول بدمشق، ليعلم أن بلاده لم تخلُ

(١) الكلمتان «هيئة وهيئة» مهملتان في الأصل.

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ١٠٠، الدرة الزكية ٢٦١، تشریف الأيام ٤٩.

(٣) تشریف الأيام ٤٩، ٥٠.

(٤) الصواب: «أربعة».

(٥) مطموسة في الأصل ولم يبق ظاهراً منها سوى «ف».

منه، (ولم يستغن في دفع خيله ركوب عزّ ويُغد رسولٍ عنه)^(١) فاستخار الله سبحانه وتعالى، وعزم والنصر يرفرف عليه، والتأييد ينظر بعين العناية إليه. وقد راق منظره، وحقق خبره وخبره. والمنازل تهاده، والألطف الإلهية^(٢) متكفلة بحسن معاده ومبداه.

فلما حلّ مولانا السلطان بدمشق وقد تبرجت له بزهر أزهارها، وفرشت لوطي جواده فرّش أنهارها. والأغصان قد تمايلت بسماع إدانة الأرض (له)^(٣) طرباً، والطيور قد عادت باسمه الشريف من جملة / ٨٠٠ ب/ الخطباء^(٤). والأكمّام قد رفعت عن يانع ثمرها، لضيافة قدومه كامها. والسماء قد امتدت لوقاية قمر وجهه أن تدركه الشمس غمامها فحلّ قلعنها حلول الزهرة في شرفها، والدرة في صدفها، وأهل الجنان في غرّفها، والآيات البيّنات في صُحفها.

فحين استجم - خلد الله سلطانه - تقدّم أمره العالي بحضور الشيخ المذكور مع من معه من حلب، وطلبه فنجح بشرعة امتثاله ذلك الطلب. وأمهل إلى أن استراح ثلاثة أيام. ثم استدعي وقد جلس مولانا السلطان على كرسي سلطانه في صورة لا شك أنها (أحسن)^(٥) الصّور، وهيئة تُدهش ذوي النظر. وقد تجملت خواصّ ممالكه بأحسن مُدخّرها من الملابس، وبرزت في هيئة إبريز لا شك أنها نار قابس.

ودخل هذا الشيخ في هيئة الفقراء مُعَمَّماً بغوطه مُزخاة، لها عذبة بدلي، طوى كُميه وجمعهم. وفي خدمته أتائبك، وشمس الدين ابن التّيتي.

وكان هذا الشيخ يميل إلى الشُّفرة، فلما شاهد وجه / ٨١ / مولانا (السلطان)^(٦) أعظم خلق الله بتنزيهه وتقديسه، وتمتع من كلّ من مولانا السلطان وملبسه بنفسه. فرأى مولانا السلطان لحد (...)^(٧) وأمر بإجلالته، تنويهاً من

(١) ما بين القوسين شطب عليه المؤلف.

(٢) في الأصل: «اللاهية».

(٣) كتبت فوق السطر.

(٤) في الأصل: «الخطباء» بإثبات الهمزة، وهذا لا يتفق في السّجع.

(٥) عن الهاش.

(٦) مطموسة في الأصل.

(٧) هنا كلمتان مطموستان.

قدره، وأحضر هذا الشيخ (...) (١١) المذكور صندوقاً لطيفاً مُقفلاً، فلم يشك مولانا السلطان أنه جوهر مثنى. وفتح حين وضعه بين يديه، فإذا فيه دواة من فولاذ (مجوهر) (٢) مرب [سعة] (٣) (...) (٤) [يكو] (٥) ن طول شبر وفتر، يدور بها طران من ذهب. وداخل (...) (٦) فضة مسكوبة مطلية بذهب، وحليتها فضة مطلية. قيل إنها صنعة هذا الشيخ. فحين أطلقها (٧) مولانا السلطان استحقر همتهم، واستنقص هديتهم، وأنعم بها في الوقت الحاضر بحضرة الشيخ على صاحب ديوانه الصاحب (فتح الدين) (٨) المذكور.

[موت أحمد بن هولاكوا]

ثم سمع مشافهته التي حملها، وأحاط علماً بتفصيلها وجملتها، وأعادها إلى منزله ليجهز، فلم يكن أسرع من أن جاء الخبر بموت أحمد (٩) مُرسِله، وأن الجِمام / ٨١ ب/ وافاه مُعجّله. فسُير مولانا (السلطان) (١٠) إليه وأُطلعه على ذلك فأسقط في يديه، وأُعْجِبَ عند سماع هذا الخبر عليه. ولم يُقيم الشيخ المذكور إلا أياماً بعد

(١) كلمة مطموسة، ولعلها «عبد الرحمن».

(٢) كُتِبَ فوق السطر.

(٣) ما بين الحاصرتين مطموس في الأصل.

(٤) كلمة مطموسة.

(٥) ما بين الحاصرتين مطموس في الأصل.

(٦) مقدار ثلاث كلمات طُمِسَتْ من الأصل.

(٧) كذا. والصحيح: «أُطْلِعَ عليها».

(٨) ما بين القوسين طُمِسَ في الأصل.

(٩) وقد قُتِلَ السلطان أحمد في سنة ٦٨٣ هـ. على يد ابن أخيه أرغون خان في أذربيجان. انظر عنه في: تاريخ الزمان ٣٤٦، ٣٤٧، وتاريخ مختصر الدول ٢٩٧، ٢٩٨، وتشريف الأيام ٦٣، والمختصر في أخبار البشر ١٧/٤، ونهاية الأرب ٤٠٣/٢٧، ٤٠٤، ١٠١/٣١، والثغفة الملوكية ١٠٧، والدرة الزكية ٢٦٣، ٢٦٤، وجامع التواريخ مجلد ٢ ق ١١٢/٢، والمختار من تاريخ ابن الجوزي ٣١٧، ودول الإسلام ١٤١/٢، والعبر ٣٤٢/٥، ٣٤٣، وذيل مرآة الزمان ٢١١/٤ - ٢١٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٣٠، ٢٣١، وعيون التواريخ ٢١/٣٤١، ٣٤٢، ومآثر الإنافة ١٢٧، ١٢٨، والبيداية والنهاية ٣٠٣/١٣، ٣٠٤، والسلوك ج ١ ق ٧١٤/٣، وروضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر، لابن الشحنة، أبي الوليد مجد الدين محمد بن محمود، وطُبِعَ على هامش كتاب «الكامل» لابن الأثير، بالقاهرة ١٢٩٠ هـ - ج ٩/١٤٤، وتاريخ ابن سباط ١/٤٨٢، والدعوة إلى الإسلام، للسير توماس أرنولد ٣٦٠، ٣٦١، والتاريخ الغياني ٤٥/٥ - ٤٧.

(١٠) عن الهامش.

هذا الخبر ثم قضى نخبه، بعد أن عالج من هذا الخبر صعبه .

وبرز أمر مولانا السلطان فأحسنّت موارثه، وشُكِرَت . بلحاق تلميذه في الإسلام مؤلفاته . ثم الحق بأتابك فتوافيا في دار الفناء، واستراحا في مُقاساة العود من الغناء .

ونقل شمس الدين بن التيتي إلى الاعتقال بقلعة الجبل، ومُنَ راع من جاء معه من العود، ولم يكن بأحمد، إذ غصصوا بما فاتهم من ملكهم أحمد .

[ترتبات السلطان قلاوون وهو بدمشق]

ثم أخذ مولانا السلطان في إرسال القُضاد، ومكاتبة المكاتبين، والنُصحاء المجاهدين، باستطلاع ما استقرّ بعد وفاة الملك أحمد، ومن استقرّ، ومن خلفه في المُلْك ومن ثُبّت بعد وفاته ومن قرّ .

وأقام مولانا السلطان بدمشق المحروسة حِفْظاً لبلاده، وصيانة لعباده، ممّن يقوم، ومن يغروه لقصدهم بسوم .

/٨٢٢/ وبرزت المراسم الشريفة للنواب بالأطراف بالاحتراز من الغيابة، وحفظ مغزّر الرعيّة أن يلتقطه بعض السيّارة^(١) . وأن يحترز على المخائض أيما احتراز، وأن لا يغرّط في جانب حقيقة الحزم بما لكاذب الأخبار من مجاز .

وكتب إلى الأمير شرف الدين عيسى بن مُهنا أمير آل فضل بأن يحفظ ما عُذّق به منها، وأن لا يغفل ولا دقيقة عنها .

وعاد مولانا السلطان إلى مقرّ ملكه كما بدا، وقد تحقّق شغلُ القوم بأنفسهم عن الاعتداء، ووردت كُتُب النصحاء بذلك، وأن المستقرّ في المُلْك بعد وفاة أحمد^(٢) . [هو أرغون بن أبغاين هلاوون]^(٣) .

[عودة السلطان إلى مصر]

واستقبل مولانا السلطان مصر مقرّ ملكه، وقد طفح بنيلها، وبرد بالريّ غليلها . وصبح من مهاب نسيمها عليها، وراقت بُسْطُ ربيعها الممتدة، وتهيّأت

(١) اقتباس من الآية ١٠، من سورة يوسف .

(٢) في الأصل بياض مقدار سطر . تركه المؤلف ليكتب اسم خليفة الملك أحمد .

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل من : الدرة الزكية ٢٦٣ .

خيراتها التي هي لقدمه مُعْتَدَّة. فتمتّع بها وتمتّعَتْ، وسجدت أغصانها برؤوس^(١)
أكمام الثمار لله شكراً / ٨٢ب/ حين به كما يَسُر (اجتمعت)^(٢). وأشد لسان حالها:
إياب كما أب الحسام إلى الغنم وعوذ كما عاد الندى شجر الورد
هذه صورة الحال في أمر رسول التار أولاً وثانياً.

ذكر حزم مولانا السلطان

عند سفره من كرسي ملكه لمثل ذلك وغيره

كان مولانا السلطان عندما يبرز دهلِيزُه المنصور بظاهر القاهرة، ويعزم
منصوره (وما زال)^(٣) الله ناصرَه، يتقدّم أمرُه العالي إلى والي القاهرة ومصر
المحروستين بالاحتراز التام على الرعية ظاهراً وباطناً. وأن يخفرهم الزّالة بأنفسهم
سكناً وساكناً. وأن يواصلوا بأوراق الصباح، وتعريف سعر الغلات وأوراق زيادة
النبل مع كل بريد. وأن لا يخلوا^(٤) علمه الشريف من متجدد كل يوم جديد.
ويتقدّم إلى ولده ووليّ عهده السلطان الملك الصالح بأن يلاحظ هذه الأمور، وأن
يحسن الخلافة على من استرعاه من الجمهور / ٨٣/ ويؤكد على أخيه السلطان
الملك الأشرف صلاح الدين خليل في أن لا يناهب أخاه نهياً ولا أمراً، وأن يلزم
معه الأدب سراً وجهاً. فإذا لم يبق إلا الركوب من قلعه تقدّم أمره بكتابة تذكرة
بتفصيل ما أجمله من وصيته، ويشملها بخطه الشريف، ويتقدّم إليه بأن يجعلها
نُصّب عينيه، وأن يراجعها في كل أمر يعزم عليه.

ذكر نصّ بعض ما كتب له من التذاكر

فمن ذلك ما هو بخطّ الصاحب محيي الدين بن عبد الظاهر وهو

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه تذكرة مباركة نافعة بما يتأمله المقام العالي، السلطاني، الملكي،
الصالح، العلاني، أعزّ الله نصره، ملاحظاً، ويكون راجعاً إليه، ومُسنداً عنه،
ومتمسكاً به، ومراقباً له، ومستكثراً منه. / ٨٣ب/ وبالله تعالى التوفيق.

(١) في الأصل: «بروس».

(٢) كتبت فوق السطر.

(٣) عن الهامش، وكتب لفظ الجلالة مرتين: في الهامش والمنت.

(٤) كذا، والصواب: «يخلو» من غير ألف.

«قد علم الولد - نصره الله - ما أعطانا الله تعالى من هذا المُلْك العظيم،
والنعمة التامة، والسلطان المتمكّن، وما نحن عليه من خوف من الله، وخضوع
لعظمة الله، واتكال في أمورنا على الله، واستناد إلى قوّة الله، واعتقاد أنّ النصر إنّما
هو من عند الله، فيكون هذا اعتماد الولد في أموره كلّها، وأحواله جميعاً.
والله حسبنا ونعم الوكيل».

فصل

«وللمملكة الشريفة قواعد وضوابط وقوانين لا يجب الإغفال (عن)^(١) مُهمّ
منها».

فمن ذلك ما يُعتمد في غيبتنا أحسن الله عاقبتها، وجعلها مُقرّنة بالنظر
والتأييد، والظفر على ما عوّذ برحمته وفضله. أنّه يتقدّم بملازمة المجرّدين بالقلعة
المحروسة، وتفقدهم وأخذهم بالملازمة، وأن أحداً منهم لا يخلّ بنوّه على العادة
في مراكز القلعة، / ١٨٤ / وأبوابها وأسوارها ظاهراً وباطناً، وعلى الاعتقالات
والحبّوس في الليل والنهار والصباح والمساء، وفي أوقات ركوب الولد ونزوله.
وتكون أبواب القلعة محفوظة بالأمرء والمقدّمين والبحرية على العادة، ولا يُفسح
لغريب ولا لمتنكّر ولا لمحمول في طلوع القلعة. ويعتمد العادة في تجريد جماعة
من الجُنْد حول القلعة في جهة الجبل، ومن جهة القرافة، وعند دار العدل
يحضرون في كلّ عشية، ويثبتون بخيولهم وغلماهم طائفين بالقلعة، وحافظين
لجهة الشجر. ويتقدّم بتجريد جماعة عند والي مصر وجماعة بالقرافة يطوفون،
ويتقدّم بتجريد جماعة بالقاهرة يفرّقهم في المدينة وفي الحُسَيْنِيّة، وفي الأحكار
وفي الشارع، ويطوفون بالنوبة، ومعهم جماعة من جهة ولاية القاهرة، ويحترزون
على الأبواب.

ونوصي المجلس السامي الأمير علّم الدين^(٢) والي القاهرة على الاعتقالات
وحفظها وحفظ من بها من المعتقلين / ٨٤ب / والأسارى، ويؤكد عليه في حفظهم
وضبط أمرهم، والاحتراز على الحبّوس وعلى الدُروب والأبواب، ويؤكد عليه في
منع ذوي الغدوان وذوي الدّعارة من الاجتماع في مظانّ الفساد، وأماكن الغيث.

(١) كُتبت فوق السطر.

(٢) هو الأمير علم الدين سنجر الشجاعي.

والإنكار على من يمشي في الليل بغير حاجة، أو يخرج لا لضرورة، ويوقع الإنكار على ذوي الفساد، وشراب المنكرات، وإقامة حدود الله فيمن يوجد سكراناً أو على حالة منكّرة، ويعفي آثار المنكرات كلّها، وإزالة ما تركنا لله الحمل الكثيرة من ضمانه لأن يُعطل وَيُبْطَل. ولا يظهر الولد في هذه الحسنة على جميع الولاء، ويشدد ويغلظ ويُنكر ويحذّر. ويشهر من يتجرأ أو يخالف أمر الله تعالى والمراسم المطاعة، ويعتمد السياسة التامة في ذلك^(١). ويعتمد الولد أمر الله في كل سارق وقاتل وجارح، ويحمل الأمر في ذلك على موجب الشرع الشريف، فالشرع يجمع كل شيء، ومن قتل يُقتل، ومن / ١٨٥ / سرق يُقطع. كل ذلك بالحق والشرع الشريف. وكذلك في جميع البلاد بأمر بذلك.

ويتقدّم الولد إلى ولاية الأعمال بحراستها وحفظها من المفسدين، ويكتب الحُجج على مشايخ البلاد وخُفرائها بحفظها في الليل والنهار، والمساء والصباح، والغدوّ والرواح، وإخراج بيوت شعير ينزل بها الخُفراء من القرية إلى القرية، لتأنيس الطرقات وحفظها، وإجابة المستصرخ، ولحاق المتعزي، وإدراك الهارب، وإمساك المفسد.

وتتقدّم إلى الولاية بالمُنادة بأنّ السّفارة لا يسافرون إلّا بالنهار، وأنهم لا يغزّرون بنفوسهم ولا بأموالهم. ومن غزّر كان إثمُه في عنقه. ولا تجعل الولاية ذلك حُجة للخُفراء، بل يلزّمهم بكلّ ما يُعَدَم. وكلّما يؤخذ، وكلّم^(٢) تُعْذِي عليه، ويُعرّفهم أنّ منع الفساد في الليل والنهار إنّما هو من طريق الاحتراز، وإلّا كلّما يؤخذ لهم يلزمون به.

فصل

يؤكد الولد - نصره الله - في تدريج الحمام الرسائلي لأجل البطايق / ٨٥ ب / وإلّا يُسيّر إلّا الطيور الجيدة، وأنها تكون مُدْرَجَة إلى غزّة المحروسة، حتى أنّ الخبر يصل إنّ شاء الله تعالى في يومه من غزّة، لا بل من الشام، وكذلك حمام بطايق الثغور وغيرها.

فصل

يتقدّم الولد بالاحتراز على الجُنْد والمتأخّرين المجرّدين عن العسكر

(١) سها المؤلف فكثر جملة: «يعتمد السياسة التامة في ذلك». ثم شطب عليها.

(٢) هكذا في الأصل. والصواب: «وكلّ من».

المنصور، وأتي من حضر منهم مَن كان متأخراً بسبب مرض أو عاقبة، أو كان في إقطاعه، يُعرض في ديوان الجيوش المنصورة، ويكتب له ورقة طريق تحلته وحلته غلماناً، ويعلم الولد عليها، ويؤمر بسرعة لحاقه للعسكر المنصور، وأن لا يتاجر بالجملة الكافية. ويجد في سيره.

فصل

يؤكد الولد على الوالي بالشرقية وعلى والي العرب (وعلى العربان)^(١) في ترتيب خيل البريد بعد توجه العسكر المنصور، وأن لا يحضر إلا خيل^(٢) جيدة، ولا يحضرون فرساً عجفاء ولا عاجزة. ويأمر بأن لا يفارق صاحب النوبة مكان نوبته / ٨٦ / حتى يحضر صاحب النوبة الأخرى ويتسلمها. ومن ترك نوبته شاغرة يُنكر عليه ويؤذّب ويُغرم.

ويتقدم الولد - نصره الله - بأن فرس بريد لا يتعدى بها أحد (مكاناً دون)^(٣) مكانها، ولا منزلة إلى أخرى.

فصل

ويؤكد على والي الشرقية، وعلى والي الغرب في حفظ المحارض والمياه من جهة البرية، الكرك وغزة من تلك الجهة. ويوصي مقدّمي العائد وغيرهم على حفظ نوبتهم، بحيث لا يفوتهم الطائر إذا طار إلى تلك الجهات بالجملة الكافية، ويحفظ جهة السويس، وماء العنيج، والطريق البدرية، ومن وجد على غير الطريق الجادة راتحاً أو واصلاً أميبك، ويُطالع به. ويوصي والي الشرقية في إنفاذ الحمام إلى بُرج السويس ضُخبة من جرت العادة بتجريدهم فيه، ويزيد عدّتهم في هذا الوقت به. ويؤكد عليهم في الحفاظ التام والاحتراز. ويؤكد على والي الشرقية، وعلى والي الخيرية في إقامة الحُفراء في الأماكن / ٨٦ ب / المعروفة بهم خلف قلعة الجبل المحروسة، وخلف الجبل إلى (جهة)^(٤) السويس، وإلى جهة إطفيح^(٥)، ومن جهة شرونة^(٦) من الأعمال البهنسائية،^(٧) بحيث أن هذه الجهات لا يسكنها

(١) عن الهامش. (٢) الصواب: «إلا خيلاً».

(٣) عن الهامش. (٤) كُتبت فوق السطر.

(٥) إطفيح: بكسر أوله. بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل في شرقه. (معجم البلدان ٢١٨/١).

(٦) شرونة: بضم الراء وسكون الواو. قرية بالصعيد الأدنى شرقي النيل. (٣٤٠/٣).

(٧) البهنسائية: نسبة إلى البهنسا. بالفتح ثم السكون. مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل. (٥١٦/١).

أحد، وتكون محفوظة محروسة، مُحترَزا عليها، محفوظة بالحُفراء. ويدرك مقدّموها أمرها حتى إنه إن حصل خَلَل - والعياذ بالله - كان ذَرَكها لازماً لهم. وكانت أرواحهم قُبالة ذلك.

فصل

يستطلع الولد - أعزه الله تعالى - الأخبار من جهة الثغور، وما يتجدد بها من جهة البحر من أمور. ويكون الولد عينه إلى ما يتجدد من خبرهم من جهة الروم. أو جهة العرب، أو بلاد الفرنج، ويُعرفنا بالمهم من ذلك في وقته وساعته. ويعمل بحسب ما يتجدد من الاهتمام بالمداركة، وانتهاز الفرصة، وتلافي الأمور من غير إهمال ولا إغفال، حسبما يقتضيه الحزم التام.

ويؤكد الولد على والي الإسكندرية في أخذ الرجال من الجُند الذين بها، والقبائل، وأهل الثغر بما جرت عادتهم به / ١٨٧ / من لبس عددهم، والعرض بها، والمراقبة على العادة.

ويؤكد عليه في حفظ فنادق الفرنج، وحفظ مفاتيحها في الليل، وفي وقت صلاة الجمعة، وفي حفظ الأمكنة المجاورة لها، وفي حفظ المواني من جهة المير ومن كل جهة. وأنه يكون مستظهِراً في أموره كلها.

ويتقدّم الولد إلى والي دمياط والي الغربية، وإلى نستروه^(١)، وإلى رشيد^(٢) بحفظ السواحل والبُرور، وكل من جرت له عادة من الغربان بحفظ مكان يُرتب فيه ويُلزم بحفظه. وكذلك جهة الطينة^(٣)، وتيس^(٤). ويؤكد على والي دمياط، والي قطيا^(٥) في حفظها والاحتراز عليها وضبطها وحفظ من يدخل منها أو من يخرج. ويؤكد في ذلك. ويوصي ولّاء الثغرين في إطابة قلوب التجار واستمالة خواصهم

(١) نُسْتَرُوهُ: بالفتح ثم السكون وناه مثناة من فوقها وراء مضمومة، وواو ساكنة. جزيرة بين دمياط والإسكندرية (٢٨٤/٥).

(٢) زبيد: بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الإسكندرية. (٤٥/٣).

(٣) الطينة: بكسر أوله وسكون ثانيه: بليدة بين الغرما وتيس من أرض مصر. (معجم البلدان ٥٦/٤).

(٤) تيس: بكسرتين وتشديد النون. جزيرة في بحر مصر قريبة من التيز ما بين الغرما ودمياط. (معجم البلدان ٥١/٢).

(٥) قطيا: فطية: بالفتح ثم السكون، وباء مفتوحة. قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الغرما. (معجم البلدان ٣٧٨/٤٥).

ومعاملتهم بالعدل والإحسان والرفق والإنصاف ليتوجهوا شاكرين حامدين، مستجلبين خواطر من يحضر بعدهم من التجار، مع اعتماد مصلحة الديوان المعمور. / ٨٧ب/ وتقدم إلى والي البحيرة بحفظ الطرقات وحفظ المنازل من جهة برقا^(١)، وتلك الجهات، وضبطها من متسلك، أو متسحب، أو نازح.

ويؤكد الولد على والي البحيرة في مباشرة خليج الإسكندرية، وإزالة ما هو في طريق الماء من بلعات^(٢). وكذلك تتقدم إلى والي الإسكندرية بحفر ما يلزمه من ذلك. ويؤكد على والي البحيرة في ملازمة البحر المنصوري المعروف بالطيرة، والمطالعة بما يتجدد فيه من منفعة وبركة ونمو.

ويؤكد الولد - نصره الله تعالى - على والي البهنساية^(٣)، وعلى والي الفيوم في حفظ جهة ألواح من الجند المتسللين، أو الأكراد، أو الشهرزورية، ويحذر من اجتماعهم في مكان واحد.

ويؤكد الولد على والي الجيزية في أنه لا يخلي أحد ممن ينكر مثل شهرزورية وأكراد بطالين، أو من يكون من هذه النسبة أنهم يعدّون بيوتهم وأولادهم مجتمعين، ويوصيه بالاحتراز من هذا الأمر. وأنه / ١٨٨/ يتيقظ لهذه المصلحة ويلاحظها، ويكون على تحفظ من هذا الأمر. وكذلك يتقدم بالوصية على جهة ألواح من جهة ولاية سيوط^(٤). ويتقدم إلى ولاية البلاد بأن (لا)^(٥) يفسحوا للعربان في حمل شيء من السيوف والرماح، وتؤخذ منهم وتُسَير إلى خزائن السلاح المنصورة على العادة.

فصل

وقد علم مهمات الأمراء والجند، وأنهم في بيكار^(٦)، ويحتاجون إلى الملاحظة في غيبتهم، وحسن العناية بنوابهم. والشّد منهم في خلاص حقوقهم من

(١) كذا، وهي بركة: صُفح كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. وعاصمته حالياً مدينة بنغازي.

(٢) بلعة = بالوعة. وهي المصرف الذي يصرف المياه عن الطرقات.

(٣) كذا. والمراد: «البهنسائية».

(٤) كذا. وهي أسيوط. مدينة معروفة بصعيد مصر.

(٥) كُتبت فوق السطر.

(٦) البيكار: الحرب.

جهاتهم، ومن إقطاعاتهم، وإكرام مُخلفيهم. مع المكاتبات إلى ولاة الأعمال بقضاء أشغالهم، وتقوية أيدي نوابهم ومُراعاة أسبابهم، والإعانة لهم في التقدّم بتلافي أمورهم جميعها لتكون أحوالهم مASHية في غيبتهم أكثر من حضورهم، والاعتناء بهم أَوْفى، والملاحظة أكثر، وتقوية اليد أتم.

فصل

٨٨٨ب/ وإذا أتمَّ اللّهُ نعمته، وأسبغ رحمته بزيادة النيل المبارك وعموم رحمته، وشمول بركته، ويلاحظ الولد أمور الجسور والنراع^(١)، ويكتب إلى الولاية بحفظها وضبطها ومبيت الرجال عليها وتحصيل الأصناف بحيث لا يختل جسر إلاّ وتكون الأصناف والآلات التي تدعوا^(٢) الحاجة إليها حاصلة لإعاقه لها، خصوصاً جسور الخيريّة^(٣) فإن أمرها مهمّ لا ينبغي الغفلة عنه طرفه عين. ويرتب الحمام الرساليّ عند مباشرتها لاحتمال أن يتجدّد فيها خلل، فيستدرك سريعاً بأمير كبير يُسيّره للوقوف على ذلك وتلافيه وتداركه. ويجعل هذا الأمر نُصب عينيه. ويتقدّم بأن لا يُفتح جسر، ولا يُنقّس عنه، ولا تُفتح قنطرة، ولا تُكسر نرعة، إلاّ عند استحقاقها وفي وقتها على حكم مصلحة الوقت ومقدار النيل وكثرته من غيرها. والشهادة على الخولة^(٤) والمهندسين بذلك.

ويحذّر الولاية والنواب من أن أحداً من نائب أمير أو غيره /٨٨٩/ يكسر جسراً بيده لمصلحة إقطاع مخدومه، وتشريق ما عداها. ولا يكسر جسر إلاّ بأمر الوالي في تلك الجهة، واتفاق منه بحضور أكابر البلاد ومشايخها وخولتها، والإشهاد عليهم.

فصل

يتقدّم الولد إلى الولاية بالاجتهاد في رعي البلاد، ويحذّرهم من أن يبور منها قعر قُصبة، أو أن تُهمل أمور قوانين الريّ ونُظُمها، وإنفاذها. ويحذّر الولاية من أن يحضر أحد شاكياً منهم بسبب تشريق إقطاع مخدومه لإهمال أو تفريط، أو مُحابة

(١) النراع: مفردها نرعة، وهي الساقية.

(٢) كذا، والصواب: تدعوه من غير ألف في آخرها.

(٣) يرجّح أن المقصود هي القناطر الخيريّة حالياً، القريبة من القاهرة شمالاً.

(٤) الخولة: مفردها: الخولي، وهو البستاني أو المشرف على الزراعة والري.

جهة دون جهة، أو تغلب قوي على ضعيف، أو أمير على جندي. وتكون المساواة شاملة، والمعونة تامة.

فصل

وإذا عُمّت بركات الله تعالى، وشملت رحمته بتغليق الأراضي بالري، يصرف الولد - نصره الله تعالى - عنايته ويوالي / ٨٩ب / مراسمه، مؤكداً فيها على الولاة بإخراج التقاوي المُرصدة لتخضير البلاد وتغليقها بالزراعة، بحيث لا يبور منها الشبر الواحد بغير زراعة. ويدبر أحوال البلاد بكل ممكن، ولا يحتج بحجة، ولا بحضور وكيل مُقطع، ولا غيبته. ويتوعد الولاة، ويُغلظ الإنكار عليهم بهذا السبب، ويفهمهم أنه إن بار شيء كانوا موآخذين به. وأن ذلك لازمهم، وتكون أرواحهم وأموالهم قبالة ذلك. ويؤكد في المكاتبات إليهم بذلك في جميع الأوقات، ويأمرهم برّد الفلاحين إلى أماكنهم^(١) ليحضر آثارهم^(٢).
هذه جُمْل وراها^(٣) جُمْل، وفُضُول وراها^(٤) فُضُول، وأُصُول وراها^(٥) أُصُول.

وفي الولد - أعز الله (سلطانه)^(٦) - من الألمعية ما يفرع أصولها، ويوصل فُرُوعها، وينتزع من مطاوي مفهومها، ما يحسن إلى المصلحة نُزوعها. فيتأمل ما تَصَمَّنَتْه، وينسج على مَنواله، ويتتج منه / ٩٠ / مقدّماته ما يناسب فغنى تفصيله وإجماله.

والله تعالى يُمتِع ببقائه، ويؤكد أسباب عز سلطانه واستعلائه، بَمَنه وكرمه.



ومن ذلك تذكرة أخرى في سفرة أخرى من إنشاء صاحب ديوان مكاتباته فتح الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

«تذكرة شريفة ملوكية يُنتهى إلى فصولها، ويستوعب جميع محصولها، المقام العالي، المولوي، السلطاني، الملكي، الصالحي، العلائي، لا برحت له الذكرى

(١) في الأصل: «إمكانهم» وهو غلط.

(٢) بعدها بياض مقدار سطر، تركه المؤلف.

(٣) هكذا في المواضع الثلاثة. والصواب: «وراه».

(٤) كُتِب فوق السطر.

نافعة والخلائق سامعة، والملوك والممالك طائعة، والأمور إلى أوامره الكريمة ونواهيه راجعة، ويطالعها مطالعة من إذا تلخطها تحفظها، وإذا نقلها تعقلها. وإذا غاب عنه فهم أذكرته، وإذا خفي عليه حكم من أحكام الأمور بينته له وأظهرته. وقد جعلناها بين يديه نوراً يسقى. وحكماً يزعى.

٩٠ب/ فصل

الولد يعلم أن العدل رأس مال الملوك المزيج، وفعلهم المنجح، فبالعدل دامت الدُول، وبالعدل العمرى^(١) تُعمر الأقاليم، وبالعدل أمنت البلاد والعباد.

فلْيُعْدِلْ في الرعية الأقربين والأبعدين، الحاضرين والغائبين. ويكشف ظلاماتهم، ويسمع شكاياتهم. وينصب إلى إنهاأتهم. ولا يحكم للشاكي على المشتكي إلا بحضور المتشاكين، فإن كانت القضية شرعية رذها إلى القضاة والحكام الذين نصبناهم للفصل بين الحلال والحرام، وإن كانت شنيئة تقتضي التأديب. فهو ذو الفكر الصائب والعقل الأريب. فيفعل (في)^(٢) ذلك مبلغ حكم ملكه فعل من أقام الحق في مكانه، وأمر بالمعروف في زمانه وأهل زمانه.

فصل

وإذا تعين حكم على ذي جأ من ذوي الإمرة لضعيف قدره، أو^(٣) / ١٩/ قدرته. فلْيُنْصِفْ منه أتم إنصاف. فما جعل السلطان إلا لينصر الضعيف على ظالمه. ويقوي يد المسكين الذي لا قدرة له على تخصمه. فينصف - أعز الله سلطانه - الضعيف من القوي، ويفصل بحكمه بين السقيم والبريء.

فصل

ودار العدل يتقدم إلى نوابها بملازمتها في الأيام المعلومات، ويحضرها من كانت عادته بالحضور فيها مدة الغيبة في البيكار، ليفصلوا بين شكايات العالم، ويحسموا مادة الشكاوى، ويقطعوا المظالم.

(١) أي عدل الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

(٢) كتبت فوق السطر.

(٣) تكررت في آخر الورقة ٩٠ وأول الورقة ٩١.

فصل

وأُمور الأموال ومصالح البلاد والدواوين، وترتيب ما بها من الأموال والقوانين هي أصل في التدبير، وباب كبير إلى ثلثه يسير.

والولد - أعزّه الله تعالى ونصره - يستطلع من المجلس العالي، الأميري، الأجلّي، الكبير، العلمي، سَنَجَر المنصوري / ٩١ب/ مدبّر الممالك الشريفة وهو يُراجع فيه. ويتحدّث معه فيما يوفّر الخير ويوفّيه.

فلْيُساعدْ اهتمامه بمراسمه النافذة، وينهض عزمه بأوامره، حتى إنّه يقوّي يده، ويشدّ عضدّه، ويحصل ما هو مُهْتَمٌّ عليه، ومفوّض أمره إليه. ويكون حديثه معه في المصالح، وحديثه مع الناظرين^(١) والديوان، ومُفاوضته له، ومُفاوضته لهم في كلّ مُهمّ.

فصل

الأمراء المنصوريّة وغير المنصوريّة، والممالك السلطانية، والبحريّة، والمجرّدون بالقلمة وغير القلمة، يلاحظ أمورهم، ويضعف حُسن السياسة والإقبال عليهم، صغيرهم وكبيرهم، ويُعاملهم بما يستميل به قلوبهم، ويوفّر من الملاحظة نصيبهم، ومن له خدمة ووظيفة يلازم خدمته ووظيفته ولا يفارقها إلى انقضاء نوبته. ومن بنوّته إن كان ممّن يُردّ بالقول / ٩٢أ/ فبالقول، أو بالفعل فبالفعل.

وأبام الغُور إلى الخدمة يدخل من جرّت عادته بالدخول إلى الخدمة، ويقف كلّ منهم بمكان وقوفه على عادته. وإذا انقضى السّماط ووقت الخدمة يخرج الجميع. ولا يتأخّر أحد ممّن ليست له عادة بمُلازمة وظائف الخدمة، وكذلك أوقات الجلوس العام، والجلوس الخاص، لا يدخل أحد في غير وقت دخوله المعتاد، ولا سيما من لا له عادة في خدمة بدخول ولا خروج. ولا يقدم أحد له قُصّة من يده. ولا يتحدّث من ليس له عادة بالحجوبة. ولا يتحدّث أحد فيما لا يعنيه. ولا يقف أحد في غير مكانه، ولا الذي لم تكن له عادة بالوقوف إلى جانبه. ولكلّ أحد ممّن هو في الخدمة منزلة ومكان يخدم فيه بحسبه، ولتكن عينه لذلك مراقبه، وفكره في هذه المهمّات صائبه.

(١) كذا، والصواب: «مع النّظار».

فصل

/ ٩٢ب / الباب الجَوَانِي، باب الرحبة، ثَلَاثُمُ صَبِيان قَاعَة الأعمدة بالنوبة، وباب القلعة الجَوَانِي مثل باب القلعة البَرَانِي يُلازمه أيضاً منهم جماعة بالنوبة على العادة في الليل والنهار.

وباب القلعة البَرَانِي ثَلَاثُمُ المُقَدَّمُون ومُضافوهم من المماليك السلطانية بالنوبة^(١). ولا يخلُ أحدُ بنوَيْه.

فصل

أبواب القلعة تُغَلَق وقت العادة، وتُفَتَح وقت العادة. ووالي القلعة يُحضر المفاتيح إلى والي القلعة^(٢)، ووالي القلعة يدخل بالمفاتيح التي للقلعة والقلعة، وتُسَلَّم لِمَنْ كانت تُسَلَّم له على العادة، وأبواب السَرِّ لا تُفَتَح أبداً إلا لِمُهْمُ كبيرٍ يقتضي ذلك.

هذا ملخّص فُصول هذه التذكرة، وهي كثيرة طويلة، / ٩٣ / وفيما ذكرناه مَقنع.

ومنها تذكرة أخرى من إنشاء جامع هذه السيرة

وهي تذكرة شريفة، أماير اليُمن بها مُطيفة.

تقدّمت المراسم الشريفة، العالية، المولوية، السلطانية، الملكية، المنصورية، السَّيفِيَّة، خَلَد الله سلطانها، وأظهر بُرهانها. بترصيع فصولها، وتفرّيع أصولها، وتنميق سطورها، وتوفيق صُدورها على أعجازها، وأعجازها على صُدورها. وإيداعها ما ينطق بالصواب لسان قلمه، ويُنبئ عن فصل الخطاب بتنوع حكمه. يقف عليها المقام الشريف، العالي، الولدي، السلطاني، الملكي، الصالحي، العلائي، وليّ عهده، عند حدّها المحدود، ويُراجع فُصولها القاضي بها حُسن إرشاد الولد للمولود. ويهتدي بأنوار هذيتها فيما يأتي ويذر، ويُطالع صُورها البادية لبعلمه في أحسن الصُور، ويجعلها / ٩٣ب / نُصَبَ عينيه نَهَى وأمر. ولا

(١) كتب المؤلف بعدها سهواً: 'وباب القلعة البَرَانِي ولازمه من رُتب عليه من الأمراء والمماليك السلطانية بالنوبة'، وتنبّه فشطّب عليها خطأً.

(٢) القلعة: هي قمة القلعة.

يخرج عنها في دقيقتي ولا جليل مدة الغيبة، ومن وصى بما اقتضته حنو الأبوة كمن حضر.

على أنه - أعز الله سلطانه - سديد الآراء، بصير بعواقب الأمور، غني بالمعيتة، وإنما هي وإن بهرت أنوار سُؤدده نور على نور.

فصل

إذا استقل ركابنا الشريف من قلعة الجبل المحروسة بنية هذه الغزاة التي أخلصنا فيها النية، وطوبنا عليها ما جيلنا عليه من (إصلاح) ^(١) الطوبى. وعاد الولد بعد وداعه إليها، وأقبل بوجه حسن الخلف عليها، وجلس بكرسي ملكها؛ وانتظم واسطة بجوهرة سلكها، يكون مهمة المقدم على كل مهم، واحتفاله بما من المحذورات يلم.

التقدم بالاحتراز على من اعتقل بالقلعة المحروسة من الأمراء ذوي الفتن، والمؤدعين بسجونها من ذوي الإخن. والتوكيد على مباشرتهم في الليل والنهار، واقتفاء ما / ١٩٤ / لهم وللمتردد إليهم من آثار. والتضييق عليهم إلا فيما هو مرتب لهم من مأكول ومشروب، ومُسندعى ومطلوب. وتفقد مريضهم المتحقق مرضه بحكماء الخدمة، ومعالجتهم بتعجيل النسخ على ما تقتضيه الحكمة. ولا يؤخر عنهم طعاماً عن وقتهم الجاري به العادة ولا كسوة، بل تُفاض عليهم في أوانها على ما قرّناه، وإذا لم يكن زيادة على ما ذكرناه. ويتفقد الولد أحوالهم، وتبسط بالوعد المؤثر له في نفوسهم المحبة آمالهم.

فصل

يتقدم الولد - أعزه الله تعالى - إلى من جردناه من ممالكنا بباب الرحبة، وباب القلعة بالملازمة لهذه الوظيفة، والمواظبة لهذه المصلحة التي هي به مطيفة. وأن يكونوا على بصيرة من أمرهم، واحتراز من ذوي المكر، ولا يحيق بمشيئة الله تعالى بهم إلا سوء مكرهم.

وباب القلعة الذي إلى جهة القرافة / ٩٤ب / لا يُفتح مدة غيبتنا، ولا يزال مغلقاً في وجه ذوي التصرف إلى حين أوبتنا، ولوازم القلعة المذكورة محروسة من

(١) كتبت فوق السطر.

الولاية والجان دارية^(١) والكنانية^(٢)، والبرتدارية^(٣) والبوابين، والطرادين.

يتقدّم أمر الولد - أعزّه الله تعالى - بأن لا يُخلّوا بما هو معذوق بهم، ومنوط بسببهم.

فصل

يتقدّم أمره العالي إلى كلّ من والي مصر والقاهرة بحراسة الأكناف، وصيانة الأطراف من الأطراف، والاحتراز على المعتقلين من ذوي الجرائم والذنوب العظام، والانتصاب على أبواب أذرهما لإغاثة الملهوف من قريب وبعيد. (وأن)^(٤) يكونا^(٥) لداعي التظلم أسرع مجيب. وأن يكفأ يد من حولهما عن قطع المصانع، والإرجاف في المدينتين بما يُذهل المرضعات. ويؤكد عليهما أن لا يناما هما ومن هو مضاف إليهما من ظواهر المدينتين، / ١٩٥ / كالقراطين والسواحل والبرك عن قصدتها من المتحرمة، ويجوس خلالها في الليالي المقمرة فكيف المظلمة. وليكن لهما في كلّ ناحية نائب يسرع إليهما من ناحية تنوب، وليختز في احتراز من عنهما ينوب. ولا يخلأ بالركوب في الليل ومراعاة جانب الرعية، بحيث تكون أحوالهم بالتطواف عليهم مرعية. ويحذر من الإهمال، ويؤكد عليهما في تعفية رسوم المنكرات، وتأديب بنات الخطأ وأهوان بهم من بنات. وأن تُعلّق قاعات العلاج، وتُحسم مادة ما يتم بها مما يقتضيه القوة من الهياج. وبالحُسنية فاعات تسمى «قاعات الفتوة» يأوي إليها القطيعون من أبنائها ومن يظن من نفسه القوة. فيتقدّم أمره بالمبادرة إلى غلقها، وسدّ مستور طُرقها، واستئزال بُدورها من أفقها. ومن ظفر به منهم فليتمثل به غاية التمثيل، وليُشعف به ماله من قبيل.

(١) الجان دارية: لفظ تركي فارسي مركّب، جان: تركي بمعنى روح. ودار: فارسي بمعنى: مالك أو صاحب. وأمير جان دار = جاندار = جندار لقب موظف من العصريين الأيوبي والمملوكي، من مرتبة أمراء الطليخانة، مهمته تنظيم دخول الأمراء على السلطان وتقديم البريد له مع الدوادار. (المجموع اللغيف. د. إبراهيم السامرائي - دار عمّار، عمان ١٩٨٧ - ص ٩٩).

(٢) الكنانية: طائفة عسكرية كانت بمصر قوامها الأمراء وأصحاب الإقطاعات من قبيلة كنانة الذين كانوا قد هاجروا من جنوب فلسطين بعد سقوط عسقلان سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م. وسمح الوزير طلائع بن رزّيك باستيطانهم في دمياط وما جاورها. (معجم الألقاب ٣٧١ - ٣٧٢).

(٣) في الأصل: «البرتدانية» بدل ثانية، وهو غلط، والصواب ما أثبتناه. ويقال: بردارية من: برد دار، وهو الجان دار نفسه، أو الموظف الذي يعمل تحت إمرته. (معجم الألقاب ٧٣).

(٤) كتبت فوق السطر.

(٥) الضمير يعود إلى كلّ من والي مصر ووالي القاهرة.

والمنتجمون فلا يُمكن أحدٌ منهم من الجلوس، وليؤخذ عريشهم وسُرماطهم ومقرقلم / ٩٥ب/ ومكسيهم^(١) بالرفع الذي تطيب به النفوس، ويُنادى في البلدين وظواهرهما بأمر الولد - أيده الله تعالى - أن لا يعتمد أحدٌ ذلك، ولا يسلك شيئاً من هذه المسالك. وليهذبهم بالصُّلب والضرب وما أشبه ذلك.

فصل

تتقدّم إلى قضاة قضاة المسلمين بالانتصاب للأحكام، والتبثّل للنقض والإبرام. وأن لا يتخذوا حُجاباً ولا بوابين يمنعون الطارق، وأن يجلسوا بأواوين المدارس طُرْفِي كلِّ نهارٍ حتى أيام الجُمع لفصل القضايا الشرعيّة بالعزم الصادق. وأن يُلَازِمُوا دار العدل، ولا يتأخّر أحدٌ منهم عنها إلا لَعُذْرٍ شرعيٍّ يمنع منها. وأن يتركوا ما بينهم من التنافس، وأن يكونوا يداً واحدةً كما يقتضيه حُسن التجالس.

فصل

لا تزال كُثْب الولد مترددة إلى الأعمال شرقيّتها وغربيّتها / ٩٦أ/ وقبلتيها وبحرنيّتها بالتشديد على الوُلاة في العدل والإحسان، واعتماد ما يقتضي للبلاد بالعُمران، وللرعيّة بحُسن الاستيطان، والرفق بالفلاحين، وتفقّد أحوالهم في كلِّ حين. وأن لا يُمكن منهم عُسوفٌ ظالم، ليتضافروا^(٢) على عمارة البلاد إذ هم لهم كالמעالم لا بل المعالم. وتفقّد الجسور والتراع، والعدل في زَيّ البلاد، بحيث تنحسم مائة النزاع والاجتهاد في تحصيل الأموال الديوانية عند استحقاقها من غير خيف، وحملها إلى بيت المال المعمور الشتوية في الشتاء والصيفيّة في الصيف. ووكلاء المُقْطَعين من الأمراء والجُند تُقَوَّى يدهم على تخليص الحقوق، وأن لا يهمل جانب العناية بهم فإنّ ذلك ممّا لموكلّهم عن القيام بالخدمة يعوق.

فصل

متى وصل البريد من جهتنا إلى الولد يبادر إلى الإطلاع على مضمونه والإحاطة على مكنونه. والتفهُّم لمعانيه، والوقوف عند أوامره / ٩٦ب/ ونواحيه،

(١) هكذا قيدها بالأصل، ولعلّ الصواب: «ومكسيهم»، ولم أقف على معاني الألفاظ التي قبلها، والمرجح لديّ أنها أدوات التنجيم.

(٢) كذا. والصواب: «ليتضافروا».

والمجاوبة عنه في وقته وساعته، وتجهيز بُرْد النوبة به إلى دهليزنا الشريف بنهاية الاحتفال وغايته. بحيث لا يحصل الخلل في الجواب بإهمال فصل، ولا إغفال فرع ولا أصل.

فصل

العسكر المقيم عنده من الأمراء والجُند واستدارية من هو صُحبة ركبنا ومن عنده، وممن لعلّه متأخر من مماليكهم ومماليكه ومماليكنا، تتقدّم إليهم بأن يكونوا على أُنْبِيَة واستعدادٍ مُزاحين^(١) من كلّ ما يلزم الأمراء والأجناد، ومن بالبلاد من العرب وولاة الإقطاعات ونواب الأمراء، بحيث إن دعت الحاجة - والعياذُ بالله - إلى طلبهم أسرعوا في الحضور، وبادروا إلى ما دُعوا إليه من غير فتور.

فصل

يتقدّم في كلّ وقتٍ إلى مباشري الوزارة والمستوفين والنظار / ٩٧ / بتحصيل الأموال، والاستكثار من الغلال، من غير إجحاف ولا طلب مالا يستحقّه بيت المال، فالظلم إن لم يُتدارك بالتلافي كان مضتة التلاف.

فصل

الولد، أعزّه الله تعالى، لا يُكثر من الركوب، وليحترز - صائهُ الله - ممّا لذوي القدر من الوثوب، ولا يقرب منه إلا من هو واثق بولائه، ولا يُغلي إلى رُتبة التقرب منه إلا من هو حقيقٌ باستعلائه. وليكن موكبهُ محفوفاً بالسكينة والوقار، مشحوناً ممّا أُلْفناه منه من القوة والاستظهار. ولا يزيد على ركوب العادة، ولا يُوغل في التسيير بسلوك غير الجادة. وإذا رُفعت إليه قَصَصٌ في ركوبه فليأخذ بيد رافعها بالعدل والإنصاف، وليكشف ظلامته بنفسه، ولا يكلّه على ذوي التسويف، وهو أمر عن علّمه غير خاف.

فصل

خيل البريد هي المُقَرَّبَة ما بين المسافتين، والطاوية لما طال / ٩٧ ب / من المُقَتَّنين. والمُحضرة غائب أخباره، والميمنة عن كُنه أسرار المُلك وأسراره.

(١) كذا، والصواب: «مزحين».

فَلْيَتَقَدَّمْ أَمْرُهُ الْعَالِي بِأَنْ لَا^(١) يُخْلِلَ الْمَرَكَزَ مِنْهَا وَلَا طَرْفَةً عَيْنٍ، وَأَنْ تَكُونَ مِنَ الْخِيُولِ الْمَقْصَرِ سَبِيحًا بِطُولِ خَطْوَتِهِ خُطَى الْبَيْتِ.

فصل

الثغران: ثغر الإسكندرية و ثغر دمياط هما المعتبران^(٢) إِنْ اعْتَنِي بِأَمْرِهِمَا مِنْ طَارِقٍ يَطْرُقُهُمَا إِلَّا بِخَيْرٍ، الْبَاسْمَانِ إِنْ رُوِيََتْ مَصْلَحَتُهُمَا فِي دَفْعِ كُلِّ ضَرَرٍ وَضَيْرٍ. وَالْمَخْشِيُّ عَلَيْهِمَا مِنْهُ إِنَّمَا هُوَ الْفَرْنَجُ وَكُرْسَالِيَّتُهُمُ الْمُتَلَصُّصَةُ، وَخَرَامِيَّتُهُمُ الْمَفْتَرِصَةُ الْمَفْتَرِصَةُ.

فَلْيَكُنْ الْوَلَدُ - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ - مِنْهُمَا رَائِيًا^(٣) وَمُسْمَعًا، وَلْيُوَكَّدْ عَلَى وَلَا يَتَّهِمَا فِيمَا أَكْذَبَا عَلَيْهِمَا فِيهِ مِنَ الْمِرَاقَبَةِ بِالْقَعْدِ لِهَمَّا فِي كُلِّ مَرْقَبٍ حَتَّى لَا يَكُونَ وَلَا لِرِيَاحِهِمْ إِنْ هَبَّتْ مَطْمَعٌ. وَأَنَّهُ مَتَى لَاحَتْ لَهُمْ بَارَقَةٌ، أَوْ طَرَفُهُمْ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - طَارِقَةٌ، بَطَّقُوا فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ. وَالْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ أَنْ يَكُونَ لِمَا يَظْهَرُ مِنْ سَفْهِ كَامِنَةٍ. وَلْيَحْتَرِزْ عَلَيْهِمْ حَتَّى مِنْ سَرَقَةِ الْمَاءِ، / ٩٨ / وَالتَّحْيِيلِ عَلَى أَسَارٍ مِنْ لَعَلِّهِ يَغْرُزُ مَعْرُضًا عَلَى التَّعَوُّذِ بِمَا لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ أَسْمَاءٍ. وَعَلَى هَذَيْنِ الثَّغْرَيْنِ وَظِيْفَةُ مَوْظِفَةٍ، وَلِوَأَزْمِ كُلِّ مِنْهُمَا بِهَا مَكْلُفَةٌ، مِنْ أُمُورٍ وَأَقْمَشَةٍ بِرِسْمِ الْخَزَانَةِ الشَّرِيفَةِ، فَلْيَاهْمِلِ الْوَلَدُ أَمْرَهَا فِي أَوَانِهَا، وَبِرُوزِ مَرَّاسِمِهِ بِطَلِبِهَا فِي أَحْيَانِهَا. مِنْ غَيْرِ إِزْعَاجِ الرِّعْيَةِ، وَلَا مَصَادِرَةِ بِطَلَبِ مَا لَا يَجِبُ وَحُسْبُنَا مَا فِيهِ مِنَ الْمَبْعَةِ.

وَلْيَتَقَدَّمْ أَمْرُهُ الْعَالِي إِلَى الْوَلِيِّ هَذَيْنِ الْحَصْنَيْنِ بِكَفِّ الْكَفِّ، وَمُجَانِبَةِ مَا ثَقُلَ وَإِثْبَانِ مَا خَفِيَ. وَمُعَامَلَةِ التَّجَارِ الْوَارِدِينَ مِنَ الْمَعْدَلَةِ بِمَا يَشِيعُ خَبْرُهُ، وَيُحْمَدُ أَثَرُهُ. وَتَثْلَى عَلَى رُوسِ^(٤) الْأَشْهَادِ سُوْرُهُ، فَالْعَدْلُ أَجْلِبُ لِلْبِرَكَاتِ، وَأَجْلِبُ لَشَذِي الْمُرْضَعَاتِ، وَبِهِ عِمَارَةُ الْبِلَادِ، وَتَثْمِيرُ الْأَمْوَالِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْأَجْنَادِ، وَاسْتِجْلَابُ أَدْعِيَةِ الْعِبَادَةِ، بِالْخُصْرَةِ عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ.

فصل

دار الطراز هي مادة الرياش، ومؤثرة ما يقضي حُسن مَرَّاه / ٩٨ ب /

(١) كذا، والصواب: «الآة».

(٢) في الأصل: «المفتران».

(٣) رُبِمَتِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ: «نَرَاءَ»، وَمَا اثْبَتْ قَدْ لَا يَكُونُ صَوَابًا، وَلَكِنَّهُ يَتَّفَقُ مَعَ السِّيَاقِ.

(٤) كذا. والصواب: «رؤوس».

بالانتعاش، وهي المفاضة خِلعة المحلّى للأعطاف موشعها، الممجلة الخزائن تعابيه^(١)، المضيق صدورها بما يشرح الصدور من مشرفها وكابيه. ولها مال يُحمل من جهات معينة، وحواصل هي في جرائد الاستقرار مبيئة، ومتى أخل بها أخلت الخزائن من تحفها النفيسة، وقبضت الأيدي عن إفاضة ملابسها التي بها بذار زهرة ربيعها مغروسة.

فلتقدم الولد - عز سلطانة - في كل وقت بتفقد أحوالها، والمواصلة بالأموال التي هي أحوى لها. والرفق بها إلى أن تضع حملها، وتؤدي فرضها^(٢) ونفلها، وتواصل من خللها بما هو المعلم، وتسطر بأقلام أخلتها، من ألقابنا الشريفة كل مُحكم.

فصل

وخزائن السلاح هي الناب والظفر لمن لا ظفر له ولا ناب. وكم استنابها فأغنت فيما ذهمت وناب.

فليكن الولد ملاحظاً لمجدداتها، غير واقف عند حد في الاستكثار من (مرهفاتها)^(٣)، بحيث /١٩٩/ خزائنها شاكية السلاح، دامية الجراح، دارية الاقتراح. وإنما ملاكها توفير الأموال، ومُجانبة الإقلال، ولها حمل في كل وقت فلتطلب عند حلوله، ليبحث مباشرها على معقوله ومنقوله.

فصل

دار الضرب هي أحد ما للملك من علو الرتبة، وتسامي الهضبة، وهل شك في أنه عبارة عن السكة والخُطبة.

فلتقدم أمره العالي بأن لا يعطل قلم دزمهما ودينارها، ولا يغيب فيها باسماً الشريف الذي هو مادة أنوارها، وعنوان إيسارها، وأن تتجنب فيها إتيان الزائف، وأن يكون دينارها موصوفاً (بعدل أيامه)^(٤) بأنه الحايف.

فصل

إذا ورد عليه تاجر من تجار الممالك فليحذر التجار من بيع ما يصلح

(٣) ما بين القوسين كتب فوق السطر.

(٤) عن الهامش.

(١) في الأصل: «تعابيه».

(٢) في الأصل: «فرضها».

للخاص الشريف لأحد من الأمراء كائناً من كان، وليُنذَل في ٩٩ب/ التحذير من ذلك غاية الجهد والإمكان. وإذا صلح منهم شيء من الجنس الجيد فليَتقدَّم بالمعاقدة عليه وإنضاض ثمن من غير مَطْلٍ فَإِنَّ ذلك أَجْلِبَ للتَّجَار، وأدعى ببلوغ الأوطار. وليُكتب للتاجر توقيع بالمسامحة ممَّا يتبَضَّع به من ثمن بيعه لسفرة واحدة، ويشرف من الخزانة بما جرت به عادة أمثاله ليكون ذلك أدعى لرجوعه، وإذا ورد عليه تاجر بمرسومنا بثمن ما اشتريناه منه هنالك، فليُسَلِّك معه في الوفا أحسن المسالك. ولا يؤخَّر عنه حقُّه ساعة واحدة، بل يُوصَل إليه مُهَيَّئاً مُيسَّراً فما خابت ذمَّة ناقدته.

وَتَمَّ أمورٌ غير ما ذكرناه، وفصول غير ما أَرَدْنَاه، يتفرَّع عنها، ويتولَّد منها. وكم أنتج القليل من كثير، واليسير من جَمٍّ غفير.

وإذا أُنعم الولد النظر فيما نَصَّصْنَاه، وتدبَّرْنَا ما أَصْلَنَاه، نشأ له عن ذلك أحوال فأحوال، وتفصيل وإجمال. ونحن واثقون منه بأنه سيكون عنده ما توَسَّمْنَاه، وأنه غني عن ما رَسَمْنَاه حين رَسَمْنَاه. / ١٠٠ / وإنا الله سبحانه وتعالى، يقول، وهو أصدق القائلين: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ذِكْر ما آلَ إليه أَمْرُ الْمَلِكِ خَضِرِ بْنِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ

وصورة نزوله من الكَرْك

كان مولانا السلطان - خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ - قد استقرَّ بِالْمَلِكِ خَضِرِ ابْنِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، وأخيه سلامش بِالكَرْك، بعد موت أخيهما الْمَلِكِ السَّعِيدِ، وأمكنهما من ذخائرها وخزائنهما، جَفْظاً لعهْد أبيهما وأخيهما، فلم يَقِفْ الْمَلِكُ خَضِرُ عِنْدَ حَدِّهِ، ولا أَحْسَنَ المجاورة يتعدَّى من لم يُغْنِ عنه غِنَا^(٢) من جُنْدِهِ. وَوَالُوا أسبابَ التَّعَدِّي حَتَّى يَقْطَعَ الطَّرِيقَ، ومذَّ اليد إلى أموال الفريق فالفريق^(٣) فالفريق. ومولانا السلطان يكتب إليه، ويهول ولا يهون عليه، ويُشير عليه إشارة^(٤) الوالد للولد، ويأمره بكفِّ كلِّ يد، والحال لا ينتهي، والتصميم كلِّما أَنهِيَ عاد إلى ما عنه نُهي.

/ ١٠٠ب/ فجَزَدَ مولانا السلطان من أخذ عليه الأنفاس، وأذاقه بقطع المادَّة

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٥.

(٢) كُتِبَ فوقها إشارة «حد».

(٣) في الأصل: «فأ».

(٤) الصواب: «غنى».

عنه وإنْ كثر حاصلُهُ من الدَّعْبِ مرارة الإفلاس . فاقتضت له هذه الشدَّة قِصر المدة، بتطاول منع هذه المادة، أنْ (سَيَّر) ^(١) مُستجيراً (بِخُنُو) ^(٢) مولانا السلطان، بإذلاً في التَّنْصُل غاية الإمكان .

وتكررت رُسُلُه سائلاً الصُّلَح وإنْ لم يُنقِ له موضعاً، مُستعطفاً خاطِرَ مولانا السلطان متضرعاً .

فرجع مولانا السلطان إلى طبعه الشريف، وخُلِقَه اللطيف، ووافق على الصُّفْح والإغضاء، وما أحقَّ أوامره بالإمضاء . وخَلَفَ على ما اقترحوه، وأعرض جانباً عما اجترحوه . ووادَّعه وأنامه بالرضى منه في الأمن والدَّعة، وتحزرت هذه المودعة، بخطِّي ومولانا السلطان خَلدَ الله مُلكَه بدمشق المحروسة، ومضمونها :

بسم الله الرحمن الرحيم

«أقرَّ مولانا السلطان، الملك، المنصور، السِّد، الأجل، العالم، العادل، المؤيَّد، المظفر، سيف الدنيا والدين، أبو الفتح قلاوُن / ١١٠١ / الصَّالحي - خَلدَ الله مُلكَه - المقرَّ العاليي المسعودي خضر ولد السلطان السعيد الشهيد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصَّالحي، رحمه الله تعالى (على ما كان بيد أخيه الملك السعيد ناصر الدين بركة، رحمه الله تعالى) ^(٣) من الكَرَك، وما هو متعلِّق بها ومُضافٌ إليها، إقراراً منه به في سَرِبها، وأعذب له موارد شربها، وأمكنه من صُهوتها، ووطنه عالي ذروتها وصرْفُه فيها، وَخَصَّه من الدَّعة بوافيها، حفظاً لعهد أبيه، ومُراعاةً لنسابة أخيه . على أنه يلزم أدبه وما أولاه بلزومه، ويقف عند حدِّ بُنوته التي بلغت من خُنُو الأَبوة غاية مَرومه . وعلى أنه لا يتعدَّى (حدَّه) ^(٤)، ولا يسمح ولا يسامح من فيه مَن حوله حدَّه . وعلى أنه متى عَنَ للإسلام ما يقتضي إنفاذ مَن عنده من الجُنْد، بادر إلى إنفاذه، وأمره بالملازمة إلى حين فراغ الشُّغل من العدو باستنقاذه . وعلى أنه متى حضر أحدٌ إليه مقفراً ^(٥) من ممالكنا أو عسكرنا أو ممالك أمراء دولتنا أعاده بشفاعتي منه إنْ كان ذنبُهُ ممَّا يُشْفَع (في) ^(٦)

(١) كُتِبَ فوق السطر .

(٢) كُتِبَ فوق السطر .

(٣) ما بين القوسين عن الهامش، وكُتِبَ بجانبها «صح» .

(٤) كُتِبَ فوق السطر .

(٥) مقفراً: تعبير يُراد به الهارب أو الآبق .

(٦) كُتِبَ فوق السطر .

مثله، ومتى وصل إلينا أحدٌ من جهته (أعدناه إليه)^(١) على هذا الحكم».

واستقرّ الحال على ذلك.

واتفق أمرٌ عجيب / ١٠١ب/ بعد هذا الاستقرار في أمر الأمير علاء الدين الحزاني نائبه.

ذُكر ما اتفق في أمر المذكور.

كان هذا علاء الدين ينوب عن الملك خضر، وكان شيرةً إلباً على مجاوري الكرك والمآزين ما بينها وبين غزّة، والمقوى بجأشه وجيشه، والموافق على قلقه وطيشه.

وكان أمرنا مولانا السلطان فكتبنا إليه عدّة ملطفاتٍ عن مولانا السلطان حاوية من الملاطفة ما لا عنه مزيد، مُستجَلبةً له بالوعود التي هي بما يريد وفوق ما يريد. وما من مُلطفٍ إلّا ويعطف على مُلطفٍ أمان، ومُلفطٍ منشورٍ بإمرة الماية، وهو لا يزداد إلّا غُلظة، ولا يقف عند وعظ وتخويف وترهيب وتهديد ولا يسمع وعظه، وكلّما سِير له قاصداً^(٢) أحضره بمُلفطاته وفاءً منه بزمعه.

فلما كان بعد استقرار هذه المودعة، ولزوم خنوّ هذه المطاوعة، وحضور مولانا السلطان إلى ديار مصر، وردت بطاقة من الشوبك تتضمن أنه / ١٠٢أ/ لما كان بتاريخ كذا وكذا وصل الأمير علاء الدين الحزاني مقفراً قاصداً الأبواب العالية، ومعه مملوك واحد، والفقير زكي الدين صاحب^(٣) ديوان المكاتبات: بَطَّقَ^(٤) إلى نائب الشوبك وحذّره من أن تكون هذه حيلة على أخذ قلعة الشوبك بدخوله إليها، وأكد عليه أن لا يمكنه من الدخول إليها، ويعجل بتجهيزه. فللوقت سُرح الطائر بهذا الرأي السعيد، وهذه الفكرة التي ما على صحتها مزيد. فلم يك بأسرع من أن بَطَّقَ بوصول المذكور إلى غزّة، فزال التوهم، وحضر المذكور. فأقبل مولانا السلطان عليه وشرفه وأمره، وجعله من جملة سلاح داريته.

فلم يكن بأسرع من أن ورد كتاب الملك خضر بطلبه بمقتضى شرح المودعة

(١) عن الهامش.

(٢) في الأصل: «قاصدا».

(٣) في الأصل: «قَالَ الصاحب»، والصواب ما أثبتناه.

(٤) بَطَّقَ: أي اكتب بطاقة ممّا يحمله طائر الحمام الزاجل.

المشروحة. فحين قُرى عليه، لم يلتفت إليه. وقال لصاحب ديوان مكاتباته المذكور: اكتب واعتذر إليه كما تعرف، واقطع حُجَّتَه بخبرتك. / ١٠٢ب/ فقال له: يا خُونْد ماذا أقول؟ ومتى لم يُسَيَّر المذكور انتقض^(١) الشرط. فقال مولانا السلطان: ما أعرف، وهذا ما أُسَيَّره، ومتى حصل عن المذكور خروج عن الشرط كنت أنت السبب. فخرج وهو حابر في فكره، لا يعرف له مخرجاً من أمره.

وحكى لي ولوالده الصورة وما قاله مولانا السلطان. ورأيتُ عنده تألماً. فعادتُ قراءة كتاب الملك خضر الوارد بطلب المذكور. فإذا حُجَّة مولانا السلطان به قائمة، وأعذاره في عدم تسييره لازمة، لا بل حازمة، لا بل جازمة. والصورة التي ظفِرتُ بها من كتابه هي:

«إِنَّ الأمير علاء الدين أَيْدُغدي الحزاني طلب من المملوك دستوراً^(٢) ليخرج إلى بعض أغراضه، فخرج وقصد أبواب مولانا السلطان، والمملوك يسأل إنفاذه بمقتضى شرط كتابه».

هذه صورة كتابه.

وللوقت كتبت جوابه بما مثاله:

«إنا أحضرنا الأمير علاء الدين الحزاني، وسألناه عن الغرض / ١٠٣أ/ الذي طلب منه الدستور بسببه. فقال: الغرض الذي طلبت لأجله الدستور هو الحضور إلى أبواب مولانا السلطان».

وُثِّقَت نسخة كتابه بنصه وسُيِّر إليه. فحين وقف عليه أسقط في يديه، وسكت عنه، ووجد له بُدْأً منه.

وحقيقة الأمر أَنَّ طلبه الدستور كان (في الظاهر)^(٣) بسبب مطلب كان أنهى للملك خضر أنه خارج الكَرْك وطال العمل فيه، والغرامة عليه. وشَمَّ علاء الدين

(١) في الأصل: «انتقض».

(٢) دستور: كلمة فارسية معناها: قانون. دخلت العربية عن طريق الأتراك، كان يُفصد بها في البداية: الكهنة من أتباع الديانة الزرادشتية. تطوّر مدلولها فيما بعد، ليصبح من معانيها: القاعدة الأساسية التي يقوم عليها الحكم في البلاد. ومن هذه القاعدة انبثقت القوانين والتشريعات. (القاموس الإسلامي ٢/ ٣٧٠) والمراد بالدستور هنا الإذن أو تصريح المرور والانتقال من مكانٍ إلى آخر بموجب كتابٍ رسميٍّ موقعٍ من الأمير.

(٣) كتبها المؤلف ثم وضع فوقها إشارة. وكأنه أراد حفظهما.

مَنْ حَوْلَ الْمَلِكِ خَضِرَ تَغْيِيرَ نَفْسٍ. فَجَعَلَ طَلَبَ الدِّسْتُورِ لِأَنْ يَخْرُجَ وَيَسْتَنْهَضَ
عَمَالَ هَذَا الْمَطْلَبِ وَسِيلَةً إِلَى الْحُضُورِ وَالْخِلَاصِ. وَمَا أَمَكْنَ الْمَلِكُ خَضِرَ أَنْ يَذْكَرَ
ذَلِكَ، بَلْ وَقَفَ عِنْدَ قَوْلِهِ لَغَرْضٍ.
هَذِهِ صُورَةُ أَمْرِهِ.

وَلَمْ يَزَلْ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ وَافِيًا لَهُمْ بِشَرْطِهِ، وَاقْفًا عِنْدَ قَبْضِ الْكَفِّ الْكَفِّ عَنْهُ
(إِلَى أَنْ قَضَى عُذْوَانَهُمْ)^(١) بِنِسْطِهِ، وَأَمْتَدَّتْ أَطْمَاعُهُمْ، وَتَجَاسَرَتْ أَتْبَاعُهُمْ،
وَنَقَضُوا عُهْدَهُمْ، وَاسْتَحَقُّوا مَوْعُودَهُمْ.

وَبَلَغَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ سُوءَ حَالِهِمْ، وَنَفَازَ مَالِهِمْ، وَسُوءَ مَالِهِمْ، وَأَنْهَمَ
أَصْبَحُوا عَلَى الْأَرْضِ / ١٠٣ب/ إِلَّا أَنَّهَا السُّودَا، وَوَقَعُوا مِنَ الْفَاقَةِ (عَلَى)^(٢) مَا
دُونَهُ (مُعْضِلِ)^(٣) الْأَدْوَا.

جَزْدُ^(٤) مَوْلَانَا السُّلْطَانِ نَائِبِهِ الْمُقَرَّرَ الْحُسَامِي طُرُنْطَايَ^(٥) فِي شِرْذِمَةٍ إِلَى الْكَرْكِ
بِكِتَابٍ مِنْهُ، مَضمُونُهُ: أَنَّهُ قَدْ بَلَغْنَا مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ ضَائِقَةٍ وَضُرُورَةٍ هِيَ عَلَى كُلِّ فَائِقَةٍ
فَائِقَةٌ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدَكُمْ دَرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ، وَأَنْ حَالَكُمْ قَدْ آلَتْ إِلَى مَا لَا يُطَاقُ مَعَهُ
الْقَرَارُ. وَقَدْ سَيَّرْنَا نَائِبَنَا، فَتَحْضُرُ أَنْتَ وَأَخُوكَ وَمَنْ حَوْلَكَ مَعَهُ، فَقَدْ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ
ضَيْقٍ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ صَدْرِنَا وَنِعْمَتِنَا أَعْظَمَ سَعَةٍ، وَلَكُمْ الْأَمَانُ وَالْوَفَاءُ بِالْإِيمَانِ عَلَى
مَا يَقْتَضِيهِ صِدْقُ الْإِيمَانِ.

فَحِينَ وَصَلَ الْأَمِيرَ حَسَامَ الدِّينِ إِلَى الْكَرْكِ سَلِّمُوها، وَنَزَلُوا إِلَيْهِ، فَحِينَ
حَضَرُوا رَكِبَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ لَتَلْقِيَهُمْ، وَعَامَلَهُمْ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّهْجِيلِ بِمَا يَجِبُ
لِرِعَايَةِ حَقِّ أَبِيهِمْ. وَأَنْزَلَهُمْ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَعَامَلَهُمْ بِمَا أَلَّفَهُ عَلَيْهِ طَبْعُهُ الْجَمِيلِ
جَبَلِ^(٦).

(١) عَنِ الْهَامِشِ.

(٢) كُتِبَتْ فَوْقَ السُّطْرِ.

(٣) عَنِ الْهَامِشِ.

(٤) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَقُولَ: «جَزْدُ».

(٥) هُوَ الْأَمِيرُ حَسَامُ الدِّينِ طُرُنْطَايَ الْمُتَصَوِّرِيُّ، كَانَ مِنْ جَمَلَةِ مَمَالِكِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَلَاوُونَ قَبْلِ
سُلْطَنَتِهِ. وَبَعْدَ سُلْطَنَتِهِ وَلَاءَ النِّيَابَةِ عَنْهُ بِمَصْرَ. وَعِنْدَمَا تَسَلَّطَ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ قَلَاوُونَ أَوَّلَ سَنَةِ
٦٨٩ هـ. قَبِضَ عَلَيْهِ وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ. (تَالِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٩٤).

(٦) فِي الْأَصْلِ: «جَبَلٍ» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ.

هذه صورة أمرهم^(١).

/١٠٤/ ذكر أمور الفرنج بالمَرْقَب وطرابلس ومُهادنتها

أما المَرْقَب^(٢) فهو للاستِيار^(٣)، وحُكْمُها راجعٌ إلى مُقَدِّمهم بعكا وهو
أفرير^(٤) كليام (جوان دمونغرت)^(٥).

وكان الملك الظاهر - رحمه الله تعالى - قد هادنهم لمدة عشر سنين^(٦)،
ومات، وقد انقضت. وبقيت من سنة ست وسبعين وإلى سنة ثمانين غير مُهادنة،
وحصل منهم الطمع في البلاد والتماذي على الفساد.

وكان نائب السلطنة عن مولانا السلطان بحصن الأكراد مملوكُهُ الأمير
الإسفهسلار سيف الدين بَلْبَان الطَّبَاحِي^(٧)، فاقضى له عُداؤُهُم أن ركب هو ومن

(١) أنظر عن الخضر بن الظاهر بيبرس وأخيه سلامش، وأخذ الكرك منهما في سنة ٦٨٥ هـ. في:
تشریف الأيام والعصور ٣٢، ٣٣، ١٢٣، ١٢٤، وزبدة الفكرة ٩/ ورقه ١٧٥، والنحفة الملوكة
١١٥، ونهاية الأرب ٢٨/٣١، ٢٩، والمختصر في أخبار البشر ٤/٢٢، والدرة الزكية ٢٧٧، ودول
الإسلام ١٨٦/٢، والعبر ٥/٣٥١، وتاريخ ابن الوردی ٢/٢٣٣، ومرآة الجنان ٤/٢٠١، وتذكرة
النبیه ١/١٠٢، والبدایة والنهاية ١٣/٣٠٧، وعبرن التواريخ ٢١/٣٧٣، ٣٧٤، وتاريخ ابن خلدون
٥/٣٩٩، والسلوك ج ١ ق ٣/٧٣١، وعقد الجمان (٢) ٣٤٨ - ٣٥٠، والنجوم الزاهرة ٧/
٣١٩، وتاريخ ابن سباط ١/٤٨٨، وشذرات الذهب ٥/٣٩٠، وتاريخ الأزمنة ٢٦٣.

(٢) المَرْقَب: بالفتح ثم السكون، والقاف، ويا، موخدة. بلد وقلعة حصينة نشرف على ساحل بحر
الشام وعلى مدينة بُنْیَاس، بساحل جبلة. وهو حصن يحدث كل من رآه أنه لم ير مثله. (معجم
البلدان ١٠٨/٥).

(٣) الإسبتار Hospitallers أطلق المؤرخون المسلمون هذا الاسم على جمعية فرسان الهيستالين التي
يرجع تأسيسها إلى سنة ١٠٩٩ م. على يد «بليسد جيرارد» Blessed Gerard بعد استيلاء الصليبيين
على بيت المقدس، وكانت دارها Hospice به ذلك بزم طويل مأوى الحجاج المرضى من
المسيحيين. (السلوك ج ١ ق ١/٦٨ حاشية ٤).

(٤) أفرير: تعريب للفظ الفرنسي «Frère» بمعنى الأخ.

(٥) عن الهامش. والمقصود بالاسم: Guillaume Juan de Monfeurt.

(٦) اتعقدت الهدنة في سنة ٦٦٥ هـ. (١٢٦٧ م). أنظر عنها في: الروض الزاهر ٢٦٦ و ٢٨٣، ونهاية
الأرب ٢٠/٢٩٧، ٢٩٨، والسلوك ج ١ ق ٢/٥٦٠، وعقد الجمان (٢) ص ٩، والنحفة الملوكة
٦٠، ونص الهدنة في: ضبح الأعشى ١٤/١٣.

(٧) توفي سنة ٧٠٠ هـ. أنظر عنه في: نالي وفيات الأعيان ٥٦ رقم ٨٥، والعبر ٥/٤١٠، وتذكرة النبیه
١/٢٣٤، ودرة الأسلاك ١/ ورقة ١٥٣، والوافي بالوفيات ١٠/٢٨٢، والمنهل الصافي ٣/٤٢٢،
والنجوم الزاهرة ٨/١٩٤، والسلوك ج ١ ق ٣/٧٦٤، وتاريخ بن القرات ٨/١١١، وشذرات الذهب
٥/٤٥٧، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري - تأليفنا - ج ٢/٣٣.

عنده من البحرية، وقصدها بجهل، فخرج إليه الفرنج، وأكمنوا لهم، وأخذوا جماعة من البحرية الصالحة في الأسر، وسلم هو وبعض من كانوا معه^(١). فلما بلغ مولانا السلطان سوء هذا الاعتماد من نائبه، أمر، فكتب بصيغة ما تلفظ به. وهو:

١٠٤/ب/ «يا متخلف، متى سمعت أن أحدا طلب في ميمنة وميسرة، وحمل على قلعة حجر»، وأنكر عليه غاية الإنكار. وبقيت في نفس مولانا السلطان وهو مشغول بمعالجة ما هو أهم منها، مُنْهَجَكٌ (- غير غافل-) ^(٢) على مداواة الأخطر عنها.

[مهادنة عكا]

ولما رحل مولانا السلطان عن الرُّوحاء ونزل بعيون الأساور في نوبة كُونْدُك^(٣)، على ما تقدّم شرحه، وحضرت رُسُلُ الفرنج من عكا لاستدراك الفارط، وملافاة قتلهم الساقط، كان من جملتهم رسول الإخوة الاستبار، المسمّى سير^(٤) كليام حضر يسأل المهادنة على المَرْقَب، فوافق مولانا السلطان، ورسم بمهادنتهم، فكتبها بالمنزلة المذكورة^(٥). والثنية الشريفة خلافها. وقيدت بشروط متى أجل بشرط منها كان فيه ثلاثها.

وما وسع في ذلك الوقت وخاطر مولانا السلطان مشغول بحديث كُونْدُك وغضبه، وفكره مُنْصَبٌ إلى اتساع الحيلة في قضيته.

وقضى مولانا السلطان في تلك السّفرة، وانتهر فرصة تلك النّصرة، وعاد إلى مقرّ ملكه / ١١٠٥ وهو مترقّب أمر المَرْقَب، وما يعتمد ممن به من أمور تقضي بفسخ الهدنة وهو إلى ذلك مُنْصَبٌ، فاتفق أن زلت بهم القدم، واعتمدوا ما أوجب منهم خفض الدّم.

[فتح حصن المَرْقَب]

ولما كان في سنة أربع وثمانين قَصَدَهَا مولانا السلطان فأقصدها، ووافاها،

(١) أنظر عن كمين الفرنج بالمرقب في حوادث سنة ٦٧٩ هـ. في: تشريف الأيام والعصور ٨٠، والنخبة الملوكة ٩٥، ٩٦، والدرة الزكية ٢٣٩، ونهاية الأرب ٣١/٦٩، ٧٠.

(٢) عن الهامش.

(٣) أنظر ما تقدّم.

(٤) سير: لفظ إنكليزي (Sir) بمعنى: سيد.

(٥) تشريف الأيام والعصور ٣٤ - ٤١ (حوادث سنة ٦٨٢ هـ).

فنجز لها من وغد الهلاك ما به توعدّها. وأخذ منهم الشار، ورماهم بقوارص الدمار، وأراهم الذلّ بغزوهم إياهم في عُقر الدار^(١).

[وصف المَرْقَب]

وللصاحب فتح الدين بن عبد الظاهر فصل من كتاب يصف مَنَعَتَهَا، وهو:

«وهذه القلعة لها بالنجم مناط، وبالسحاب ارتباط، وعلى^(٢) الذهر اشتراط، ولبروجها ببروج السماء اختلاء واختلاط، تكاد تسهو^(٣) إليها السهوى، ولولا المغالاة - وأستغفر الله - لقيّل: ^(٤) تكاد تستظلّ بسدرة المُنْتَهَى، كأنما الرياح لجيدها محنقة، (والغيوم لخصرها منطقة)^(٥). تجاور البحر، وقد^(٦) كَمَلَّ الله بها القلاع العُشْر^(٧)، فأمتست لنحر الأعداء عيداً، فما هو^(٨) إلا عيد النحر، مَصُونَة السَّرْح، وكأنّه^(٩) ما تمناه فِرْعَوْن على هامان من صرْح. وقد^(١٠) أحسن الله بها للأمة المحمّدية الإدراك، / ١٠٥ب/ وجعل الموهبة بها لمساعدة^(١١) الملائكة حَسَنَة الاشتراك. وما كانت الممالك لتفتخر فإن^(١٢) لها حصن أكرادٍ إلا فتزاد^(١٣) من هذه حصن أتراك. وقد أمِنَ بأخذها من أهل حصون الدعوة^(١٤) النازح

(١) تشريف الأيام والعصور ٧٧، ٧٨، زبدة الفكرة ٩/ ورقة ١٥٥، النحلة الملوكية ١١٣، ١١٤، نهاية الأرب ٣٩/٣١، السلوك ج ١ ق ٣/٧٢٧، ٧٢٨، عقد الجمان (٢) ٣٣٩، تاريخ ابن الفرات ١٨/٨، لبنان من السقوط بيد الصليبيين حتى التحرير - انقسم السياسي - (تأليفنا) - ص. ٣٦١، Gestes des chiprois - PP. 217, 218.

(٢) في تشريف الأيام: «ولها على».

(٣) في تشريف الأيام: «كم يسهو».

(٤) في تشريف الأيام والعصور: «القلّت».

(٥) عن الهامش.

(٦) «وقد» ليست في تشريف الأيام.

(٧) في تشريف الأيام: «وكمل الله القلاع العشر بها»، والمثبت هو الصحيح لاتفاق السجع.

(٨) في تشريف الأيام: «فما هي».

(٩) في تشريف الأيام: «وكانها».

(١٠) «وقد» ليست في تشريف الأيام.

(١١) في تشريف الأيام: «بمساعدة».

(١٢) في تشريف الأيام: «لتفتخر بأن».

(١٣) في تشريف الأيام: «وتزاد».

(١٤) في تشريف الأيام: «من بلاد الدعوة».

والمقيم، وما كان ليكون كهفٌ إلا ولها من هذه رقيم^(١). كم عاند أهل هذا^(٢) الكهف بها^(٣) شيطان رجيم مريد، وكم شاهدوا منه^(٤) كلباً باسطاً ذراعَيْهِ بالوصيد. كم سمح إخوة بيت الاستار في عمارتها من الذهب^(٥) والفضة. بما يوزن بالقطار بعد القنطار. وكم كانوا إخوةً فما تحاسبوا في الإنفاق عليها حساب التجار.

وما سُمِّي «المَرْقَب»^(٦) إلا لأن الأهلَةَ منه تُرْقَب^(٧). وما تُقَب^(٨) إلا لأنه جوهرة قد^(٩) قذفها البحر إلى ذلك الساحل، والجوهرة ما^(١٠) يَضْمَتُهَا السِّلْكُ حتى تنقُب^(١١).

[وَصَفُ الْمَوْفُ لِلْمَرْقَب]

وللمملوك جامع هذه السيرة فصلٌ في معناها، وهو:

«وهي قلعة لا يُدْرِك الطَّرْفُ مُنتَهَاها على جِدَّةِ تحديقهِ، ولا الطَّيْرُ أَعْلَاهَا على تَوَعُّلِ تحليقهِ. وقد أَمِنَ مُسْتَسْمَهَا مُرَامَاتٍ من رَمَى، ومُدَانَاةُ / ١٠٦ / من نَمَ نَمَى^(١٢). وإِنَّا وهي كَالشَّجَرَةِ الطَّيْبَةِ وَإِن خَبُثَتْ «أَضْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ»^(١٣). تحجب الشمس في تَوَسُّطِهَا، وتقبض أنفاسَ الرياح تبسطها، يرجع الطَّرْفُ عنها وهو كليل، ويظَلُّ المرسل إليها فلا نجد إلى أداء ما حُمِّلَهُ (من)^(١٤) سبيل، قد أَمِنَ ضَمُّ جَنْدِلِهَا عَوِيلَ المعاول، ومُتَدَبِّرُ أَعْلَاهَا ما يسوء من الخصم المقاموالمقاوول، لا فَرْقُ في مَنَعَتِهَا بَيْنَ من أقام أو رحل، أو منع أو نحل. ثم

(١) في تشریف الأيام: «وما كان ليكون لها كهف إلا ومن هذه لها رقيم».

(٢) في تشریف الأيام: «أهل الكهف».

(٣) في تشریف الأيام: «منها».

(٤) في تشریف الأيام: «منها».

(٥) في تشریف الأيام: «من الفضة والذهب».

(٦) في تشریف الأيام: «ما سُمِّي بالمرقب».

(٧) في تشریف الأيام: «لأن الأهلَةَ ترقى ومنه تُرْقَب».

(٨) في تشریف الأيام: «وما تُقَب بالفتكات السلطانية إلا».

(٩) «وقد» ليست في تشریف الأيام.

(١٠) في تشریف الأيام: «لا».

(١١) زاد في تشریف الأيام - ص ٨٥ «تجاوز رفعته الأفلاك بأحاديثها، وتجاوز الفلك لتأنيثها، وتجاوز

الحصر بما أباحت من سلب جماعتها وأخذ مواريتها».

(١٢) الصواب: «نما».

(١٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٤.

(١٤) كُتِبَتْ فوق السطر.

والمشاهدة لها (بالسنة السهام)^(١) كأنما يخاطب رُحْل . أقرب من السماء إلى الأرض ، وإلى الطُول من العرض ، وإلى النجوم من التخوم ، وإلى الثُخوم من النجوم . قد تناسبت طرفاها في المنعة فهي لا تُؤْتى من المصاعد ولا من القواعد ، ولا ينال الغرض منها من الأقارب ولا من الأبعاد . يتلقَّى هبوبُ الرياح حجارة المجانيق المرسلَّة إليها بصدره ، ويحبِّبُ عنها سهم المرسل فتكفيه عاقبة مكره ، وتكاد أن تناضل عنها رجوم النجوم بحقِّ الجوار ، وترعى لها الدُخول تحت أذيال السحاب أفقها فغل من أجار . قد اكتنف بها التحصين من كلِّ / ١٠٦ ب / الجهات ، واكتنفتها التمتين فلا سبيل إلى ما يؤلم من المُلِمَّات يصادمها الشهم من السهم فيرجع من فوق بلا فوق ، والحجر الصَّلْد فيعود وقد وجد من جلادتها ما يعوق ، (من مسامته العَيوق)^(٢) . وقد حَمَّتْ مُنْعُهَا عرض عرضها من أن يثلم . وطول طولها على مُتَدِيرها بحفظ الإيواء أن تتحكَّم في بنائها المحكم . إلاً أننا أَيْدنا من السماء فأسقطنا بداء المحاصرة الذفين قُوَّتْها ، وألْنَا نُيُوب السهام السُود نبوتها إلى أن «جَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ»^(٣) . وأسكتن حسن هبوب الرياح المازة بمنافسها فلم نُثَبِّ لها من جس . وأخذناها وواخذناها ، ونَبَذْنَاهَا وَنَابَذْنَاهَا ، وزاولناها فازلناها ، وقابلناها . وعلى سوء الأدب في عدم تقبيل الأرض عند مشاهدتنا فقابلناها . وَسَيِّئْنَا وَسَيِّئْنَا ، وَسَرَيْنَا وَسَرَيْنَا .

وكتابتنا هذا وقد أذعن جامحُها ، وكان سانحُها وبارحُها . وخرس من الكَفَرَة نابحُها ، ودنى^(٤) إلى القبضة نازحُها . وأطاع عاصيها ، وأخذت - والله الحمد - من صياصيها . / ١١٧ / واستقرَّ قرارُها ، وتوطن ثُفارها . وصارت - والحمد لله - دار إسلام ، ومحَلَّ حَيَّة وسلام . ومقرَّ ملكٍ سيستولي - بمشيئة الله تعالى - حتى على مدينة السَّلام والسَّلام . انقضى أمرُها وهي الآن بيد الإسلام ، يُعلن فيها بعد الناقوس بالأذان .

ذِكْر مَهَادَنَةِ طَرَابِلُسِ الشَّامِ

كان هذا الحصن أيضاً مُهادَنُ مع الملك الظاهر^(٥) ، رحمه الله تعالى ، وانقضت هُدْنَتُهُ ، وتصرَّفت مُدَّتُهُ ، واستحالت مَوْدَّتُهُ .

(١) عن الهامش .

(٢) عن الهامش .

(٣) سورة يونس ، الآية ٢٤ .

(٤) الصواب : «ودنا» .

(٥) كانت مهادنة الظاهر ببيرس لطرابلس في سنة ٦٦٩ هـ . أنظر : الروض الزاهر ٢٦٦ و٣٨٣ ، ونهاية =

فلما توجه مولانا السلطان إلى دمشق المحروسة سنة ثمانين وستمائة على ما تقدم حضر رُسُل طرابلس من جهة صاحبها الإبرنس^(١) ييمُنْد ابن ييمُنْد^(٢).

[دخول الظاهر بيبرس طرابلس متكرراً]

وأتفق في تلقيه بالإبرنس حكاية غريبة، وهي:

أنَّ الملك الظاهر كان قد نازَلَهَا^(٣)، وتردَّدت الرُسُل بينه وبين /١٠٧ب/ صاحبها في طلب الصُّلح. فلما حصل الاتفاق توجه الأمير فارس الدين أقطاي الأتابك^(٤)، وضحَّبه الصَّدْر مُحْيِي الدِّين بن عبد الظاهر إلى طرابلس لإبرام الهدنة على ما تقرَّر. واقتضى تغيير الملك الظاهر أن يتنكَّر، ودخل خلف الأتابك في صورة سلاح دار ليرى الحصن المذكور ويكشفه، ويعلم كيف يؤكل كيفه^(٥).

فلما حضروا مجلس الإبرنس، وتقرَّر الحال، وشرع الصَّدْر محيي الدِّين يكتب، فكتب ما مثَّله:

«استقرَّت الهدنة بين السلطان الملك الظاهر وبين حضرة المقدم، فلما رآها الإبرنس قال: من هو المقدم.

قال: أنت.

قال: أنا إبرنس.

قال: لا، الإبرنس هو الملك الظاهر، لأن الإبرنس عبارة عن صاحب

= الأرب ٣٠/٢٩٧، ٢٩٨، والسلوك ج ١ في ٢/٥٦٠، وعقد الجمان (٢) ص ٧٧، وذيل مرآة الزمان ٢/٤٥٠، وزبدة الفكرة ٩/ ورقة ٨٣ ب، والتحفة الملوكية ٧٢، وعيون التواريخ ٢٠/٤٠٢، والنجوم الزاهرة ٧/١٥٢، والدرة الزكية ١٥٧، والبدية والنهاية ١٣/٢٥٩، لبنان من السقوط بيد الصليبيين حتى التحرير (القسم السياسي) تأليفنا ص ٣٢٠.

(١) الإبرنس: لفظ فرنسي (Le Prince) معناه: الأمير.

(٢) هو «بوهموند السادسة» مات سنة ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٥ م. أنظر كتابنا: تاريخ طرابلس ١/٥٦٧.

(٣) وكانت منزلة الظاهر لطرابلس في سنة ٦٦٩ هـ. ١٢٧١ م. أنظر: الروض الزاهر ٣٧٥، والدرة الزكية ١٤٣ و١٥١، والتحفة الملوكية ٧٠، ونهاية الأرب ٣٠/١٧٦ و٣٢٦، والسلوك ج ١ في ٢/٥٩٠، لبنان من السقوط بيد الصليبيين ٣٢٠.

(٤) وهو أقطاي المستعرب، توفي سنة ٦٧٣ هـ. (تالي وفیات الأعيان ١٠، ١١ رقم ١٦).

(٥) حُسن المناقب، ورقة ١٠٧ب، ١١٠٨، سيرة الظاهر بيبرس - لمؤلف مجهول - نشره عبد الحميد أحمد حنفي - مصر، الطبعة الأولى - ج ٣/٢٧٣.

القدس واسكندرونة وأنطاكية، وهؤلاء لمولانا السلطان الملك الظاهر.

فامتعض^(١) لهذا الأمر وصُعب عليه، وظهر عليه الغضب إلى أن كاد. وعذها الملك الظاهر ممّا للكتاب من إنكاد، / ١٠٨ / وَلَكَزَهُ لَكَزَةً خَفِيَّةً، إِلَّا أَنَّهَا بِالْغَرَضِ وَفِيهِ.

فالتفت الأتابك وقال: يا مُحبي الدين ضدّقت، وهذا الاسم هو لمولانا السلطان، وقد وهبه لهذا كما وهبه حصنه وبلاده ورعيته. وأنا أضمن هذا الأمر له، فحينئذ كتب له وبين الإبرئس.

ولمّا انفصلوا، ووصل الملك الظاهر إلى مقرّ دهليزه حكاهما لأمرأ دولته، وتضاحكوا منها. وقال له: يا ابن عبد الظاهر: هذا كان وقته، لئن الله الإبرئس.

كذا حكاه^(٢) لي رحمه الله تعالى.

ونعود إلى أمر طرابلس ومهادنتها مع مولانا السلطان.

[محااجة رسول بوهوند صاحب طرابلس]

ولمّا حضرت رُسل الإبرئس بين يدي مولانا السلطان، وحضر الصاحب فتح الدّين وأنا معه، أخذ السلطان يسأل الرُّسل فيم^(٣) جاءوا، بالتركي،

فتنهض الوزير غراب، وكان بجُحاجاً داهية متمحلاً، فكان جوابه عن سؤال مولانا السلطان بما صورته: إِنَّ مُجِبَّ دولته والمُتوالي في عِزِّ سلطانه يبيّئد يسأل عِزَّ سلطانه في استمرار المودّة التي كانت بينه وبين الملك الظاهر / ١٠٨ ب / والنّسج على مثوال هدنته.

فكان جواب مولانا السلطان: أين المال الذي جثتم^(٤) به، وأيّ شيء تُعطونني من البلاد؟

فأحسنَ هذا غراب السّفارة إلى أن لّين عريكة مولانا السلطان بحُسن مُداراته، ولطيف عباراته. ولم يزل يذلّ إلى أن أتى بما أطاب به النفس، وأقرّ به العين،

(١) كذا، والصواب: «فامتعض».

(٢) كذا، والصواب: «حكى».

(٣) في الأصل: «فيما».

(٤) في الأصل: «جثتم».

وحقق بائتلاف القلوب أنه غرابٌ جَمَعَ لا غراب بَيْنَ . وأجْلِس ، وأخرج هدنة الملك الظاهر المشمولة بخطه ، وأحضرنا نحن نُسختها المُدخَّرة عندنا ، وشوهد منها ما يسمح به الملك الظاهر و (ما)^(١) فيه شَحْ ، وقوبل بها حرفاً حرفاً ، وأوجبت موافقتها أن يُقال : قوبل فصَح . إلا أننا ولما وصلنا إلى مدينة عَرَقا^(٢) ، وهي من أَجَل بلادهم وأعظيها نفعاً قال له صاحب فتح الدين صاحب الديوان : يا وزير ، إلا أن هذه عَرَقا^(٢) لا ينسحب عليها حُكم الهدنة .

ذِكْر السبب فيها

كان الملك الظاهر قد هادَنَهُم^(٣) على شرط أن يقوموا بآلافٍ من الذهب / ١١٠٩ / وآلافٍ من الأسرى المسلمين ، وتوجّه الأمير سيف الدين بَلْبَانَ الرومي الدوادار لقبْض الذهب وتسليم الأسرى ، فأقام عندهم ستة أشهرٍ وهم يُخاتلونهُ ويُراوغونه ويُدافعونه انتظاراً لِلْعَرَضِيَّات ، وهي عادَتُهُمْ - لعنَهُمُ الله تعالى . فتَحِيل الأمير سيف الدين إلى أن حضر إلى الملك الظاهر هارياً ، فأوقع الملك الظاهر الخوَطة على هذه عَرَقا من أول الهدنة وإلى أن مات^(٤) .

فلَمَّا قيل للوزير غراب : إِنَّ هذه عَرَقا لا تدخل في الهدنة ، فهمُ الصورة ، وأخذ في المحاججة عنها ، وأنَّ التأخير إنَّما كان ليحصل المال وتحضر الأسرى من البلاد .

فقال له صاحب الديوان : كنتم سِيرتموهم في السنة الثانية أو الثالثة أو الرابعة!

فلَمَّا لم يجد له مخرجاً من أمره ولا موضعاً لَمَكْرِهِ وافق على أن يؤدوا المال والأسرى ، وقال : نريد مرسومكم بأن نحاسب على ما قبضه الملك الظاهر من هذه عَرَقا في مدة عشر سنين ، عِلْماً منه بأنه يفضلُ لهم لا عليهم .

(١) كُتِبَت فوق السطر .

(٢) ضبطها المؤلف هكذا بفتح العين المهملة وسكون الراء ، ثم قاف وألف ممدودة ، وهي عند ياقوت الحموي في (معجم البلدان) بكسر العين وسكون الراء ، وآخرها هاء مربوطة . وكانت عَرَقة تُعتبر عاصمة إقليم عَكَار وقاعدته . وهي مندثرة الآن . بالقرب من مدينة حلباً شمالي طرابلس .

(٣) في شهر محرم ٦٧٤ هـ . / ١٢٧٦ م . أنظر : الروض الزاهر ٤٤٧ ، ونهاية الأرب ٣٠ / ٣٤٤ ، وعقد النجمان - المخطوط - ج ٢٠ ق ٤ / ورقة ٥٩٧ .

(٤) حُسِنُ المناقب ، ورقة ١١٢ ب .

فانزعج عليه صاحب الديوان / ١٠٩ب / المذكور . واستفهم مولانا السلطان الصورة، ف جذب عليه التمشاء^(١) وكاد أن يأخذ رأسه .

فقلت - وكان أكبر أمراء المشور وهو الأمير علاء الدين طينرس^(٢) الوزيري يسمعي :- نحن في مجلس تحاكم وتناصف وتشارع ، لا مجلس حرج . ولما قاله جواب .

فقال لي : وما جوابه ؟

فقلت : إذا رسم مولانا السلطان جابوته وحاججته . فرسم لي .

فقلت له : يا غراب ، إنما احتاط الملك الظاهر على هذه غزقا نكايه لكم ، لا أن يرفق بكم ، ويأخذ المال مقسطاً . ثم إن العوامل بهذه البلدة والتقاوى^(٣) والفلاحين منه لا منكم ، وبثوابه لا بثوابكم ، وأرضها مملوكة له بالسيف ، لا بل والكُل ، لأن الهدنة قد فسدت بإخلافكم بالشرط ، وإنما هو أبقى عليكم بأخذ البعض ، وقابلت^(٤) فاسده بالصالح ، وإن كان مقابلة الفاسد (بالفاسد)^(٥) من وجوه النظر . واندفعت عليه اندفاع السبل فبُهِت الذي كَفَرَ . فوافق ، وما نافق .

واستقرت الهدنة على هذا الشرط^(٦) .

وأمر مولانا السلطان (الأمير)^(٧) سيف الدين بلبان الرومي الدوادار أن يتوجه لتحليف الإبرنس وقبض المال ، وأن أتوجه معه / ١١٠أ / فتنصلت لأمرين :

أحدهما : متابعة أمر قريبي صاحب الديوان في أن لا أفارقه .

والآخر : الفكرة في العقبي والمآل^(٨) .

(١) التمشاء = النمشاء : سيف لطيف خاص بالملك أو السلطان .

(٢) هو الأمير علاء الدين طينرس الوزيري الصالحي النجمي ، كان من الأمراء الأكابر المشهورين بالخير والشجاعة . لازم ضحية الملك الظاهر قبل أن يملك وبعد أن ملك . له أوقاف للبر بمصر والشام . توفي سنة ٦٨٩هـ . (تالي وفيات الأعيان ٩٣ رقم ١٣٨) .

(٣) التقاوى : القبائل ، من حبوب ومزروعات ويقول وغيرها .

(٤) قابلت = واجهت . والمتحدث هنا هو المؤلف .

(٥) عن الهامش .

(٦) في شهر ربيع الأول سنة ٦٨٠هـ . تموز (يوليو) ١٢٨١ م .

(٧) كُتبت فوق السطر .

(٨) حُسن المناقب ، ورقة ١١٢ب - ١١٤ب .

[فتح طرابلس الشام]

وَاتَّفَقَتْ وَفَاةَ هَذَا بَيْمُنْدُ بْنُ بَيْمُنْدٍ^(١) إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفَسَدَ نِظَامُهَا، وَتَعَدَّتْ أَقْوَامُهَا، وَسَاءَ مَسْتَقَرُّهَا وَمَقَامُهَا، وَتَعَدَّى ضَرَرُهَا، وَتَطَايَرَ شَرُّهَا، وَكَثُرَ غُرْزُهَا، وَطُمِعَ غُرْزُهَا، فَلَمْ يَسْغَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ إِلَّا مَعَاجِلْتُهَا وَمَفَاجَأَتِهَا^(٢)، فَخَرَجَ إِلَيْهَا بِعَسَاكِرِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ مَلَكَهَا^(٣)، وَلَا وَثَى أَنْ اسْتَهْلَكَهَا^(٤).

[التهنئة بفتح طرابلس الشام من إنشاء ابن الأثير]

وَفِي فَتْحِهَا مَا كَتَبَ الصُّدْرُ، الْفَاضِلُ، الْبَلِيغُ، الْبَارِعُ، تَاجُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَثِيرِ، الْكَاتِبُ الْحَلِيبِيُّ، وَهُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي لَا يُبَارَى قَلَمُهُ،

(١) مات بوهيموند السابع في ١٩ تشرين أول (أكتوبر) ١٢٨٧ م - (٦٨٦ هـ).

(٢) في الأصل؛ «مفاجئتها».

(٣) كان فتح طرابلس ظهر يوم الثلاثاء في ٤ من شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٨ هـ - ٢٦ نيسان (إبريل) ١٢٨٩ م. وقيل غير ذلك. أنظر عن فتح طرابلس في: تاريخ سلاطين المماليك، لمؤرخ مجهول - نشره زترستين - طبعة ليدن ١٩١٩ - ص ٢٤٨، وتاريخ الزمان لابن العبري ٣٥٧ وفيه أن الحرب لفتح طرابلس استمرت ثلاثة أشهر! وهذا غير صحيح، فحصارها دام ٣٣ يوماً، وتم فتحها في اليوم الرابع والثلاثين، وتالي وفيات الأعيان للصفاعي ١٣٠، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٨٨/٥، وفتوح النصر، لابن بهادر (مخطوط) ٢/ ورقة ١٦٣، وزبدة الفكرة ٩/ ورقة ٢٧٢ وفيه خزم، والتهنئة الملوكية ١٢٠، والمختصر في أخبار البشر ٢٣/٤، والدرة الزكية ٣٨٣، والمختار من تاريخ ابن الجوزي ٤٤٨، ونهاية الأرب ٤٧/٣١، ٤٨، وممالك الأبطال (مصور) ج ٨ في ١/ ورقة ٩٠، ٩١، ونشر الجمان للفيومي (مخطوط) ج ٢/ ورقة ٣٤٦، ب، وتاريخ الإسلام للذهبي. (مصور) ج ٣٢/ ورقة ١٨٤، والعبر ٣٥٦/٥، ومرآة الجنان للياضي ٢٠٧/٤، والبداءة والنهاية ١٣/ ٣١٣، والسلوك ج ١ في ٣/ ٧٤٧، وتاريخ ابن الفرات ٨/ ٨٠، والإلحاح بالإعلام، للنفثوري السكندري (مخطوط) ج ١/ ورقة ٦٩٩، وعقد الجمان (٢) ٣٨٢، والنجوم الزاهرة ٣٢١/٧، والمنهل الصافي (المصور) ج ٣/ ورقة ٣٩، ومشارع الأشواق لابن النحاس ٩٤٨/٢، وعيون التواريخ (المصور) ج ١٢ في ١/ ورقة ٢، ومختصر التواريخ، للسلامي (مخطوط) ج ١/ ورقة ٣٥٩، ودول الإسلام ١٨٨/٢ ودرة الأسلاك (مصور) ٢/ ورقة ٣٩١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٤، وتذكرة النبي ١٢٢/ ١ - ١٢٤، وتاريخ ابن خلدون ٤٠١/٥ - ٤٠٣، ومآثر الإنافة ١٢٢/ ٢، وذو النجان، لابن أبيك (مخطوط) ورقة ٢٢٥، وقطف الأزهار للبكري (مخطوط) ورقة ٢٣، ومناهل الصفا للسبوطي (مخطوط) ورقة ٢٢٤، وذخيرة الأعلام للغمري (مخطوط) ورقة ١١١ أ، وغربال الزمان لابن الأهدل (مخطوط) ورقة ١٩٩ ب، وشذرات الذهب ٤٠٣/٥، وتاريخ ابن سباط ١/ ٤٩١، ٤٩٢، وبدائع الزهور ج ١ في ١/ ٣٥٧، وتاريخ الطائفة المارونية ١/ ١١٩، وتاريخ الأزمنة ٢٦٤، ٢٦٥، ومصادر أخرى عربية وأجنبية حشدتها في كتابي: لبنان من السقوط بيد الصليبيين حتى التحرير ٣٣٦ - ٣٧٨.

(٤) هذه إشارة إلى هدم المدينة بعد فتحها. راجع المصادر المذكورة آنفاً.

ولا يُضاهي كَلِمَهُ، ولا يكمل كاتب لإلاقة دواته، ولا لمعارضة أدواته. كتب مُهَنِيًا
بفتحها للملك المظفر شمس الدين صاحب اليمن^(١) كتاباً، وهو:

«أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَ الْمَقَامِ الْعَالِيِّ، الْمَوْلِيِّ، السُّلْطَانِيِّ^(٢)، الْمَظْفَرِيَّ، الشَّمْسِيَّ،
وَلَا زَالَتْ أَوْلِيَاؤُهُ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ^(٣) مَشْمُورَةُ الذَّلِيلِ، مُلْحِقَةُ الْخَيْلِ^(٤) / ١١٠ ب/
بِالْخَيْلِ، مُقْبِلَةٌ عَلَى الْجِهَادِ إِقْبَالَ السَّيْلِ، مَائِلَةٌ إِلَى جِهَةِ النُّصْرِ كُلِّ الْمَيْلِ، عَاقِدَةٌ^(٥)
سَنَابِكَ جِيَادِهَا سَمَاءً^(٦) نُجُومُهَا الْأَيْسَّةُ وَعَجَاجُهَا اللَّيْلُ. تَنْشُدُ الْإِسْلَامَ ضَوَالَةً
الشُّوَارِدِ^(٧)، وَتُخْلِي مِنْ أَعْدَائِهِ الْمَعَاقِلَ، وَتَحُلِّ مِنْهُمْ الْمَعَاقِدَ^(٨)، إِلَى أَنْ تَبْلُغَ
أَقَاصِي الْمَرَادِ، وَتَمْلِكَ نَوَاصِي الْعِبَادِ، وَتُفْتَرِعَ صِيَاصِي الْبِلَادِ، وَيَطِيعَ مِنْ [فِي]^(٩)
الْأَرْضِ عَوَاصِي الْبِلَادِ^(١٠) وَالْوَهَادِ.

(التَّهَانِي)^(١١) مِنْ عَادَتِهَا^(١٢) أَنْ تَسْتَدْعِي سُرُورَ الْقُلُوبِ، وَتَسْتَخْرِجَ مِنَ
الْحَمْدِ خُبَايَا^(١٣) الْأَيْسَّةِ إِذَا اسْتَخْرِجَ سَوَاهَا خُبَايَا الْجُيُوبِ. وَتُسْرِي فِي النُّفُوسِ
مَسْرَى^(١٤) الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ، وَتُقْبِلَ عَلَى الْأَمَالِ^(١٥) إِقْبَالَ الْأَنْوَارِ عَلَى الظَّلَامِ.
لَا سِيماً بَتَهْنِيَةٍ دَلَّتْ عَلَى إِدَالَةِ الْحَقِّ (عَلَى الْبَاطِلِ)^(١٦) وَإِعَادَةِ الْحُلَى^(١٧) إِلَى
الْعَاطِلِ، وَتَقَاضَتْ الدِّيُونُ الْمُنْسِيَّةُ، وَأَذْكَرَتْ الْإِسْلَامَ وَقَانِعَهُ الْأُمْسِيَّةُ، وَأَخَذَتْ ثَارَهُ

(١) هو الملك يوسف بن عمر بن علي بن رسول. أقام في مملكة اليمن ٤٧ عاماً، وتوفي سنة ٦٩٤ هـ.

(٢) فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ، وَغَيْرِهِ، زِيَادَةٌ: «الْمَلِكِي».

(٣) فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ، وَغَيْرِهِ: «فِي نَصْرِ اللَّهِ».

(٤) تَكَرَّرَ الْمُؤَلَّفُ «الْخَيْلُ» ثَمَّ أَشَارَ فَوْقَ الثَّانِيَةِ لِحَذْفِهَا.

(٥) فِي الْمَسَالِكِ وَغَيْرِهِ: «عَامِدَةٌ».

(٦) فِي الْأَصْلِ: «سَمَاءً»، وَفِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ، وَغَيْرِهِ: «سَمَاءً».

(٧) فِي الْمَسَالِكِ، وَغَيْرِهِ: «تَنْشُدُ لِلْإِسْلَامِ صَوَاكِمَ الشُّوَارِدِ».

(٨) هُنَا نَقْصٌ، يَرَاجِعُ الْمَسَالِكُ وَغَيْرِهِ.

(٩) إِضَافَةٌ عَلَى الْأَصْلِ مِنَ الْمَسَالِكِ وَغَيْرِهِ.

(١٠) فِي الْمَسَالِكِ، وَغَيْرِهِ: «الْقَلَاعُ».

(١١) عَنِ الْهَامِشِ.

(١٢) فِي الْمَسَالِكِ، وَغَيْرِهِ: «عَادَاتِهَا».

(١٣) فِي الْمَسَالِكِ، وَغَيْرِهِ: «وَتَسْتَخْرِجُ الْحَمْدَ مِنْ خُبَايَا».

(١٤) فِي الْمَسَالِكِ، وَغَيْرِهِ: «سَرْي».

(١٥) فِي الْمَسَالِكِ، وَغَيْرِهِ: «عَلَى الْأَمَالِكِ».

(١٦) عَنِ الْهَامِشِ.

(١٧) فِي الْمَسَالِكِ، وَغَيْرِهِ: «وَأَعَادَتِ الْجَلِي».

مَنْ أَخْفَرَ لَهُ الذَّمَّ، واستعادت من خَذَه صَعَرُ أو في أنفه شَمَمٌ^(١)، وإذا كانت بهذا الوصف كانت في المَرَجِ أَمْرَعُ، وإلى القلوب أَسْرَعُ، ولَمَرَعَى القَبُولُ^(٢) أَمْرَعُ. ترتاح إليها الأُصْغَارُ والأَبْصَارُ، وتَوَدُّ كُلَّ جَارِحَةٍ لو كانت فيها من المهاجرين والأنصار. ومن حَقَّقَهَا أَنْ تُرْفَعَ^(٣) لَهَا الحُجُبُ، وترقَلُ^(٤) بها المحامِلُ أَرْقَالَ^(٥) النُّجُبِ. لتستدعي من^(٦) لطف الله بدينه الذي ارتضاه، وتحمده على الإعانة لسيفه^(٧) الذي جرَّده وانتضاه.

وهذه الخدمة تقصُّ من أنباء البُشْرَى كُلِّمَا يسري ويسرُّ، ويُمري أخلاف^(٨) النصر ويُمَرِّ. وتظهر منه عناية الله بهذه الأمة التي خصَّها (منه)^(٩) بالِمَقَّةِ^(١٠)، وخصَّ عُدُوَّهَا بِالْمَقْتِ. وأنَّ حقوقها لأَنْصَاعٍ وإن اغتصبت في وقت.

وهو الهنا بما تَسْتَى من فتح طرابلس الشام، وانتقالها من بعد الكُفْرِ إلى الإسلام^(١١). وهو فتح طال عهد الأسلام بمثله، وفتح فِتْ عَضْدُ^(١٢) الشُّرْكِ وأهله. لم يَجُلْ أَمْرُهُ في خَلْدٍ ولا فِكْرٍ، ولا تَرَقَّتْ إليه نعمة عوانٍ (من الثوب)^(١٣) ولا يَكُرُّ. طريدة فِكْرٍ سَاقَتْهَا^(١٤) العزائم، وضالَّة أمل^(١٥) ما نَشَدَتْهَا الأمانى إلا أعادت عنها وقد جرَّتْ^(١٦) ذِيول الهزائم، ومَرَّتْ عليها

(١) في المسالك، وغيره: «واستأذت من في خذه صغراً، وفي أنفه شمم» أو في لحظه ضرر، أو في لومه لحم.

(٢) في المسالك، وغيره: «القلوب».

(٣) في المسالك، وغيره: «ترفع».

(٤) في المسالك، وغيره: «وترقل».

(٥) في المسالك، وغيره: «أرقاب».

(٦) في المسالك، وغيره: «وتستدعي المزيد من».

(٧) في المسالك، وغيره: «ونحمده... ب سيفه».

(٨) في المسالك، وغيره: «أخلاف» بالحاء المهملة.

(٩) كُتِبَتْ فوق السطر.

(١٠) «بالمقَّة» لم ترد في المسالك، وغيره.

(١١) في المسالك، وغيره: «وانتقالها بعد الكفر اللام إلى الإسلام».

(١٢) في المسالك، وغيره: «فت في عضد».

(١٣) كُتِبَتْ فوق السطر.

(١٤) في المسالك، وغيره: «طريدة دهر شافتها».

(١٥) «وضالَّة أمل» لم ترد في المسالك، وغيره.

(١٦) في المسالك، وغيره: «جرَّدت».

الأيام والليالي، وعجز عنها من كان^(١١) في العصور الخوالي.

ولم تزل الملوك تتحاماها، / ١١١ب/ وإذا أخطرتها^(١٢) الظنون في بالٍ تخشى
أن تحلّ جماها. وكنا لما أفضى الله تعالى إلينا بأمر المُلْك^(١٣)، وأنقذ^(١٤) بنا من
الهلك، عاهدناه على أن نغزو أعداءه بَرّاً وبحراً، ونوسع^(١٥) به من كفر به قتلاً
وأسرى^(١٦). ونجعل شعائره^(١٧) الجهاد منصوبة، ونسترجع حقوق الإسلام
المغصوبة^(١٨). ونورد المشركين موارد الحرب المُفضية بهم إلى الحرب^(١٩)،
ونُجليهم عن البلاد (كما أمر رسول الله ﷺ)^(٢٠) بإجلاء^(٢١) طوائف المشركين عن
جزيرة العرب.

فلما أمكنت الفرصة^(٢٢)، وأخذنا في أمرهم بالعزيمة دون الرخصة، جئناهم
بمثل السَّيْلِ إذا طمى، والسحاب إذا هَمَى^(٢٣)، والبحر وأمواجه، والبر وفجائه،
والليل ونجومه^(٢٤)، والذئب وهجومه^(٢٥)، فزلزلنا أقدامهم، وأزللنا إقدامهم،
وأذقناهم بأسنا مرّةً ومرة، وعرفناهم أنّ ما كلّ بيضاء شحمه، ولا كلّ سوداء
فحمه، ولا كلّ حمراء جمرة^(٢٦)، وبرزنا إليهم (بشقائهم)^(٢٧) لَشِقَائِهِمْ^(٢٨) وسَدَدْنَا

(١) في المسالك، وغيره: «وعجزت عنها الملوك في».

(٢) في المسالك، وغيره: «وإذا أخطرتها».

(٣) في المسالك، وغيره: «ولما أفضى الله إلينا أمر المُلْك».

(٤) في المسالك، وغيره: «وأنقذ».

(٥) لم ترد في المسالك، وغيره.

(٦) في المسالك، وغيره: «وأسرى».

(٧) في المسالك، وغيره: «شعائره».

(٨) في المسالك، وغيره: «للإسلام مغصوبة».

(٩) في المسالك، وغيره: «إلى الحرب».

(١٠) ما بين القوسين لم يرد في المسالك، وغيره.

(١١) في المسالك، وغيره: «إجلاء».

(١٢) في المسالك، وغيره: «فلما أمكنتا الله تعالى منهم بالفرصة».

(١٣) في المسالك، وغيره: «وأخذناهم بالعزيمة في أمرهم دون الرخصة، بمثل السَّيْلِ إذا طما،
والسحاب إذا هَمَى».

(١٤) في المسالك، وغيره: «والليل وهجومه».

(١٥) في المسالك، وغيره: «والضباب وهجومه».

(١٦) في المسالك، وغيره: «ولا كلّ حمرة ثمرة».

(١٧) عن الهامش «بشقائهم». وفي المسالك، وغيره: «لشقائهم».

(١٨) في المسالك، وغيره: «وسيقائهم».

عليهم آفاق^(١) نفاقهم . (وأنهضنا إليهم همّة الهمة، وجعلنا عليهم ظُلة من غنم الغنم)^(٢) وقصدناهم في وقت / ١١٢ / تجمعت^(٣) فيه أشنات الشئ^(٤)، ولبت فيه ندا الأندى^(٥). في طُرُق خفية المدارج، أبنية المعارج^(٦)، مُلتبسة المسالك، مُمتنعة على المسالك. صيفها شتى^(٧)، وصباحها مسا، شايبة المفارق بالثلوج، (مُنْهَلة المدامع من عيون الجبال على خدود المروج)^(٨)، مُزَرَّرة الجيوب على أكمام النجوم (التي ما لملايسها)^(٩) من فروج. ولم تزل أقران الزخف في عُذْران الزعف^(١٠) ترميهم بالقوارص، وتأتيهم من الباس بما ترعد منه^(١١) الفرائص. وقلب لهم ظهر المِجَنّ، فطرق أقبيتهم من الحرب بكلّ فنّ. وتقرب الأسوا^(١٢) من الأسوار. وتمزج لهم الأدواء في الأدوار. وتبعث إليهم السهام برُسل المنايا، وتحذّره أن يغتروا بما يسمعون من حنين المنايا^(١٣)، وتجمع لهم من جفوة الجفاتي، ورزيات^(١٤) الزيارات، وترميهم^(١٥) من قساوة القسي بما يشغلهم عن مُداراة ثوب الثوب المدارات، وتسلك بهم من المضايقة^(١٦) كلّ مسلك. وتجلو عليهم صورة^(١٧) المنازلة فتخرجهم من (مطلب)^(١٨) وتدخلهم في مهلك^(١٩). إلى

(١) في المسالك، وغيره: «إنفاق».

(٢) ما بين القوسين لم يُذكر في المسالك، وغيره.

(٣) في المسالك، وغيره: «جمعت».

(٤) في المسالك، وغيره: «الشناء».

(٥) في المسالك، وغيره: «الأنداء».

(٦) في المسالك، وغيره: «المعارج».

(٧) في المسالك، وغيره: «شتاء».

(٨) ما بين القوسين لم يُذكر في المسالك، وغيره.

(٩) ما بين القوسين لم يُذكر في المسالك، وغيره.

(١٠) في المسالك، وغيره: «عدوان الزحف».

(١١) في المسالك، وغيره: «ترعد من هوله».

(١٢) في المسالك، وغيره: «الأسوار».

(١٣) في المسالك، وغيره: «من حنو الحنايا».

(١٤) في المسالك، وغيره: «وزيارات».

(١٥) في المسالك، وغيره: «وترميهم».

(١٦) في المسالك، وغيره: «المضايق».

(١٧) في المسالك، وغيره: «ونجلو عنهم صور».

(١٨) كتب في الأصل: «مهلك» ثم وضع فوقها إشارة، وكتب فوقها «مطلب».

(١٩) في المسالك، وغيره: «فتخرجهم من مطلب إلى مهلك».

أَنْ وَهَى سُلُوكُهَا^(١) / ١١٢ب/ وودنى^(٢) هلكها. ورخص منها ما غلا، وسفل منها ما على^(٣)، ففتحناها وأبغناها، وخلقناها، وقد أخلقناها مُقْفَرَة المغاني، خالية الألفاظ من المعاني، خاوية على عروشها، موحشة من أنيسها^(٤) أنسة بوحوشها. قد أُمست كَالَّذِي «يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ»^(٥) وَأَضَحَّتْ^(٦) «حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْرِ بِالْأَمْسِ»^(٧).

وأما من بقي من الغدوّ بالسّاحل فقد تركناهم مسلوبين المزايّا، مشغولين بالرزايّا^(٨). أذلّهم عدم التنصير، وأصارهم الخوف شرّ مصير^(٩)، وتبدّلوا بلبيل^(١٠) الهمّ الطويل عن يوم اللّهُ القصير.

وهذه المدينة لها ذكر في البلاد، ومنعة كانت قد ضربت دون العزم بالأساد^(١١)، فتحت في صدر الإسلام في زمن معاوية بن أبي سفيان، رحمه الله^(١٢)، وتنقلت في أيدي الملوك^(١٣) وعظمت في زمن بني عمار^(١٤)، وبنوا بها «دار العلم»^(١٥) المشهورة في التواريخ.

-
- (١) في المسالك، وغيره: «ملكها».
 - (٢) في المسالك، وغيره: «ودنا» وهو الصواب.
 - (٣) كذا، والصواب: «ما علا»، كما في المسالك، وغيره.
 - (٤) في المسالك، وغيره: «أنيسها».
 - (٥) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.
 - (٦) في المسالك، وغيره: «وأصبحت».
 - (٧) سورة يونس: الآية ٢٤.
 - (٨) في المسالك، وغيره: «مسلوبين المزايا، مشغولين بالروايا».
 - (٩) في المسالك، وغيره: «وأصارهم الخوف حتى يصير».
 - (١٠) في المسالك، وغيره: «وتبدّلوا لميل».
 - (١١) في المسالك، وغيره: «دون القصد بالأسداد».
 - (١٢) في المسالك، وغيره: «فتحت في صدر الإسلام في زمن الصحابة الكرام في ولاية معاوية بن أبي سفيان، دون ذكر «رحمه الله».
 - (١٣) زاد بعدها في: المسالك، وغيره: «من ذلك الزمان».
 - (١٤) بنو عمار، من قبيلة كُثَامَة المغربية، تولّوا القضاء في طرابلس الشام في أوائل القرن الخامس الهجري، ثم استقلّوا بإمارة المدينة عن الدولة الفاطمية قُبيل منتصف القرن الخامس، وامتدّت إمارتهم من جُبَيْلة شمالاً إلى جُبَيْل جنوباً. أنظر عن بني عمار في كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين - ص ١٤٣ وما بعدها.
 - (١٥) دار العلم: كانت بطرابلس قبل قيام إمارة طرابلس المستقلّة، وكان بها حسب رواية التّزبيري نحو مليون مخطوط. أحرقها الصليبيّون عند احتلالهم للمدينة. أنظر عنها كتابنا: دار العلم بطرابلس في القرن الخامس الهجري - طبعة دار الإنشاء، طرابلس ١٩٨٢.

ولما كان في آخر المائة الخامسة وظهرت طوائف الفرنج بالشام، واستولوا على البلاد. وامتنت هذه المدينة عليهم، ثم ملكوها في سنة ثلاث وخمس مائة^(١). واستمرت /١١٣/ في أيديهم إلى الآن^(٢).

وكان الخلفاء والملوك في ذلك الوقت ما منهم إلا مشغول بنفسه، مكب^(٣) على مجلس أسه، يصطيح في لهوه ويغتيق، ويجري في مضمار لعبه ويستبق^(٤). قد بلغ أمله من الرتبة، ومنع من ملكه كما يقال بالسكة والخطة. يرى السلامة غنيمة، وإذا عن له وصف الحرب يوماً لم يسأل منها إلا عن طرق الهزيمة. أموال تنهب، ونفوس^(٥) تذهب. وقد تجاوزت حد إسرائها، وبلاد تأتيها^(٦) الأعداء فتقتصها من أطرافها. لا يبالون بما سلبوا، فهم كما قيل فيهم وفي أمثالهم:

إِنْ قَاتَلُوا قَاتِلُوا أَوْ طَارَدُوا طَارَدُوا
أَوْ حَارَبُوا حَارَبُوا أَوْ غَالَبُوا غَالَبُوا

إلى أن أوجد الله من أوجده لنصر^(٧) دينه، وإذلال الشرك وشياطينه، فأحيا فريضة الجهاد بعد موتها، ورد ضالة العز^(٨) بعد فواتها. وزجوا^(٩) بقدرة الله ولطفه أن تفتزع ممالكهم ذروة ذروة، ونأتي /١١٣/ ب/ إلى عقد قوانينهم^(١٠) فنحلها عروة عروة^(١١). ونخلي ديارهم من ناسهم^(١٢)، ونظهر الأرض من أدناسهم^(١٣). ونجدد

(١) المشهور أن طرابلس سقطت يوم الإثنين ١١ من ذي الحجة سنة ٥٠٢ هـ. / ١٢ تموز (يوليو) ١١٠٩ م. (انظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري - ج ١ / ٤٣٨ وما بعدها).

(٢) في المسالك، وغيره: «ولم نزل المدينة بأيديهم». وهنا اختلاف ونقص.

(٣) في المسالك، وغيره: «مكب».

(٤) هنا تقديم وتأخير في المسالك، وغيره.

(٥) في المسالك، وغيره: «ومالك».

(٦) في المسالك، وغيره: «وبلاد نأزفها».

(٧) في المسالك، وغيره: «من أذخره لئسرة».

(٨) في المسالك، وغيره: «ضالة العز للإسلام».

(٩) في المسالك، وغيره: «ونرجو».

(١٠) في المسالك، وغيره: «عقد قراهم».

(١١) في المسالك، وغيره: «فنحلها عقدة عقدة».

(١٢) في المسالك، وغيره: «بأسهم».

(١٣) في المسالك، وغيره: «ونظهر الأرض من أدناسهم وأرجاسهم».

للأمة قوة سلطانها، ونعيد كلمة الإسلام^(١) إلى أوطانها. إلى أن تلقى الله تعالى
بيض الوجه، ونجد في مجازاته ما نرجوه.

والله تعالى يُثبت في صحائف المولى أجر (هذا)^(٢) السرور بهذه
المتجددات، التي بها يعظم^(٣) أجرُ الحامد والشاكر. ونجعل له أوفى نصيب من
ثواب (هذه)^(٤) الغزوات التي أنجد فيها^(٥) بهيمته العالية والإنجاد بالهمم مثل
الإنجاد بالعساكر^(٦).
إنهى كلامه.

[كتاب تهنئة للمؤلف بفتح طرابلس الشام]

وللمملوك جامع هذه السيرة في المعنى:

«عزَّ الله أنصار المقام العالي ولا زال يسره ما يجدّه الله تعالى للإسلام من
فُتُوح، ويُيسره من نُصرة ما زال طرّف الأمل لها الطّرف الطمّوح. ويرزّه عليه من
ضالّة طال إنشادها ولا بارقة كما شاء الله لردّها تلوح.

الملوك تخدم خدمةً يتأزج شذاها / العطر الأنفاس، ويُهدي إليه من
ثنائه ما لا ينضب بقياس. ومن دُعائه ما لم يزل كُفّه به مبسوطاً، ومن ابتهاله ما
عُدّا^(٧) بسبب الإخلاص مَنوطاً.

ويُنهي أننا لما نتحقّقه من ولائه الأكيد، وخُلوص وداده الذي جمع بين
القلوب من قريب بمواصلة إتحافاته ومن بعيد. لا تتجدّد لنا نصرّة إلاّ ونُشجّفه
بأنبائها، ونُشافه بما يتهبّأ من أوائلها وأواخرها وأثنائها. ونحضره بكتبتنا المبسوطة
وإن كان غائباً، ونُشّده بنصّ قلمها الذي ما يزال خاطباً للودّ وبه مُخاطباً. سننّ

(١) في المسالك، وغيره: «كلمة الإيمان».

(٢) لم ترد في المسالك، وغيره.

(٣) في المسالك، وغيره: «التي يعظم بها».

(٤) لم ترد في المسالك، وغيره.

(٥) في المسالك، وغيره: «منها».

(٦) أنظر النصّ في: مسالك الأبصار (المصوّر) ج ٨ ق ١/ ورقة ٦٠ - ٧٠، وكنز الدُّرّ وجامع الغُزّر

لاين أليك (مصور، رقم ٢٥٨٧ تاريخ) ج ٨ ق ٣/ ورقة ٢٥٤ - ٢٥٩، وتذكرة النبيه في سيرة الملك

المنصور وبنه لاين حبيب الحلبي ١/ ١٢٣، والدّرّ المنتخب في تكملة تاريخ حلب، لاين خطيب

الناصرية (مخطوط السليمانية) ج ١/ ورقة ١٧٢ - ١٧٤.

(٧) في الأصل: «غدى».

جرت عليه عادة ذوي الموالات، ومألف إلفه أهل المغلاة في المصافاة. وقد علم الله أننا نميزه على غيره، وإن سار في الترامي إلى موالاتنا كسيره، ونؤثر جانبه، ونيسر مطالبه، كل ذلك أوجب حُسْن تَأْتِيهِ، واقتضاه جميل تَأْتِيهِ. وحكم به ما بين القلوب من الأسلاف، والخواطر الواردة من المصافاة كل صاف. وعلى أثر ذلك فإنه قد علم أننا منذ أَفْضَتْ نَزْبَةُ الْمُلْكِ إلينا، / ١١٤ب/ ونص بها أمير المؤمنين علينا، عاهدنا الله أن لا نقتر عن الجهاد في سبيله طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأن (نزال ندأب أو (نستخلص من))^(١) مغتصب الممالك كل دَيْن. فما مَرَّ وَقْتُ إِلَّا عن نصرٍ مجدّد، وظَفَر عن بيض سيوفنا وحُمْرة نجيعها يتولّد. وغاص يطيع بأول بارقة، ومُشَاقِق مال إلى السلم بما دَهَمَهُ من الأنبياء الصادقة. وعدوّ غزوانه في عُقْرِ داره، واستسلبناه بزمام الظفر من بين أنصاره. وحصن أخذناه من مأمنه، ومسكن منيف أخليناه من سكّنه.

وكانت طرابلُس الشام ضالّة في يد الفرنج منذ زمان، ومغتصبة لم ينهض باسترجاعها قوّة (ذي)^(٢) سلطان، ومَرّت عليها دُهور فدُهور. واستمرت في يد الكُفَر إلى أن أخرجها الله تعالى بعزائمنّا من الظلمات إلى النور. على أن هذا الحصن كان منيعاً وهو في يد بني عمار إلى الغاية والنهاية، وحاصره الفرنج مدة سنتين. واقتضى طول المحاصرة أن بنى الفرنج أمامه حصناً^(٣) أروا به من شدة المنازلة الآية فالآية. واقتضى طول / ١١٥/ سِنِيّ هذه المنازعة، أن خرج ابن عمار صاحبها منها مُستنصراً بملوك الإسلام^(٤)، من طول سوء المُقام بذلك المقام.

(١) عن الهامش.

(٢) عن الهامش.

(٣) هو حصن «صنجبل» (سان جيل) نسبة إلى «ريموند الصنجيلي» (Raymond de Saint - Gilles) بناء سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ هـ. فوق أنقاض حصن إسلامي أسسه القائد الصحابي «سفيان بن مجيب الأزدي» في أوائل عهد الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه. ومات «ريموند» داخل الحصن وهو يحاصر طرابلس في ٤ جمادى الأولى ٤٩٨ هـ. / ١١٠٥ م. ومن هنا تُسبب إليه. «أنظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري - ج ١ / ٤٠٧ وما بعدها» (طبعة ثانية ١٩٨٤ م). وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين (القسم السياسي) ص ٢١١ وما بعدها.

(٤) ابن عمار الذي خرج مستنصراً بالملوك هو «فخر الملك أبو علي عمار بن محمد بن عمار»، وكان خروجه سنة ٥٠١ هـ. ١١٠٨ م. حيث استقبله السلطان السلجوقي في بغداد «محمد بن ملكشاه»، والخليفة العباسي «المستظهر». (أنظر: ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٦٠، والكامل في التاريخ =

واستتاب بها أخاه^(١)، وكان ممروراً^(٢) فصعد إلى أعاليها ونادى العدو، وقد أضجروا، لتسليمها، فبادر وتسلمها، وللوقت تسلمها.

واستمرت بيد الكُفَر إلى أن أتاحتنا الله لارتجاعها، وأتى بنا فأتيناها باستنفاذها من يد الكُفَر وانتزاعها، فرحلنا إليها من كرسي مملكتنا بعساكرنا التي مَحَتْ بياض النهار بكثرة سوادها، (وسواد الليل بنهار بيض سيوفها الهاجرة دون بلوغ العرض موطن أغمادها)^(٣). وكاثرت الرمل في العدد. والشتاء قد زَرَر جيوب الغيوم دون الشمس والقمر، وحجبها عن العَيَان بتكاثفها فلا عين لها ولا أثر. والثلوج قد أظلمت لبياضها المسالك، وقطعت الطرق دون السالك. والأمطار مُنْسِجَةٌ كأفواه القِرْب، والجمال بثقل أحمالها بمرسل القطار قد حَزَّها القَتَب. والسُّيُول متوافية من جبال تلك الأودية، مُتراسلة من تلك الأنديّة. مُنْصَبَةٌ / ١١٥ب/ على الخيام التي لم تكن في دفعها مُجْدِيّة. والرعود ترعد منها الفرائص، والبُرُوق تأتي في خطف الأبصار بالقوارص فالقوارص. لا الشمس تظهر فتنْصَطَلِي جَفَرُهَا، ولا النار تشبُّ فتري مع ما تكنسه من بياض الثلوج حُمَرُهَا. وكل يد مضمومة، إلى جناحها مكفوفة. لا تستطيع أن تروض عَنَان الفَرَس فتزدها عن جماحها. وجُنُودُنَا غير ضجرة من طول هذه الشُّقَّة، مُتَلَذِّذَةٌ بتضاعف الأجر كيف والأجر على قدر المشقَّة. لا يستوفقُهُمْ عن ذلك أمر مَهُول، ولا يثني عَنَانُهُمْ دون بلوغ السَّوْل. ولا يتثَبِّتون في اقتحام مخاضه، ومن اعتاد خوض المنايا فأهون ما تمرُّ به الوُحُول. ونحن في ساقتهِم على عادتنا في اصطلاء حرّ^(٤) الغزوات ويزدها، لا نتحصَّن عنهم في تجشُّم صابها ولا بلذيد شهدها. نلتقأ^(٥) الواردات السماوية والأرضية

= ٤٥٢/١٠، ومرة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٣/ ٢٦٠، ب، وغيره. وتاريخ طرابلس ٤٢٥/١ وما بعدها، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٢١ وما بعدها. وفيها مصادر أخرى.

(١) هكذا في الأصل. والصواب «ابن عمه» وهو: «أبو السناقب محمد بن عبد الله بن عفار» الملقب بشمس التُّلُك. انظر: ذيل تاريخ دمشق ١٦٠، وأخبار مصر لابن ميسر ٤٣/٢، والكامل في التاريخ ٤٥٢/١٠، وانظر: تاريخ طرابلس ٤٢٥/١ وما بعدها، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٢١ وما بعدها، وفيها مصادر أخرى. ووقع في (تاريخ سلاطين المماليك ٢٤٧ «عمه»).

(٢) ممروراً من الجزية أي الجَدَل. ومَرَى يَمْرَى مَرَّيًّا حَقُّه: جعده. وانظر خير خروج طرابلس عن ابن عفار في: ذيل تاريخ دمشق، ومرة الزمان، ونثر الجمان للغنيومي ٢/ ورقة ٣١٨ حيث يصف ابن عم أمير طرابلس بالجنون. وانظر مصادر أخرى في: تاريخ طرابلس، ولبنان من السيادة الفاطمية.

(٣) ما بين القوسين عن الهامش.

(٤) في الأصل: «جر».

(٥) كذا. والصواب: «تلتقى».

بالرُضى والتسليم، ويتساوى في عَزْمنا الصَّبِيحُ والليلُ البهيم. لا يهولنا البُثار،
 /١١٦/ فكيف القطار، ولا العساكر، فكيف الليل العاكر. ولا العدو الطروق،
 فكيف لَمَعانُ البُرُوق. ولا تَرادُفُ النُضُول، فكيف تهادي السيول. ولا تصويب
 الرماح. فكيف هبوب الرياح. وهل ذاك عندنا إلا أهْوَنُ ما يكون، وهل السُّكُونُ
 إلا صَدٌّ في (موطن الحركة)^(١)، ولا شُبْهَةٌ في أَنَّ الحركة ضِدُّ السكون. ولم نَزَلْ
 نَقْذُ أديم الأرض سيراً حتى حَلَلْنَا بساحتها «فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَنَذِرِينَ»^(٢). ونزلنا
 فقطعنا منهمُ الوتين. وحين خَفَقَتْ أعلامُ نصرنا خَفَقَتْ قلوبُهم رُعباً، وعلموا أننا لا
 نثبت دون أن نأخذهم وثباً. وسقط في أيديهم (وخرس)^(٣) من الرُعب لسان
 مُعِيدهم ومُبْدِيهم. وأغلقوا دون أرواحهم من الأسوار أبواباً، وهالهم ما شاهدوه
 وقال: «الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيلاً»^(٤). وخارت قُوَاهُم، وعلموا أن نار اقتداح زُنْد
 سيوف النصر مأواهم. وللو فت أخطأ بهم البلا، وأسأنا لهم الأبتلا. وصبنا عليهم
 عذاب حجارة المجانيق صَبّاً، (وراسلناهم بالسهم مُراسلةً من غَدَى)^(٥) بصت
 دمائهم صَبّاً^(٦). وأزيناهم /١١٦ب/ بشدة عزائمنا كيف يكون اقتلاع القلاع.
 ويتدقيق حيلنا كيف التوصل إلى نزع الأرواح من الأجساد من غير نزاع. وتوَعْنَا
 في الفتك بهم، وبلغنا في تهيشة^(٧) أسباب هلكهم دون مطلبهم. فمن نَقُوبِ
 مترادفة، وجَفَاتِي^(٨) تتبع الرادفة منها الرادفة، وصيحات منها قلوبُهم يومئذٍ واجفة،
 وأمطرنا عليهم من المجانيق مطر السوء، وأثَرْنَا عليهم منها أقبَح نوال (من
 النوء)^(٩). وأصرنا عاليها سافلها، وبازعها أفلها، وطولها عزضها، وسماها أرضها،

(١) عن الهامش.

(٢) سورة الصافات، الآية ١٧٧.

(٣) عن الهامش.

(٤) سورة النبأ: الآية ٤٠.

(٥) كذا. والصواب: «غداة».

(٦) ما بين القوسين عن الهامش.

(٧) في الأصل: «تهياة».

(٨) الجفاتي: مُفَرَّدُهَا: جفت. لفظ فارسي بمعنى زوج أو اثنان متشابهان. أطلق على نوع من أسلحة
 الصيد بسيطائتين، ويُقصد به هنا فارسان متشابهان من حيث الشكل والغدة التي يحملانها، على
 فرسين متشابهين أيضاً، كانا يركبان بين يدي الخليفة في أوقات مخصوصة، حذراً من الوقوع في
 بعض الخُفَر أو الكمائن، واستمر هذا التقليد في العصرين الأيوبي والمملوكي. (صبح الأعشى ٢/
 ١٣٤، حقائق الباسمين ٦٥، معجم الألقاب ١٢٤).

(٩) عن الهامش.

وأخذنا(ها)^(١) أخذ عزيز مقتدر، وملّكتنا ملك حازم مبتدر. وتسلمناها عن يد
وهم صاغرون، واستعدناها بعد الكفر إلى الإيمان وهم راغمون.

وكان يومها و (هو)^(٢) يوم [الثلاثاء]^(٣) (.....)^(٤) من سنة ٤
ربيع ٢ (.....)^(٥) يوماً مشهوداً، ووقتاً من أجل أوقات النصر معدوداً. ولو شاهد
الملك حُسن صُنْعنا في استئصالها، وقوة بأسنا في نضالها. وكيف قبّلت أبراجها
بين يدينا الثرى، وكيف مسخنا /١١٧/ من بها بالسيف حتى غدّوا ولا أذن تسمع
ولا عين ترى. وكيف غلّت صُفْرُ بيارقنا^(٦) فوق أسوارها خلقاً بخلوها من بني
الأصفر^(٧)، وكيف أعلن بكلمة الأذان عَوْض الناقوس بقول «الله أكبر». وسره أن
في أوليائه من يجاهد عن دين الله بالمال والنفس، ومن يُعيد إلى دين الإسلام في
اليوم ما كان في الكفر بالأمس. ولا مدّهم بذخائره التي لا تغني عنه إن لم يمدّ بها
أنصار الله شيئاً، ولا يستظلّ بسيف الله المجردة لكبت أعدائه قِيّاً. على أنا رمينا عنه
إذ حضرنا وغاب سهاماً فسهاماً. وذكرناه في موافقنا التي بلغت مُراماً^(٨) من أعداء
الله فمراماً.

وكتابتنا هذا، وقد نُظمت هذه القلعة في سلك فتوحنا المتعدّد، وضُمّت إلى
مُسْتَرَجعاتنا من يد الكُفر التي بها نتنك وتتعبد. وقد مُلئت الدنيا ببشائر محلّق^(٩)
أعلامنا، واستبشرت الأمة بقوة اعترامنا. وستعقب هذه الخدمة بأختها في النصر
والظفر، وتتلوها /١١٧ب/ بسور النصر البادية له في أحسن الصّور.

والله تعالى يُعيننا على مُبْهَجات تقرب بها إلى الله تعالى وإليه، ونفُض بها
أحسن القُصص عليه. بَمَنِّه وكرَمِه^(١٠)

(١) ما بين القوسين كُتبت فوق السطر.

(٢) كُتبت فوق السطر.

(٣) إضافة على الأصل.

(٤) في الأصل بياض مقدار أربع أو خمس كلمات. وقد سبق أن ذكرت أن يوم فتح طرابلس كان يوم
الثلاثاء ٤ من شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٨ هـ.

(٥) بياض مقدار كلمة واحدة.

(٦) إشارة واضحة إلى أن لون العلم عند المماليك كان أصفر.

(٧) بنو الأصفر: الإفرنج.

(٨) في الأصل كتب بعدها: «بنايها بها» ثم شطب فوقها.

(٩) في الأصل: «مخلّق» بالخاء المعجمة.

(١٠) لم يرد نص المؤلف في أي مصدرٍ آخر. ومن هنا تأتي أهمية هذا النص، وبالتالي أهمية الكتاب.

ذكر أمر مهادنة عكا

كانت هدنة عكا المذكورة أيضاً قد انقضت، وعُهودُ مؤادعتها قد انتقضت. وسينتها قد تولت، وأيدي مجاورها لكفّ عدوان أهلها قد تولت. فحُصروا من غير حصار، وسلم الله من غير مهاجرين إليها بأنصار.

ولما استحکم أمرُ مولانا السلطان واستفحل، ورؤى بماء سيفه ما كان من المهابة السلطانية قد أمحل. وتحقق الفرنج بعكا أنهم لا قرار لهم إلا بالمهادنة السلطانية، وأنه لا هدوء إلا بالمُوادعة التي تقارن معها العملُ النّية. فبادر المقدمون بها، وهم «إفرير كليام ديباجوك»^(١) مقدّم /١١٨/ الذبويّة^(٢)، وإفرير كليام جوان^(٣) دُمُونُفُرت^(٤) مقدّم بيت الاستار، وإفرير كليام الرُن^(٥) (مقدّم بيت استبار الأمن)^(٦)، والكُونُدُ رُوجير^(٧) نائب المملكة بها^(٨)، إلى إنفاذ رُسُلهم إلى أبواب مولانا السلطان بالتقادم النفيسة، على هِمَمهم الخسيسة، وبذلوا من التضرّع والسؤال، ونفيس الأموال، ما لا عنه مزيد، وتضرّعوا لسلطانه تضرّع العبيد. ورأى مولانا السلطان أنّ مهادنتهم أولى، وأخذ رأي أمراء مشوره، فرأوا أنّ

(١) في السلوك ج ٣ / ٩٨٦ «حضرة المقدّم عبد الجليل (!) إفرير كليام ديباجوك Guillaume de Beaujeu». وفي الأصل: «ديباحول»، وفي تشریف الأيام ٣٤ بالحاشية (١) «ديباحول» والمثبت يتفق مع النص في موسوعة مؤرخي الحروب الصليبية: Quatremère - OP. Cit II. I PP. - 179 et Séq.

(٢) الذبويّة = الذّاوية: لفظ أطلقه المؤرخون المسلمون على جمعية فرسان المعبد Templiers وقد أسسها «هيغ دي بينز Hugh de payns» سنة ١١١٩م. لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس. ثم تحولت مع جمعية فرسان الهستالتيين إلى هيئة حربية دينية فكان لوزسانهما وفرسانهما شأن كبير في تاريخ الإمارات الصليبية بالشام. (السلوك ١ ق ٦٨/١ حاشية ٤) وقد عرّفهم باقوت بقوله: قوم من الفرنج حبسوا أنفسهم على حرب المسلمين ومنعواها التكاثر. (المشرك ١٣٦).

(٣) في الأصل: «حوان» بالحاء المهملة.

(٤) لم يرد ذكره في السلوك، وصحح الأعشى، وغيره.

(٥) هكذا في الأصل. وفي السلوك، وصحح الأعشى. وغيره: «نيكول إلورن Nicholas le Lorgne». أنظر: King - Op. Cit. P. XV.

(٦) عن الهامش.

(٧) لم يرد في السلوك وغيره. و «كوت» = كُوت Comtè بمعنى أمير.

(٨) في صحیح الأعشى، والسلوك، وتاريخ ابن الفرات: «وهم: السنجال أود كفيل المملكة بعكا، وحضرة المقدّم عبد الجليل (!) إفرير كليام ديباجوك مقدّم بيت الذبويّة، والمقدّم إفرير نيكول للورن مقدّم بيت الاستار، والمرشان الأجلّ إفرير كورات نائب مقدّم بيت الاستار الأمن».

المصلحة في (ذلك، وقال)^(١): لأن هذه عكاً فُتدق. تتردد إليه تجارنا، وتحضر منه ما يتسع معه إيثارنا. هذا مع ما أورده من وجوه النفع في الصلح معهم (مصلحة أم لا)^(٢). فرأوا المصلحة فيما رآه. وأحمدوا وارد تضرعهم بتبليغ أمهم عاقبة يسراه.

وحُررت الهدنة معهم على نَسق الهدنة الظاهرية، بعد مُجاذبةٍ مثا لهم، وموافقةٍ أيسوا مع السلامة بما منانا^(٣) لهم، واستقر أمرها، وعادت إليهم رُسُلهم ورُسُلنا لتحليف مقدّميههم المذكورين / ١١٨ ب/ على ما استقر، فبادروا إلى الطاعة، وأظهر كل منهم الوفا، وأظن أنه أسر^(٤).

هذه صورة الحال فيها.

ذِكْرُ سُلْطَنَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ وَلَدِهِ

الملك الصالح علاء الدين

ولمّا فرغ مولانا السلطان ممّا ذكرناه من المهمّ المقدّم، وأمن غائلة ما كان من الهمّ قد أظلم، وصفي^(٥) له الوقت، وحلّ بمن تطاول إلى ما لا يستحقّه المقت، ولم يبق قُدّامه عدوّ منافس، ولا خصمٌ يكون به وجهُ أمله المتيسّم عابس، رأى أن يشدّ عُضْدَهُ بعضُدّه، وأن يورده في كفالة المسلمين على مورده، وأن يتكثّر بإعانتته، وإذا كان المرء كبير^(٦) بأخيه فأجدر أن يكون كبيراً بولده.

وهو المقرّ العالي، المولوي، السلطاني، الملكي، الصالحي، العلائي، خلد الله دولته ودولة أبيه خلود^(٧) / ١١٩/ الأيام، وعضدهما على المعاوضة في مصلحة الإسلام.

(١) عن الهامش.

(٢) ما بين القوسين شطب عليه المؤلف في الأصل.

(٣) هكذا في الأصل. والمرجح أن الصواب: «بما مثا لهم».

(٤) انعمت الهدنة يوم الخميس ٥ ربيع الأول ٦٨٢ هـ. / ١٢٨٣ م. أنظر نصّها في: تشریف الأيام والعصور ٣٤ - ٤٣، وضبح الأعشى ١٤ / ٥٢ - ٥٥، والسلوك ج ١ ق ٣ / ٩٨٥ - ٩٩٥، وتاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات (مخطوطة فيينا) المصوّرة بدار الكتب المصرية، رقم ٣٢٩٧ تاريخ - ج ١٤ / ورقة ٨٨ - ٩٥، وكتابتنا: لبنان من السقوط بيد الصليبيين (الملحق ٣٦).

. Quatremère - OP. Cit. II. I. PP. 179 et Seq

(٥) كذا: والصواب: «وصفا».

(٦) كذا. والصواب: «كبيراً».

(٧) تكرر في آخر الورقة ١١٨ وأول الورقة ١١٩.

ولما قوي ذلك في عزم مولانا السلطان، ورأى أنه من تمام الإحسان، عهد إليه بما عهد إليه أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد^(١) من السلطنة المنيفة، والمملكة التي بها أمائر السعادة مُطيفة. وفوض له كلُّ ما هو مفوض إليه من حلِّ وعقد، ومؤجل ونقد، وأوامر ونواهي، وحُكم وإحكام، ونقض وإبرام، وتولية وعزل، وجد ولا هزل، فاقول^(٢) وهزل. وجعل له أن يكتب الكتائب، ويُنجز المطالب، ويُعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويُشرف المراسيم بقلمه، ويُشتف الأسماع بمُنتع كلمه. كلُّ ذلك حسبما فوضه إليه أمير المؤمنين. وجعل له تفويضه، وفرضه له علماً منه أنه يُغفم المولى في أداء كلِّ سُنة وفريضة. وقَرَن اسمه باسمه واسم أمير المؤمنين على رؤوس المنابر، ونوّه من قدره إذ جعله له أعظم مُوازي.

وجلس مولانا السلطان / ١١٩ب/ بالإيوان الكبير المجاور لجامع القلعة للتحليف لولده، وجلستُ بين يديه للتحليف، فلم يبق من لا حَلْف^(٣). وظنَّ مولانا السلطان أن ولده هذا يكون له خَلْفاً فكان هو لولده الخَلْف.

ذكر اخترام الأيام بمولانا السلطان الملك الصالح هذا

ولما استقرَّ أمر سلطنته، ودانت أيام مملكته، وكان لوالده مولانا السلطان

(١) نوّلى الخلافة أربعين سنة، وتوفي سنة ٧٠١ هـ. وهو أول خليفة عباسي يُدفن في مصر. أنظر عنه في: البداية والنهاية ١٣/ ٢٣٤، ودون الإسلام ٢/ ١٦٧، والعبر ٥/ ٢٦٣، والوافي بالوفيات ٦/ ٣١٧ رقم ٢٨١٩، والجواهر الثمين ١/ ٢٢٩، ٢٣٠، والدرر الكامنة ١/ ١١٩، ١٢٠ رقم ٣٣٢، والدرر الفاخر ٨٧، ٧٩، والمنهل الصافي ٢/ ٧٩، ٨٠ رقم ٢٥٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ١١٨، والدليل الشافي ١/ ٧٣ رقم ٢٥١، والسلوك ج ١ في ٣/ ٩١٩، ودرة الأسلاك ١/ ورقة ١٥٥، وزبدة الفكرة (مخطوط) ٩/ ورقة ٢٣٠ ب، والتحفة السلوكية ١٦٢، وعقد الجمان (٤) ١٨٨ - ١٩٠، وتاريخ الخلفاء ٥١١ وما بعدها، وتاريخ ابن سباط ٢/ ٥٧٥، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٩٣، ومراة الجنان ٤/ ٢٣٥، وشذرات الذهب ٦/ ٢، ٣، ومآثر الإنافة ٢/ ١١٦ - ١١٨، وتاريخ الأزمنة ٢٨٣، والروض الزاهر ١٤١ - ١٤٨، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢١٥، وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٨٦ - ١٩٢، والنزهة السنية ١٢٢، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٨٣، ٤١٥، وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٦٦ و ٢٨٧، وبذائع الزهور ج ١ في ١/ ٣٢٠، وأخبار الدول ٢/ ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٢) الصواب: «فقول».

(٣) بويح الصالح علاء الدين علي بن قلاوون بولاية العهد في شهر رجب، وقيل في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٦٧٩ هـ. أنظر: التحفة السلوكية ٩٥، ونهاية الأرب ٣١/ ٦٨، والسلوك ج ١ في ٢/ ٨٦٩، وتاريخ ابن الغفرات ٧/ ١٨٦، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٩٢، والنهج السديد ٣٢٠، والدرة الزكية ٢٣٨، والجواهر الثمين ٢/ ٩٤.

نِعَمَ الغُور، وأصبح وأمسى في حَفَدَةِ حَفَظَتِهِ في غَايَةِ الصُّور، ورأى فيه من الكفاية ما أَقْرَ عَيْنَهُ، وقضى من الأمل دَيْتَهُ. فلم يكن بأسرع من أن جاءت منيئته، وخابت فيه أمنيته، فمرض حتى لا يرجونه، وأخذ من مأمنه وغوائل الأيام لم تكن بالمأمونه. وحصل لمولانا السلطان عليه من القلق ما أعدم النوم وأوجد الأرق، وكانت مرضته دوزنطارية كبدية، واقتضى الطب أن يعالج بشراب الياقوت الأحمر. /١٢٠/ فَمِنْ حَدَّرَ مولانا السلطان عليه نزع من يده خاتماً، وأمرهم بأخذ فضه، وهو ياقوت بهرمان مسح المعدن. قيل إن قيمته عشرة آلاف ديناراً غنياً، فصَحْنٌ^(١) للوقت، ولا والله ما أغنى.

وَإِذَا السَّيِّئَةُ انشَبَّتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتْ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
ولم يزل مولانا السلطان يفديه، بالمُعَوَّذَاتِ يرقيه، ويُنْذِي عليه من الهلع ما لا يستنكف أن يُعِيدَهُ وَيُنْذِيهِ. فلَمَّا فَرَطَ فِيهِ مَا فَرَطَ، وكان له - رحمه الله - نِعَمُ الفَرَطِ. سكن إلى الصبر والجلد، واحتسب في جنب الله تعالى ما رَزَقَهُ فِي هَذَا الْوَلَدِ.
وما أحقُّه بما قيل:

إِنَّمَا أَجْزَعُ مِمَّا أَبْقَى فِإِذَا حَلَّ فَمَالِي وَالْجَزَعُ
وخرج مولانا السلطان من عنده مودعاً، وَعَدَى^(٢) لَذَخِيرَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ مُودِعاً. ولم يَلِمَ حتى ولا يذكره جهراً، ولا يفكره إلا بالدعاء له والترحُّم سراً.
/١٢٠ب/ وَالْحُزْنَ لِلْحُودِ لَيْسَ الْحُزْنَ لِلرَّجُلِ

ولم يصل إلى قبره، ولا شُبْهَةً فِي أَنَّ اللَّهَ بِالضَّبِيرِ عَنْهُ جَعَلَ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ أَمْرِهِ. وَذُفِنَ بِخُطِّ مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفْسِهِ. واحتفلت ثَوَابِ مولانا السلطان بإقامة عزائه، وحضته من البرِّ بوافر أجزائه^(٣).

(١) في الأصل: «فصحى» بالحاء المهملة، والإثنان غلط. والصواب: «فسخن».

(٢) الصواب: «وغدا».

(٣) توفي الصالح علاء الدين علي بن قلاوون يوم الجمعة ٤ شعبان ٦٨٧ هـ. أنظر عنه في: المختصر في أخبار البشر ٢٢/٤، والمختار من تاريخ ابن الجوزي ٣٢٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٣٤، والبدایة والنهایة ٣١٢/١٣، وعيون التواريخ ٤٢٨/٢١، وتذكرة النبيه ١١٥/١، ودرة الأسلاك ١/ ورقة ٨١، ٨٢، والجوهر النمين ٩٨/٢. والذرة الزكية ٢٨٢، والتحفة المملوكية ١١٩، ونهاية الأرب ٣١/١٥٩، والنجوم الزاهرة ٧/٣٢٠، وعقد الجمان (٢) ٣٧٧، ٣٧٨، وتاريخ ابن سباط ١/٤٩٠، وتاريخ ابن القرات ٨/٧٠.

وقلت فيه مرثياً:

حقاً أقول فلن يُرَدَّ مقالي
وأجود بالذم المصون فيغتدي
وأخمش الخذين لظماً مؤلماً
وأنوح بالإعلان وهو محرم
وأشق ممّا شقّ أثوابي وإنّ
أوما علاء الذين أضحي مُردعاً
مستوطناً دار الفناء برغمنا
يا قُبره أصبح سامي رتبة
/١٢١/ وخوئث منه فِلذة الكبد الذي
أعْلِيّ قد غادرَنا في مطلق
ما كان يخطر فقلّك الموهي القوى
كلاً، ولا أن يغتدي بك عامراً
ومنابر أضحي بها اسمك باسم
وصواهل كانت إذا وأقْبَنَها
ودوابل كانت تقيك وحشْبُها
وسيوف نصركم تجرّد نصلها
وقيمي نبل كم رمت أعداكُم
أعزر علينا أن تكون مُرثياً
أو أن نفوه بذكر موتك إنّه
صبغت حداداً فيك أقلام غدت
وبغم وسودت الدوي كآبة
/١٢١ب/ لو تُفْتَدَى لَفَتَكَ حتى بالذي
ولكأنت الأموال فيك حقيرة
لو كان يدفع عنك جيش أسرع

مّمّاهي وأخْيَبَةَ الآمال
بتوأثر الهملان كالسلسال
بيمين ندب مُسمع وشمال
إلا على فُقِّد العزيز الغالي
ألفى بغير حُلَى التفجّع حالي
لخداً رهين جنادلٍ ورمالٍ
متفرداً عن صَحْبِه والآل
أو ما أقام بك المقام العالي
رُتبي بدنت تعزّز ودلالٍ
لمّا سكنت بموطن الأرحالٍ
في خاطر ممّا ولا في بالٍ
بطن الضريح ودنت مُلكك خالٍ
والدك المُفْدَى بالنفائس تالي
أزحّت أعنتها من الإجلالٍ
بعد الظلال تطاعن البضالٍ
لدفاعه عنكم بيوم نضالٍ
أبداً^(١) الزمان بصائبات نبالي
بعد المديح بصادق الأقوالٍ
ليسوء في التفصيل والإجمالٍ
تبكي بدمع مدادها الهطالٍ
أسفاً لِقَوْت العزّ والإقبالٍ
ما أن يجود به ذوو الإجلالٍ
هنيئات ما الأرواح كالأموالٍ
لعلاء قدرك شامخات عوالٍ

(١) الصواب: أبدى.

أبدى عليك تجلُّداً ملك الورى
وغدا وقد وافاه نعيمك ثابتاً
ملك الزمان ومن له شرف بما
المالك المنصور والملك الذي
وعلا بسؤدده على من كان قد
قد مهد المُلْكُ العقيم بهيبة
سارت مناقبه مسير الشمس أو
يُعطي على الفور المؤمل رفده
ويجود بالبدر النفيسة منعماً
من دون ما أبداه عند مُصابه
/١٢٢/ غفراً لقد يعلو ويغلو قيمة
ولسوف يُثمر أصله والأصل إن
لا زال عالي المُلْكُ مرفوع اللوى^(١)

وليتلك عادة جلّة الأبطال
ولتكن بداً ثبتاً على الأهوال
أوتيه من نصر على الإقبال
وافاً^(٢) فحلاً^(٣) عاطل الأحوال
حاز الممالك في الزمان الخالي
راعت وما راعت ذوي الإهمال
عادت بشهرتها من الأمثال
حاشاه حاشاه من الإهمال
لم يرض في الإعطاء بالإقلال
في ثبت قُعدده أبو الأشبال
عن أن يُقاس ما سُء بمثال
يبقى أفاد الثمر منه توالي
ما اشتاق نبئت للحيا الهطال

ذكر ما أثره مولانا السلطان من المدرسة

والبيمارستان بالقاهرة المحروسة

ولما حاز الله لمولانا السلطان ممالك البلاد، واستقرّ خاطره من جهة مُناوأة
كلّ حاضِرٍ وباد. وأيده بنصره، وقاد إليه الأعداء بأزمة قهره. أبرز إلى الوجود ما كان
له من خيرٍ قد نوى، وأقبل بوجهه على ما كان في خاطره وما نكب عنه ولا لوى.
وهو أنه كان قد نذر على نفسه بناء بيمارستان^(٤) بالقاهرة المحروسة، وأن

(١) الصواب: «وافى».

(٢) الصواب: «فحلى».

(٣) الصواب: «اللوى».

(٤) يقال: بيمارستان - كما هنا - وبيمرستان، ومارستان، ومرستان. وهو لفظ فارسي مركّب من «بمار»
ومعناه: مرض. و«ستان» ومعناه: محلّ. فيكون: محلّ المرض أو مكان التمريض، وهو
المستشفى. ويقال له بالتركية «خسته خانه» أي محلّ المرضى. ويُطلق البيمارستان على المحلّ
المُعَدّ لإقامة المجانين أيضاً. (محيط المحيط).

وهذا البيمارستان بخطّ بين القصرين من القاهرة. كان قاعة ست المُلْك ابنة العزيز بالله نزار بن المُعِزّ
لدين الله أبي تميم سعد. ثم عُرف بدار الأمير فخر الدين جهاركس بعد زوال الدولة الفاطمية، وبادار =

يُبرزه في صورة من الحُسْنِ تُضْرَبُ بها الأمثال، / ١٢٢ب/ وتقل لها الأمثال. فتقدم إلى مملوكه ومدبر دولته الأمير عَلم الدين سَنَجَر الشجاعِي، وكان ذا عزم قوي، وحزم هو بكل مأمول مَلِيّ، وهيبة رائعة، ومخافة بين أرباب الدواوين ذائعة شائعة. فَعَمَدَ إلى دارِ تجري في أملاك بيت المال المعمور، تُعرف بمسكن دار القُطَيْبَةِ، وقد خَلَّتْ بموت من كان بها من دُرَيَّة الملوكة. وهي دار كبيرة وسيدة، من حقوق القصر البحري الذي اختطه القائد جوهر^(١) للمُعِز أبي تميم مَعَدَّ^(٢).

= موسك. ثم عُرف بالملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وصار يقال لها: الدار القطبية، ولم تزل بيد ذريته إلى أن أخذها الملك المنصور قلاوون من مؤسسة خاتون ابنة الملك العادل المعروفة بالقُطَيْبَةِ، وغُوْضَتْ عن ذلك قصر الزُمُرْد برحية باب العيد في ١٨ ربيع الأول سنة ٦٨٢ هـ. بسفارة الأمير علم الدين سنجر الشجاعِي مدبر الممالك، ورسم بعمارتهَا مارستاناً وقبة ومدرسة، فتولّى الشجاعِي أمر العمارة وأظهر من الاهتمام والاحتفال ما لم يُسَمَّع بمثله حتى تَمَّ الفرض في أسرع مدة وهي أحد عشر شهراً وأيام. وكان ذُرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع. (المواعظ والاعتبار ٤٠٦/٢).

(١) هو أبو الحسن جوهر الضُّفْلِي القائد الرومي المعروف بالكاتب مولى المُعِز بالله الفاطمي. توفي سنة ٣٨١ هـ. أنظر عنه في: الولاة والقضاة ٢٩٧، ٢٩٨، ٥٤٧، ٥٨٤، وتاريخ الأنطاكي (بتحقيقنا) - فهرس الأعلام - ص ٤٧٢، ووفيات المصريين ٣٣ رقم ١٧٠، ونشوار المحاضرة ١٧١/٤، ومعجم البلدان ٢٢/٤، والمغرب في حُلَى المغرب ١٠١ - ١٠٦، وذيل تاريخ دمشق ١، ٢، ١٢، ٣١٠، ٣١١، والكامل في التاريخ ٨/٨٥٩، ٩/٩٠، ووفيات الأعيان ٣/٣٧٥ - ٣٨٠ رقم ١٤٥، وتلخيص مجمع الآداب ٣/٥٦١، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/٤١٦، والعبر ٣/١٦، ودول الإسلام ١/٢٣٢، والإشارة إلى وفيات الأعيان ١٩٠، والإعلام بوفيات الأعلام ١٦١، وسير أعلام النبلاء ١/٤٦٧، ٤٦٨، رقم ٣٤٢، وتاريخ الإسلام (٣٨١ - ٤٠٠ هـ) - بتحقيقنا ص ٣٠ - ٣٢، والذرة المضببة ١٢٠ - ١٢٥ و ١٣٧ - ١٤٠ و ١٤٢ - ١٤٥ و ١٧٧ - ١٧٩، وغيرها، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٢٨، وتاريخ ابن الوردي ١/٣١١، ومرآة الجنان ٣/٤١١، والوافي بالوفيات ١١/٢٢٤ - ٢٢٦ رقم ٣٢٠، واناظر الحنفيا ١/٢٧٢، والمقفى الكبير ٣/٨٣ - ١١١ رقم ١١٠٢، وعبون الأخبار وفنون الآثار ٦٠٤، والبداية والنهاية ١١/٣٢٠، والنجوم الزاهرة ٤/٢٨ - ٥٤، وحسن المحاضرة ١/٥٩٩ و ٢/٢٠١، وشذرات الذهب ٣/٩٨، ٩٩، وبدائع الزهور ج ١ في ١٨٩/١، وغيره.

(٢) هو أبو تميم مَعَدَّ المُعِز لدين الله الغُيَّيْدِي الفاطمي، أوّل من دخل مصر من الخلفاء الفاطميين. توفي سنة ٣٦٥ هـ. أنظر عنه في: تكملة تاريخ الطبري ٢٢٥. والمتنظم ٧/٨٢، والحلة السيرة ٢/٣٩١ - ٣٩٣، وذيل تاريخ دمشق ١٤، ونهاية الأرب ٢٣/٢٠٣، والبيان المغرب ١/٢٢١، ووفيات الأعيان ٥/٢٢٤ - ٢٢٩، والمغرب في حُلَى المغرب ٣٨، ٣٩، والذرة المضببة ١٧٣، وتاريخ العظمي (بتحقيق زعرور) ٣٠٧، ومختصر تاريخ الدول ٢٧١ والمختصر في أخبار البشر ٢/١١٥، ١١٦، وتاريخ الأنطاكي ١٦٣، ١٦٤، والعبر ٢/٣٣٩، ودول الإسلام ١/٢٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٥٩ - ١٦٧، وتاريخ الإسلام (٣٥١ - ٣٨٠ هـ) - ص ٣٤٨ - ٣٥١، ومرآة الجنان ٢/٣٨٣ - ٣٨٥، وتاريخ ابن الوردي ١/٢٩٩، والكامل في التاريخ ٨/٤٩٨، وتاريخ ابن خلدون ٤/٤٥ - ٥١، وضبح الأعشى ٣/٤٢٦، والبداية والنهاية ١١/٢٨٣، ٢٨٤، وعبون الأخبار ٢٠٣، واناظر =

فأنشأه بيمارستاناً حَسَنَ البناء، طَيَّبَ القِواءَ، بهج المنظر، جميل المعبر، ذا أوابين مُتسعة، وأفانين زخرفات متنوعة، ومياه متدفقة، وعمائر متأنقة.

ورُتّب له من الأوقاف الجَلّ بمصر والشام، ما لا يُسامى ولا يُسام. تقدير ألف ألف درهم في السنة^(١).

ولما فرغ نزل مولانا السلطان بنفسه إليه، وجلس بصدر إيوانه القبلي في أمراء دولته، وخُمة مملكته، وأحضر إليه من شرابه / ١٢٣ / قَدْخُ فأمسكه بيده، وقال - والقُضاة الأربع^(٢) حاضرون عند شربه -: اشهدوا عليّ أنّي وقفت هذا البيمارستانَ على من هو مثلي إلى من دوني^(٣). وأفاض ملابس الخُلَع على مباشره، ونهض إلى المدرسة التي تليه.

ذِكْر أمر هذه المدرسة وما أنفق في بنائها

هذه المدرسة من زيادات الأمير عَلم الدين الشّجاعي لم يكن مولانا السلطانُ أمر بها، ولا أراد غير بيمارستانٍ، واكتساب ثوبته والتعلّق بسببها.

ولما خرج مولانا السلطان من البيمارستان كاد أن لا يدخلها إعراضاً عنها وفراغاً منها، ثم دخلها بعد أن وأن، وما كلّ سرّ يحسُن به العَلَن. وجلس بمحارباها، وجلس مدرّسها قاضي القضاة شهاب الدين ابن الحُوَني^(٤)، (وشرعوا في البحث)^(٥).

١ الحنفا ٢٢٩/١، ومآثر الإنافة ٣١٥/١، والمواعظ والاعتبار ٣٥١/١ - ٣٥٤ - ٢٢٢/٢، والنجوم الزاهرة ٦٩/٤ - ٧٩، وشذرات الذهب ٥٢/٣، وبدائع الزهور ج ١ في ٤٥/١ - ٤٨، وتاريخ الخلفاء ٤٠٧، وتاريخ الأزمنة ٧٠، ٧١، وأخبار الدول (طبعة حجر) ١٩٠، والإعلام بوفيات الأعلام ١٥٥، والإشارة إلى وفيات الأعيان ١٨١، والجواهر الثمين ٢٤٧/١ - ٢٤٩، والمجالس والسايرات (في مواضع مختلفة)، وأخبار مصر لابن ميسر ١٥٩ - ١٦٨، والمؤنس ٦٣ - ٦٦.

(١) أنظر عن بناء البيمارستان في: تشریف الأيام والمصور ٥٥ - ٥٧، والتحفة الملوكية ١١١، ونهاية الأرب ٣١/١٠٥ - ١١٠، وتاريخ ابن الفرات ٧/٢٧٨، والمواعظ والاعتبار ٢/٤٠٦، والنجوم الزاهرة ٢/٣٢٦، والسلوك ج ١ في ٣/٧١٦، ٧١٧، ٧٢٥.

(٢) الصواب: الأربععة.

(٣) نهاية الأرب ٣١/١٠٦، ١٠٧.

(٤) هو محمد بن أحمد بن الخليل بن سعادة المعروف بابن الحُوَني، نسبة إلى حُوَني، بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وبعدها ياء تحتية، وهي مدينة من أذربيجان أي إقليم تبريز. توفي سنة ٦٩٣ هـ. (السلوك ج ١ في ٣/٨٠٤، شذرات الذهب ٥/٤٢٣ وفيه «أحمد»، والبداية والنهاية ١٣/٣٣٧، وغيره).

(٥) عن الهامش.

وانتقلت قضية غريبة، وهي أَنَّ الآية التي / ١٢٣ب/ اتفق بعثهم في تفسيرها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَغْلَمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١). فقال قاضي القضاة: اختلف العلماء في الوقف في هذه الآية. فقال قوم: الوقف على «الله». وقال قوم: لا يجوز الوقف على «الله»^(٢). فقام مولانا السلطان وقال: ليس^(٣) ما يجوز الوقف على «الله»؟ كيف تُخرجونا بلا أجر؟

واعتمد بِرُكَيْتِهِ وَغُثْمِيَّتِهِ أَنَّ الْبَحْثَ فِي مَعْنَى مَا وَقَفَ بِهِذِهِ الْبُقْعَةُ. فخرج إلى القبة التي أعدها لمُواراته. وشحنها بِمُحْكَمِ آيَاتِهِ^(٤).

ولسان الحال يُنشد:

فَهَيْئَتُهَا دَارًا وبطن ضريحها خالي

وفي إيوانها لك مجلس، وهي قُبَّةٌ قد علا رواقُها، وتلالاً إشراقُها. وحُسْنُ رُخَامُها، وكَثْرُ من القراء والذاكرين الله زحامها. وتوفّر رزقها، وتعين حقها. وتألّق بالمشروبات أبقها.

والذي تُنقِ في هذه / ١٢٤/ العمارة الْوَقْفُ من الدنانير ما لا تحضره الأقلام، ولا تكاد تتخطى إليه الأوهام. والي أنفق في عمارتها من السعادة السلطانية أَنَّ الدار التي عُمرت مدرسة هي من جملة أذر القصر المذكور. وكان يسكنها أمير يُقال له قُراسنقر المُعْزِي، وحمله الطمع على أن تزوّج جارية من جوار^(٥) شَجَر الدُر^(٦) سرية الملك الصالح نجم الدين أيوب^(٧)، ولد السلطان الملك الكامل، تغمّدهما الله برحمته. وشكر عن سالفنا وأنفنا صدقة كل منهما وعوضهما خير جنته.

وكانت هذه الجارية خزان دارة شجر الدُر. ولَمَّا قُتِلَتْ وَرُمِيَتْ من سور

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) كَرَّرَ الْمُؤَلِّفُ فِي الْأَصْلِ سَهْوًا: «وقال قوم لا يجوز الوقف على الله» وتنبه بعد ذلك فنُشِطَ عليه.

(٣) هكذا وهو لفظ عامّي، بمعنى: لا شيء. وبالعامية المصرية: «ليه».

(٤) نهاية الأرب ١١٢/٣١، تاريخ ابن الفرات. ١/٨.

(٥) الصواب: «جوازي».

(٦) قُتِلَتْ شَجَر الدُر في سنة ٦٥٥ هـ. أنظر عنها في: النور اللائع لابن القيسراني - بتحقيقنا - ص ٥٦، وتاريخ ابن سباط ١/٣٧٢ وفيه مصادر كثيرة لترجمتها.

(٧) توفي الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في سنة ٦٤٧ هـ. أنظر عنه في:

تاريخ ابن سباط ١/٣٤٥، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

القلعة انفصلت هذه الجارية بجملة من مالها، وجابت جيداً^(١) من توفر خاليتها، فحاولها المبرزي هذا فيما طمع فيه بزواجها، فأنكرته وأبدت العجب العجيب من احتجاجها. فلما خافت أن يهاجمها فيأخذ مالها، ولا يحسن مألها، دفنت ما معها وماتت، ومات / ١٢٤ب/ وانقضت دون ذلك سنوات فسنوات.

فلما شرع في هدم هذه الدار لبنائها مدرسة ظفر أحد القعلة بحق أشنان مريض، فخبأه في عبه، وأخفاه عن ضجه.

ثم أخذوا في الحفر، فطلع لهم قمقم كبير مملوء من الذهب الإبريز، فلم يمكن إخفاؤه لكبره. وسار الأمر إلى الأمير علم الدين الشجاعى، فأحضره وفك ختمه وختم الحق الأشنان^(٢). فأما القمقم فهو مملوء ذهباً. وأما الحق الأشنان فإنه مملوء جواهر. وللوقت أحضر الأمير علم الدين الجوهريّة وقوم. فأخبرني من لفظه أن قيمة ما وجد مقدار ما غرم على هذه العمارة من البيمارستان والقبة المقدسة والمدرسة مرتين. وهذا إنما هو بسعادة مولانا السلطان، وحسن العوض الذي هو لعوض الآخرة عنوان وآتي عنوان.

ذكر مظلمة عظيمة أزالها مولانا السلطان

/ ١٢٥ / كان الناس في شدة شديدة من أمر ما لم يفرضه الله تعالى من زكاة يقال لها زكاة الدولة^(٣)، أفقرت التجار، وعفت وما عفت الآثار، وخربت الديار. وهي زكاة مقررة تؤخذ في كل سنة من غير وجوب، ولا متجر به التاجر يؤب^(٤). وبطل جماعة التجارة من جورها، وهي منهم تجبى، والحريم بهروب أزواجهم تُسبى.

فلما ملك مولانا السلطان أبطل رسمها، ومحي اسمها، وأزال وشمها،

(١) في الأصل: «وجابت جيداً».

(٢) الأشنان: قالوا إنه ليس بعربي، وفي لغتان: ضم الهزمة وكسرها. والأشنان هو الخوض. وهو نبات من الحمض تفسل به أو يرماده الأيدي بعد الطعام. (يفر السعادة وسفير الإفادة، للسخاوي - ج ١ / ٦٤).

(٣) قال ابن دقماق: وأبطل من المظالم زكاة الدولة، كان يؤخذ على كل من كان عنده مال زكاته، فإذا مات الشخص أو عدم ماله يؤخذ منه. أو ورثه ولده يؤخذ من الولد. فأبطل ذلك. (الجوهر التمين ١٠٤ / ٢).

(٤) الصواب: «يؤوب».

وكتب توقيعاً بمسامحتها فُرى على المنابر، ومُرّق ما احتوته من دفاتر. واذخر مولانا السلطان أجراها لليوم الآخر.

ذكر ما سامح به أيضاً

كانت الأموال في تلك الفترة السعيدية قد انساقت بواقى، وبلاد تحصيلها بعسف فلاحها قد عادت شراقي، فسامح بجملتها وعمر البلاد، وأمن العباد برفع ثقلتها، وسُبرت التواقيع / ١٢٥٠ ب/ بما به من ذلك قد سمح، وترثم بها لسان الخطباء على أعواد المنابر وصدح.

ذكر عفة مولانا السلطان عن سفك الدماء

كان مولانا السلطان لا يسفك دماً، ولا ينقل فيه إلى التجزي على الله قدماً. ولا يأمر فيه إلا بما أمرت به الشريعة المحمدية. وإذا عرض من ذلك شيء أحضر العلماء باختلاف المذاهب واستفتاهم في تلك القضية.

ذكر شيء من قفد مولانا السلطان وثبته ورياسته

ما زالت الملوك في أسفارهم إذا خرج الطلب من المنزلة ساقوا تحت الصناجق مقداراً يسيراً، وخرجوا من تحتها في شيرذمة يسيرة من خواصهم للصيد والقنص (وأفلتوا من طلبهم كما يفلت الطائر من القفص)^(١)، إلا مولانا السلطان فإنه لم يرض بهذه الخفة، ولا طار في هذه الجفة. / ١٢٦٠ / بل كان لا يفارق أعلامه من المنزلة إلى المنزلة، ولا يرى أن تكون خلواً من أي جماله المنزلة.

وأقام في الملك ما أقام ولم يقصد الحمامات، ولا وصل إلى السكندرية، ولا توغل بالذك في تلك البرية. ورده عن ذلك ما له من التجربة وحنكها، والذرية وملكتها. ولا سافر إلى الشام عبثاً، ولا خرج إلا لمهم عدو، ولا شكي مصاحب لسفره معه وعفا، خلد الله سلطانه ما أهناه، وأكمل لفظه بمعناه، وأحسن سمته، وأهون عليه. وإن عز ما رُمته منه وسفته. وأثبت جأشه، وأحسن رياشه. وليس لله بمستنكر إيداعه في خلقه وخلقه.

(١) ما بين القوسين عن الهامش.

ذِكْر ما أَثَرَهُ مولانا السلطان ممَّا عَمَّ نَفْعُهُ

كانت بأعمال البُخيرة بلاد لا يَلُغُهَا النيل، ولا يصل إليها على عموم ماله من مسيل، وتمادى تشريقها وإلى أيامه. / ١٢٦ب/ واستمرَّ عدم رِيَّها انتظاراً لسائغ لا بل سائغ إنعامه. وفاتت يحذُّ بها خزائن أموال، وشؤون تشرح الصدور إذا ضاقت صدورها بالغلل.

فلَمَّا اطَّلَعَ مولانا السلطان على تفويت مصلحتها وإهمال الملوك لتدبير رِيَّها لعدم رؤيتها. وإعمال الفكرة وما يتيحها صواب رؤيتها. وما هو إلا أن حبا الله لمولانا السلطان بحسنتها، وأدَّخَرَهَا لأن يستسنَّ مُنْتَهَا. وللوقت تقدَّم أمر مولانا السلطان بالكتابة إلى والي الأعمال بأن يجمع الخوَلَة وأرباب الخبرة من المهندسين، وأن يركب بنفسه ويكشف من أين يسترق الماء لريِّ هذه الأراضي من أسفل العمل وأعالیه. وأن يدقَّق النظر (فيه)^(١) ليأخذ الماء من مجاريه. وللوقت بادر هذا المتولِّي إلى امتثال المراسم، وخرج بمن عُيِّن لِيَتَبَعَ ما هناك من المقاسم. ووردت مطالعته متضمنةً وقوع الاختبار على أن يحتفر فم^(٢) من جهة يقال لها الطيرية، وقرينه إشهاد على أرباب (الخبرة)^(٣) / ١٢٧أ/ بذلك.

فبادر مولانا السلطان بنفسه وجيشه، وأمراء دولته وخاصكية خدمته. وتوجه إلى الأعمال وقد شُحِنَ البَرُّ والبحر بعساكره لانتهاز هذه الفرصة، وإساعة هذه الغُصَّة.

وكنث في خدمته كاتب دَرْج^(٤)، فرأيتُهُ منتصباً بنفسه من الشمس إلى الظلِّ، وأمراء دولته، وخاصكية مملكته، يعملون بالقفة في الطين والتراب، مشوِّهين تلك الصُّور النهرية بالطِّين، وإن كانوا مخلوقين منه، فتبارك الله المبدي من حُسْن مخلوقاته العجيب العجيب. وحين رأيت تلك الأجسام

(١) كُتِبَ فوق السطر.

(٢) الصواب: «فمًا».

(٣) عن الهامش.

(٤) كاتب درج: يسكون الرء - هو الذي يكتب ما يوقعه كاتب السز أو كُتَّاب الدُسْت. والدرج: هو الورق المستطيل المركَّب من عدة أوصال. (صبح الأعشى ١٣٨/١ و ١٤٧/١٢).

الخالصة قد سُئِنَتْ بتتريها، ولاح نقاء بياضها من خلال مُشِيبيها لا مُشِيبيها .

وقلت :

ما ترب المحبوب جسماً بدا من فضةٍ لَمَّا عرى من ثياب

إلاً لتَمَلَّ العين من حُسْنِه وليس يَمَلِي^(١) العينُ إلا التراب

ولم يزل مولانا السلطان إلى أن رَوَى وما تروى^(٢) / ١٢٧ب / وواسا^(٣) إلى أن سَوَّى، وأجرى الماء حتى في العود، وجاء إلى سعد أخبية الماء فأظفر منه بسعد بلغ ما له من سعد السُّعود. وعاد إلى كرسي مملكته، وقد أثر ما يبقى له ذكْرُه على توالي الأيام، ويتعين شكر ماله من الإنعام حتى على الأنعام.

ذِكْر ما اتفق في أمر عكا بعد المهادنة

واستمرت الفرنج الملعونون تحت ظل هذه المودعة، إلى أن قضت خيانتهم بتقليصه . واستقرّوا في هناء العيش إلى أن ختم سوء اعتمادهم بتنغيصه، ولم يشعر مولانا السلطان إلا وقد بلغه أن الفرنج بعكاً استطالوا على جماعة من المسلمين بها من التجار وغيرهم فقتلوه^(٤)، وبالنسبة إلى كثرتهم استقلّوهم . وللوقت رسم مولانا السلطان فكتب إليهم، وأنكر عليهم، وأعلموا أن هذا ناقض للعهد، مُنافٍ للوْذ.

فورد كتاب / ١٢٨ / مقدّمهم أنّه إنّما حصل بسبب أنّ الفرنج والمسلمين اجتمعوا في مُشْرِية، وخَمَلَهُم السُّكْرُ على العزيدة، وأنّا أَمْسَكْنَا جماعة من الفرنج ممّن كان في المُشْرِية، وشنقناهم، فأعيد إليهم الجواب بما صورته: « صدقتم في أنكم شَنَقْتُمْ، ولكنّ المسلمين . ونحن واصلون بمشيئة الله تعالى إليكم، فجهّزوا الضيافة ».

(١) الصواب: « يملأ ».

(٢) تكزرت في آخر الوجه ١٢٧ وأول الوجه ١٢٧ب.

(٣) الصواب: « وواسى ».

(٤) التحفة الملوكية ١٢٢، نهاية الأرب ١٧١/٣١، تشریف الأيام والعصور ١٧٧، المختار من تاريخ ابن الجزري ٣٣٦، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦٨٩ هـ). دول الإسلام ١٤٣/٢، عيون النواريز ٤٧/٢٣، السلوك ج ١ ق ٣/٧٥٣، عقد الجمان (٣) ١٠ و ٥٥، النجوم الزاهرة ٣٢٤/٧، تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ٢٢، تاريخ ابن الفرات ٩٢/٨، لبنان من السقوط بيد الصليبيين حتى التحرير ٢٨٢، ٢٨٣.

ثم إن مولانا السلطان استحضر أمراء مشوره، وأجرى الحديث معهم في غزو القوم بسبب هذه الفتنة، وقصدهم بما كانوا يستترون به من المهادنة من المحنة، فاعترض الأمراء بحديث الهدنة وأنها ألزمت بأيمان، وتنزلت منزلة الأمان، وتضمنت عهداً وحفظ العهد من الإيما.

فأشار مولانا السلطان إلى صاحب ديوان مكاتباته فتح الدين بأن يتبع الهدنة، لعل أن نظفر منها بمُسْتَد في قصد القوم، وأن يُلَمَح منها ومن هذه القضية الواقعة /١٢٨ب/ ما يبلغ منهم المروم بالحد لا تمليس الأشمام بالتهديد، وليس الأشمام كالزوم.

وكنث كتبت هُدنتهم، وعندي نُسختها، فاجتمعنا أنا ووالده الصدر محيي الدين، وهو، وقرئت الهدنة من أولها إلى آخرها مراراً، فصم الصدر محيي الدين أن لا فسحة فيها، ولا موجب فسخ من باديها ولا خافيها. فالتفت إلي وقال: ما تقول أنت؟

فقلت: نحن مع غرض مولانا السلطان إن كان في فسحها ففيها فسحة تقتضي فسحه. وإن لم يكن له غرض في فسحها ففي مُحكمها ما لم يقتضِ نسخه.

فقال: مولانا السلطان متحمل عليهم، يؤذ لو أعبر جناحي طائر ليطير إليهم. فقلت: يتأمل مولانا هذا الفصل من الهدنة. وهو على أن تكون التجار والسُّقار والمترددين، آمنين مخفرين من الجهتين في حال سفرهم وإقامتهم، وصدورهم وورودهم. هذا نص الفصل الذي تضمنته الهدنة.

فقلت له: وهؤلاء الذين اعتمد فيهم ما /١٢٩أ/ اعتمد تجار. وقد خولف شرط الهدنة في إهمال أمرهم إلا أن تقوم بينة ممن هو مُرْصَد من نواب المسلمين الضابطين للدعوى.

فقال: قد وردت كُتُب الثَّوَاب بأن الأمر لم يكن كما أنهوه، وأن المسلمين الذين شَبَقُوا.

فقلت: لقد انفسخت الهدنة بهذا الحكم.

فلما أفتي مولانا السلطان بفتحها عَزَم، إلا أن الأجل رده من الطريق. وموافاة المنيّة قد حملت كل قلب من مكانه ما لا يطيق.

[وفاة السلطان قلاوون]

وبرز مولانا السلطان لظاهر القاهرة المحروسة، وخيم بمسجد التنب^(١) في عساكره التي ملأت الفجاج، فزادت على عدد ما للبحار من أمواج. فحصل له بهذه المنزلة مرض رمي الدم، فأقام أياماً وقضى بمخيمته، ووافاه المُنُون بمخيمته^(٢).

وشُقَّت عليه الجُلُود لا الجيوب، وكادت الجبال تذوب لا القلوب، وانحنت السيوف لا الظهور، واندقت الرماح لا الصُدُور. وساء الورود ذلك الصُدور. / ١٢٩ب/ وقُذِرَت جِسامُهُ بتلك المنزلة فحلَّ بها حين حلَّها، ومنيته بتلك البُقعة في تلك المدة وما كان أكثر همومها واقلاًها.

ومن كُتِبَتْ مَينِئُتهُ بأرضٍ فليس يموت في أرضٍ سواها
وجعل في تابوت، وطُلع به إلى قلعته، وقُديسها سوء رجعت. ولم يزل بها إلى أن اشتدَّ أمر ولده السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف صلاح الدين خليل. وتمَّ سلطانه ولزم، وختم بأمر ملكه وحزم. ثم نُقِلَ إلى قُبته المقدسة بالقاهرة المحروسة ليلاً، وقد أوسع الناس ويلاً.

فرحم الله تلك الروح الزكية، وأنالها رُتبة الرفيق الأعلى^(٣)، فإنها آخر ما كان يؤمله من الرُتب العلية.

(١) في نهاية الأرب ١٧٣/٣١، والسلوك ج ١ ق ٧٥٥/٣، والمواظ والاعتبار ٤١٢/٢، النبرس والمثبت يتفق مع تاريخ ابن الفرات ٩٧/٨، وقال المقرئ: وهو يقع خارج القاهرة مما يلي الخندق وتسميه العامة التنب. وهو خطأ. وهو قريب من المطرقة. وتبر أحد كبار الأمراء في أيام كافور الإخشيدي (المواظ والاعتبار).

(٢) توفي المنصور قلاوون - رحمه الله - يوم السبت ٦ من ذي القعدة سنة ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م. أنظر عنه في: تشريف الأيام والعصور ١٧٧ - ١٨٢، والمختصر لأبي الفداء ٢٣/٤، ٢٤، وآثار الأول ٧٦، وتالي وفیات الأعيان ١٢٩ رقم ٢٠٦، ونهاية الأرب ١٧٣/٣١، والنحلة للملكية ١٢٢ - ١٢٥، والذرة الزكية ٣٠١ - ٣٠٣، ودول الإسلام ١٨٨/٢، ١٨٩، والعبر ٣/٥، ٣٦٣، وتاريخ الإسلام ٦٨٩ هـ). وتاريخ ابن الوردي ٢٣٥/٢، ورواة الجنان ٤/٢٠٨، والبدایة والنهاية ١٣/٣١٧، ٣٣٨، وتذكرة النبيه ١/١٣٥، وفوات الوفيات ٢٦٩/٢ رقم ٣٥٤، وتاريخ ابن خلدون ٥/٤٠٣، ومآثر الإنافة ٢/١٢٤، ودرة الأسلاك ١/٩٧، والسلوك ج ١ ق ٧٥٤/٣ - ٧٥٦، وعقد الجمان (٢) ١٢ - ٢١، والنجوم الزاهرة ٧/٢٩٢ - ٣٤٣، والمواظ والاعتبار ٢٣٨/٢، ومورد اللطافة لابن نفري بردي ٤٢ - ٤٤، والجواهر الثمين ٢/٩٩ - ١٠٤، وتاريخ ابن سبط ١/٤٩٣، ٤٩٤، وشذرات الذهب ٥/٤٠٩، وبدائع الزهور ج ١ ق ١/٣٦٠ - ٣٦٣، وأخبار الدول ١٩٩، ٢٠٠، وتاريخ الأزمنة ٢٦٦، وتاريخ ابن الفرات ٨/٩٦، ٩٧.

(٣) الصواب: الأعلى.

وقلت فيه مُرثياً:

ترد سَطَوْنُهَا عن حائث الأجل
وبين ما كان يرجوه من الأمل
دمعاً مَضُوناً بِمُتَهَلٍّ وَمُتَهَمِلٍ
كاساتها بين أهل العِلِّ والنهل
إلى الشَّرْوَدِ لِلأُخْرَى على مَهَلٍ
وهو المَقْفَلُ غَرَّ غير مُحْتَفِلٍ
ولو فُدي بِغُرر الخيل والخَوَلِ
من غيره بحسامٍ سَابِقِ العَدَلِ
ويُثَقِّي حذراً منه على وَجَلٍ
عالي المكانة مُحَمِّي ومُسْتَفِلٍ
مَغَالِقِ المُدُنِ من سهل ومن جبلٍ
بصونها من دواهي الزُنْغِ والزَّلِ
عجائباً^(٢) من ذوي الأديان والمللِ
حدث بما شئت عن أوصافه وقُلِ
له المواقف في الأبكاء والأُضَلِ
ملى^(٣) المسماع والأفواه والمُقَلِ
أعلى الممالك ما يُبْنَى على الأُنلِ
فضيلة العلم والإفضال بالعملِ
من لذة النصر مَشْيِ الشارب الثَمَلِ
وقد ترعرغت الدنيا من الفشلِ
لفتحتها يده للعجز لم تَطُلِ
كأنها غُرَّة في جبهة الدُّولِ

هي المَنِئِيَّةُ لا بالحِئِلِ والحِجِلِ
كم جال ما جلَّ منها بين ذي أمل
/ ١٣٠ / كم أنكلت أهل مَقْقُودٍ وكم تركت
لم تُبَقِّ من أحدٍ حتى تجزعه
يُمسي المؤمل للدنيا وسُرعتهَا
والموت يحْتَفِلُ بالمرء يأخذه
لم يُغْض عن ملكٍ يوماً لعزته
ولا خَفَّتْ جنودكم حمث ملكاً
تبیت من عزمه تخشى غوائله
لا فزق في أخذه الأرواح بين فتى
أين الأولى^(١) شيدوا الأملاك وافتتحوا
أين الذين بَنُوا الأهرام واحتفلوا
/ ١٣٠ ب / أين الذين رأينا في الوجود لهم
أين المليك الذي بالأمر مصرعه
قلاون سيف دين الله من شهدت
كم شاهد الناس منه في مواكبه
مُعْظَمِ المُلْكِ عاليه ولا عجب
كان العلیم بأدواء الزمان له
يمشي إلى الحرب في الهيجاء مُنْجَلاً
تكفيه وقعة حمص والثبات بها
يكفيه فتح قلاع كم مضى ملكٌ
سقياً لدولته ما كان أحسنها

(١) الصواب: «الألى».

(٢) الصواب: «عجائب».

(٣) الصواب: «مل».

كانت ولا مثل والأقدار تخذمها
 / ١٣١ / أغرر عليّ بأنّ أحيا إلى زمن
 أبكي وأنكي لمن كانت مقالته
 لهفي عليه لقد غمت مصيبتة
 وصيّرت كلّ قلب بعد فرغته
 وأضرمت في الحشا ناراً تأجج في
 إنّ زال عن ملكه بالموت إنّ له
 في جنة الخلد في أعلا^(١) القصور على
 فهو السعيد إذا دنيا وآخرة
 مضى وخلف فينا من لسنته
 وسد من بعده إذ حلّ مدته
 «الأشرف» الملك المُنّني بصولته
 / ١٣١ ب / نصّ الشهيد عليه نصّ مختبر
 فالله يُبقي عليه ملكه أبداً

حتى سرى ذكرها في الناس كالمثل
 أراه فيه عن الدنيا بمُنْتَقِل
 ونحن أغلظ أكباداً من الإبل
 وعنت الناس من حافٍ ومُنْتَعِل
 من الشراغل بالأحزان في شغل
 فيض المدامع مثل العارض الهطل
 عند الإله لملكاً عنه لم يزَل
 أعلا^(٢) الأبرّة يُحبّي أشرف الحُلل
 عن عهده السعد في الدارين لم يحل
 أحيا^(٣) ويسر ما للخير من سُبُل
 بأهبة^(٤) المُلْك ما للدهر من خلل
 عن القواضب والغسالة الذُبُل
 من حاله الحال بالتفصيل والجُمْل
 لا يستغني عنه طول الدهر من حَوْل

[فتح عكا]

ولما قضى الله في مولانا السلطان بما قضى، وقابل ولده الملك الأشرف
 (مُصابه)^(٤) بالتسليم والرضى^(٥)، اقتضى برّه أن لا يُضَيّع سني والده، وإن كان الله
 قد كتب أجره ووفى بزه. «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ
 الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً»^(٦).

ثم عزم مولانا السلطان الملك الأشرف وقصدها بجيوش والده الذين كانوا
 أُعِدُّوا لاستئصالها، وتأهبوا لنضالها، فقصدها على ما رتبّه والده من التهيئة^(٧)
 لحصارها، فوجد الأمور عند توجّهه وقد جُهِّزت، والمجانيق وقد تأهَّبَتْ، فغزاها
 صورةً ووالده - رحمه الله - معنى، وعن بوصية والده فيها فنقّدها / ١٣٢ ب / وما

(١) الصواب: «أعلى» في الموضعين.

(٢) الصواب: «أحيا».

(٣) الصواب: «بأهبة».

(٤) عن الهامش.

(٥) الصواب: «والرضا».

(٦) سورة النساء: الآية ١٠٠.

(٧) في الأصل: «التهيئة».

زال بيزه أعنى . فما وقفت بين يدي مجانيقه ، ولا ثبتت إلا ريشما دهمها بطُروقه .
 واستأصل شأفتها ، وفرّق ألقفتها ، وأزال عن البلاد الإسلامية كلفتها . وهدمها إلى
 الأرض ، وقضى في سنة غزوتها له ولوالده^(١) السنة والفرض . وجعلها «خصيداً
 كأن لم تغر بالأمس»^(٢) ، وغادر معاهدها صرعى «كألدي يتخبطه الشيطان من
 المصن»^(٣) . وأباح خزائنها للبوم ، وجعلها عبرة للمار عليها من أعداء الله الفرنج ،
 الذين أخر دمارهم تدبيرهم الروم^(٤) .

[تهنئة الأشرف خليل بفتح عكا من إنشاد محيي الدين بن عبد الظاهر]

وفي هذه الغزوة يقول الصّدر الفاضل محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر
 مهتأً للسلطان الملك الأشرف :

بعث النصر للبلاد بريداً يتخطى تهايماً ونجوداً
 بفثوح كنا نراه قريباً ويراه دين الصليب بعيداً
 قال : بُشراكم سيوف الأعادي تحدها سلاسل وقبوداً
 / ١٣٢٢ ب / إن هذا خيلاً الملك الأشرف سلطانكم أغاث الوجوداً
 جاء عكا محاصراً فتداغث ولأهل الإلحاد صارت الحوداً
 كيف تبقى أسوارها مع نقوب صبحت أوجه المعاول سوداً
 كم إلى الكافرين والى وعيداً منه أنسأهم صياماً وعيداً
 ولكم قد أصاب كبداً وريداً بسهام لم تخط منهم وريداً

(١) في الأصل : «والوالده» .

(٢) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٥ ، ٢ .

(٤) كان فتح عكا يوم الجمعة ١٧ من جمادى الآخرة سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م . أنظر عنه في : تاريخ
 الزمان ٣٦٦ ، والمختصر في أخبار البشر ٤ / ٢٤ ، ٢٥ ، ونهاية الأرب ٣١ / ١٩٥ - ١٩٩ ، والتحفة
 الملوكية ١٢٦ ، ١٢٧ ، والدرة الزكية ٣٠٨ - ٣٢٢ ، وتاريخ سلاطين المماليك ١ - ٧ ، ودول
 الإسلام ١٨٩ / ٢ - ١٩١ ، والعبر ٥ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، والمختار من تاريخ ابن الجوزي ٣٣٩ - ٣٤١ ،
 وتاريخ الإسلام (٦٩٠ هـ) ، وتاريخ ابن الوردي ٢ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ومرتة الجنان ٤ / ٢٠٩ ، وتذكرة
 النبي ١ / ١٣٧ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٣٢١ ، والجواهر الثمين ٢ / ١١٠ ، وتاريخ ابن خلدون
 ٥ / ٤٠٤ ، والسلوك ج ١ ق ٣ / ٧٦٤ - ٧٦٧ ، ومشارع الأشواق ٢ / ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، وعقد الجمان (٣)
 ٥٤ - ٦٧ ، والنجوم الزاهرة ٨ / ٥ - ١١ ، وبدائع الزهور ج ١ ق ١ / ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، وتاريخ ابن سباط
 ١ / ٤٩٧ ، وتاريخ ابن الفرات ٨ / ١١٠ - ١١٣ ، والمقفى الكبير ٣ / ٧٩٥ ، ٧٩٦ .

حبسهم في خزانة لبُنود
 إن تسموا بآخره فلقد
 أيها السامعون فتح صلاح
 أهل صور كذلك صيدا
 إن غدوا كُلُّهم يَكِيدون كيدا
 قد رعى في فتوحها لأبيه
 / ١١٣٣/ أنجذته ملانك وملوك
 فبجؤ السماء منها حشود
 غزوة كم لها على الأرض حق
 شكرت مئة لمئة فيه
 يا لها غزوة لها الحور قالت:
 كتب الله ذكرها في التواريخ
 عز منها الهدى وذل أهل
 ويؤدون جزية ويصيرون
 كم كنيس قالت إليّ فلأتي
 يا أجل الملوك يا أشرف الخلق
 شكر الله غزوة لك في الكفر
 كحُنين^(٥) فيها الملائك جاءت
 يجعل الكفر في النقوب دفيناً
 / ١٣٣ب/ ثم بها منهم غلاظ شداد
 ومجانيق لا تميل صدوراً

قال: خافوا إذا رأيتم بنودا
 صار مناهم بأن يسموا عبدا
 الذين هذا فتوحه قد أعيدا
 قد تهيأت صيدا لهم موجودا
 ليس يرضى لسيفه أن يكيدها
 ولكل من الأنعام غهودا
 كثرت عسكرياً له وجنودا
 ملائكة والأرض ملأى^(١) حشودا
 عم بالأمس حاجراً^(٢) وزرودا^(٣)
 حُسن إنجازها لفتح وغودا
 حبذا من يموت فيك شهيدا
 وأبقى لها هناك خلودا
 عكا وتمثوا لو يصبحون يهودا
 أسارى أو يمسخون قرودا
 لست أَرْضى إلههم^(٤) معبودا
 ومن جوده أغاث الوجودا
 أرثنا مقامك المحمودا
 مُردفات تستصحب التأييدا
 ويُعيد الإيمان خلقاً جديدا
 تجعل الناس والحجار وقودا
 وتُفوب ما إن تمل زرودا

(١) في الأصل: «ملئ».

(٢) حاجر: بالراء المهملة. موضع في ديار بني تميم. (معجم ما استعجم ١/٤١٦).

(٣) زرود: بفتح أوله وضم الراء، وفي آخره الدال المهملة: جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع. (معجم ما استعجم ١/٦٩٦).

(٤) في الأصل: «الاهم».

(٥) حُنين: بضم الحاء وفتح النون، وهي غزوة كانت في السنة الثامنة للهجرة. (سيرة ابن هشام) - بتحقيقنا ج ٤/٨١ - طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ. / ١٩٨٧ م).

أَوْ فَكُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا
 أَوْ كُنُودٍ مِنْهَا أَجَابَ كُنُودًا
 قِيَامًا كَمَا تَرَى وَقَعُودًا
 أَنْتَ يَا مَنْجَنِيْقَ أَصْلَبَ عُرُودًا
 قَالَ عَنِّي كَذِبًا وَزَادَ جُحُودًا
 وَأَرْثَنَا مِنَ الزَّحَامِ طَرُودًا
 هَادِمَاتٍ مِنَ الْبُرُوجِ عَقُودًا
 وَخُقُولٍ مِنْهُمْ تُبَدِي حَقُودًا
 وَلَا حِجَارَهَا أَدَامَتِ شُرُودًا
 الْمَوْتُ فَلَا يَسْتَطِيعُ عَنْهُ مَحِيدًا
 حِجَارًا تَبَدِي الْهَفِيفُ رُعُودًا
 مُشْرِفَاتٍ عَلَى الشُّغُورِ صُغُودًا
 لَيْسَ تَحْكِي، كَمَا يَقَالُ، الْقُدُودَا
 فَلَقَ الصُّبْحُ قَدْ أَقَامَ عُمُودًا
 وَأَفَا^(٢) فَأَحْسَنَ التَّغْرِيدَا
 وَيَصْصِدُ الْأَعْدَاءَ ضُدُودَا
 وَهِيَ فِي وَقْتِهَا تَصِيرُ وَلُودَا
 وَبِبَابِ الثُّورَيْنِ شَلَّتْ أَسُودَا
 أَبْصَرُوهَا وَمَنْ تُكْسَى جِلُودَا
 زَادَهُ اللَّهُ بِسْطَةً وَسُغُودَا
 وَمَلَى^(٣) الْأَرْضَ عُذَّةً وَعَدِيدَا
 وَكُلٌّ مِنْهُمَا أَصْبَحَ الْفَقِيرَ الْفَقِيدَا
 بِذَلِكَ اللَّهُ شَمْلَهُمْ تَبْدِيدَا

كَمْ لَهُمْ أَرْسَلْتُ وَقَالَتْ قَلِيلُئُوا
 كَمْ مُرِيدٍ مِنْهَا أَصَابَ مُرِيدًا
 تَنْجَافِي عَنِ الْمَضَاجِعِ اللَّهُ
 لَوْ يَكُنْ لِلصَّلِيبِ نَفَقٌ لَنَادَى:
 أَنْتَ أَوَّلِي بِأَخْذِ ثَارِي مَمْن
 كَمْ أَزْنَهُمُ مِنَ الرِّجَالِ طَرِيحًا
 وَلَكُمْ بِالْعُقُودِ أَوْفَتْ وَوَأَفَتْ
 كَمْ مَرُوجٍ لَهَا ثُعْمَادِي بِرُوجًا
 كَمْ بِأَسْوَارِهَا أَقَامَتْ شُرُورًا
 مِنْ آيَتِهِ يَقُولُ: هَذِي هِيَ^(١)
 مِنْ رَأْيَا يَقُولُ كَوْنْتُ السَّحْبِ
 / ١٣٤ / هَاتِمَاتِ الشُّغُورِ مِنْ شُرَفَاتِ
 نَبَتَتْ أَغْضُنَا عِظَامًا فَجَاءَتْ
 كُلَّ سَهْمٍ مِنْهَا إِذَا أَوْقَفُوهُ
 لَوْ يَكُنْ بِأَمْنِ الْحِمَامِ مِنَ التَّغْرِيدِ
 كَمْ بِكَفَاتِهَا يُكَفِّ عَدُوَّ
 بِأَلِهَا مِنْ حَوَامِلِ مَقَارِبَاتِ
 كَمْ بِتَلِّ الْفَضُولِ تَلَّتْ سِدُودًا
 تَقْشِمِرُ الْجُلُودِ مِنْهَا إِذَا مَا
 كُلُّ هَذَا بِسَعْدِ أَشْرَفِ مَلِكِ
 مَلِكِ فَرِغَ الْخِزَانَتَيْنِ جُودًا
 (كَمْ) (كَنْيَسِ)^(٤) أَخْلَى وَكَيَّسِ
 وَيُنَلِّ عَنَّا وَيُنَلِّ إِخْوَةَ عَنَّا

(١) هكذا في الأصل. والصواب: «هذا هو».

(٢) الصواب: «وافي».

(٣) الصواب: «وملا».

(٤) عن الهامش.

حَتَّمُ اللَّهُ قَتْلَهُمْ حَتَّى أَمْسَى
/١٣٤ب/ خَرَبُوا مَسْجِدَ الصَّالِحِ فِيهَا
وَبِهِ عَادَ هُنَاكَ عَادٌ إِلَيْهِمْ
عَجَباً يَا خَلِيلَ نَارِكَ بَزْدٌ^(٢)
أَنْجَزَ اللَّهُ وَغَدَهُ لَكَ بِالنَّصْرِ
فَاشْكُرْ اللَّهَ وَاعْتَنِمِ لِلنَّصْرِ
أَنْتَ يَا ابْنَ الْمَنْصُورِ مَنْصُورٌ
دُمْتَ لِلنَّاسِ مَلْجَأً وَعَلَى

كُلِّ نَقَبٍ فِي سِوَرِهِمْ أَخَذُوا
فَأَتَاهُمْ مَا كَانَ أَرْدَى ثُمُوداً^(١)
إِذْ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ أَمْسَوْا شُهُوداً^(٢)
وَهِيَ تَشْوِي مِنَ الْفَرْنَجِ الْكُنُوداً^(٣)
وَلِلْمُؤْمِنِينَ أَنْسَى قُصُوداً
فَاجِئْ ضُوراً وَضَيْدًا مُبِيداً
جَاءَتْ لَكَ بُشْرَى أُخْرَى تَحْتَ الْبَرِيدِ
الْخَلْقِ سِيَاجاً وَلِلْوُجُودِ وَصِيداً

وَقُلْتُ مَهْتَأُ أَيْضاً بِهِذِهِ الْغَزْوَةُ وَكُتِبَتْ بِهَا إِلَيْهِ

حَكَمْتُ بَرَفْعَ لَوَانِكَ الْأَقْدَارُ
فَعَلْتُ مَهَابَتِكَ الَّتِي أُعْطِيتَهَا
كَمَا نَزَلَتْ عَلَى الْفَرْنَجِ^(٤) مُطْلَباً
سَقَطَتْ قَوَاهِمُ إِذَا أَتَيْتَ بِعَسْكَرٍ
/١٣٥/ أَقْبَلْتُ وَالْأَتْرَاكَ حَوْلَكَ أَنْجُمٌ
وَعَلَيْكَ (أُبْهَةٌ)^(٥) تَلُوحٌ وَمَنْبِئَةٌ
رَامُوا الْفِرَارَ وَقَدْ رَأَوْا مَا هَالَهُمْ
سَجَدْتَ لَدَيْكَ تَقَبَّلَ الْأَرْضُ الَّتِي
صَبَّخَتْهُمْ وَدِيَارَهُمْ مَعْمُورَةً
وَقَرَاهُمْ لَمَّا نَزَلْتَ عَلَيْهِمْ

فَإِلَيْكَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ يُشَارُ
بِالرَّعْبِ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَنْصَارُ
ذَهَبُوا لِمَا قَدْ شَاهَدُوهُ وَحَارُوا
مَلَأَ الْفِيَّافِي وَالْقَفَارَ فَخَارُوا
وَتَمَامُ وَجْهِكَ بِذُرَاهَا السَّنِيَارُ
وَجَلَالَةُ وَسَكِينَةُ وَوَقَارُ
أَنَا^(٦) يَكُونُ مَعَ الْهَلَاكِ فِرَارُ
شَرُفْتُ وَانْطَوَتْ حَوْلَكَ الْأَسْوَارُ
فَعُدْتُ خَرَاباً لَهَا أُنَارُ
أَرَوَّاحُهُمْ جَادَتْ بِهَا الْأَعْمَارُ

(١) إشارة إلى النبي صالح عليه السلام وقوم ثمود، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ سورة الأعراف: الآية ٧٣.

(٢) إشارة إلى الآية رقم ٧ من سورة البروج: ﴿وَنُفِثَ عَنْهُمْ عَنْقَابٌ يَكْفُكُهُنَّ فَآلَهُنَّ كُنُوزٌ كَثِيرٌ وَآلَهُنَّ فِي الْحُكْمِ مُقْتَضًى وَمِنْهُنَّ رَجُلٌ وَهَّابٌ﴾.

(٣) إشارة إلى الآية رقم ٦٩ من سورة الأنبياء: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. وقوله: «يا خليل» أي السلطان الأشرف، وهو يتفق مع خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.

(٤) في الأصل: «الجلود» ثم شطب عليها، وكتب فوقها: «الكنود». والكنود: مفردتها: كُنْدٌ، وهو الأمير.

(٥) عند الفرنج.

(٦) كُتِبَ فَوْقَ السُّطْرِ.

(٧) الصواب: «أَنْتَى».

غُتَّتْ سِوْفُكَ فِي الرِّقَابِ فَأَرْقَصْتَ
أَجْرِيَتْ مِنْ دَمِهِمْ سِوَالاً فَجَرَتْ
وَمَحَتْ لِيَالِي الْكُفْرِ بَيْضٌ قَدْ بَدَا
أَضَحَتْ مَنَازِلَهُمْ خَرَاباً كُلُّهَا
سَالُوا مَلُوكَهُمْ إِعَادَةَ نَجْدَةٍ
فَأَتَتْهُمْ مِنْ كُلِّ جَيْشٍ غَضْبَةٌ
/١٣٥ب/ وَرَدُوا بِسَيْفِكَ مِنْهَا مُسْتَوْبِلًا
وَعَدُوا وَكَاسَاتُ الْمَنُونِ عَلَيْهِمْ
لَوْ سَلِمُوا سَلِمُوا وَلَكِنْ كَابَرُوا
هَلْ أَبْصَرُوا حَصَنًا مَنِعًا قَبْلَهَا
لَكِنْ إِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ بِسَاحَةِ
أَمْسَى عَظِيمِ الْقَدْرِ مِنْ كُبْرَائِهِمْ
وَعَلَّتْ مَلُوكُهُمْ وَقَدْ حُصِرُوا بِهَا
خَانُوا الْعَهْدَ وَمَنْ يَخُنْ فَجَزَاؤُهُ
نَقَضُوا الْمَهَادَنَةَ الَّتِي كَانُوا (بِهَا) (٣)
كَانَ الشَّهِيدُ نَوَى الْمَصِيرِ إِلَيْهِمْ
فَخَلَفْتُهُ وَلَيْغَمَ أَنْتَ خَلِيفَةً
خَبِثَتْ لِفَتْحِكَ فَافْتَضَضْتَ بِكَارَةِ
أَيَّامِ حَصْرِهِمْ لَدَيْكَ قَصِيرَةً
/١٣٦أ/ دَارَتْ جِيوشُكَ حَوْلَهَا فَكَأَنَّمَا
وَإِذَا تَكَلَّمُهَا الْمَجَانِيْقُ اغْتَدَتْ
قَدْ دَوَّيْتَ هَذِي الْعُرَاةَ وَسَطَّرْتَ
لَا عَهْدَ فِي مَاضِي السَّنِينَ بِمِثْلِهَا
بُشْرَاكَ هَذَا مَبْدَأُ النَّصْرِ الَّذِي

(١) فِي الْأَصْلِ: «الرُّوس».

(٢) كُتِبَتْ فَوْقَ السَّطْرِ.

(٣) كُتِبَتْ فَوْقَ السَّطْرِ.

أَجْسَادَهُمْ فَلَهَا الرُّؤُوسُ (١) نَشَارُ
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ بِهَا أَنْهَارُ
مِنْهَا لَعِينُ النَّاظِرِينَ نَهَارُ
قَفَرًا أَلَمْ يَوْجِدْ بِهَا دِنَارُ
أَرَأَيْتَ رَوْحًا لِلتَّلَافِ تُعَارُ؟
مُثِلْتُ بِرُوزٍ مِنْهُمْ وَبِحَارِ
لَمْ يَلْفَ عَنْهُ لَوَارِدُ إِصْدَارُ
بِالْمَشْرِفِيِّ الْأَشْرَفِيِّ تُدَارُ
فَأَتَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ
خِلَافَةٍ لَمْ يَهْتِكْ جِمَاهُ حِصَارُ؟
عَمِيَتْ عَنْ رُشْدِهَا الْأَبْصَارُ
شَلُّوا حَقِيرًا مَالَهُ مَقْدَارُ
مِنْ بَعْدِ (عِزٍّ) (٢) ذِلَّةٌ وَضَنَارُ
وَنَلَّ وَبَيَّلَ أَمْرُهُ وَدِمَارُ
فِي رَاحَةِ مَا شَانَهَا إِضْرَارُ
فَقَضَى عَلَيْهِ الْوَاحِدُ الْقَهَارُ
فِي مَجْدِهِ تَتَحَيَّرُ الْأَفْكَارُ
مِنْهَا وَلَكُمْ (لَك) (٤) خَبِثَتْ أَبْكَارُ
لَمْ لَا وَأَيَّامُ السُّرُورِ قِصَارُ
هِيَ مَغْصَمٌ وَهُمْ عَلَيْهِ يَوَارُ
مِنْ سَوْرَهَا تَتَجَاوَبُ الْأَحْجَارُ
وَتَحَدَّثَتْ بِحَدِيثِهَا السُّمَّارُ
وَلَهَا بِطُولِ بَقَائِهِ أَقْطَارُ
تَعْلُوا (٥) بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ مَنَارُ

(٤) كُتِبَتْ فَوْقَ السَّطْرِ.

(٥) الصَّوَابُ: «تَعْلُوا».

هَذَا فَتَوَخَّ مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِهِ
 مَا مِثْلَ عَكَا فِي الْحُصُونِ لِأَنَّهَا
 كَانَتْ لَهُمْ كُرْسِيَّ مَمْلَكَةٍ إِلَى
 كَمْ قَدْ مَضَى مَلِكٌ بِغُصَّةٍ فَتَجَّهَا
 مَا تَوَا بِغَيْظِهِمْ وَكَمْ مِنْ دُونِهَا
 حَتَّى أَتَاهَا الْأَشْرَفُ الْمَلِكُ الَّذِي
 فَشَفَى صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِهَا
 وَلَيُزْفَعَنَّ بِسَيْفِهِ وَسِنَانِهِ
 /١٣٦ب/ وَلِيَمْلِكَنَّ الْأَرْضَ طُرّاً عَاجِلاً
 مَلِكٌ عَطَايَاهُ الْجِسَامَ لِمَنْ يَرُومُ
 سُحْبُ الْعَطَايَا مِنْ سَمَاءٍ يَمِينِهِ
 أَغْنَى بِأَنْعَمِهِ الْفَقِيرَ فَبَيْتُهُ
 وَلَكُمْ غَدَا بِيَمِينِهِ لِلْمَعْدِ (....)
 يُعْطِي الْأَلُوفَ وَفَقِيرَهُ بَيْنَهُمْ
 مَاذَا أَتَوَلَّ وَوَصَفُهُ وَمَدِيحُهُ
 فَالْتَهُ يُبْقِي مَلِكُهُ مَا صَفَّقَتْ

كَلَا، وَلَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ
 أَمْ الْقُرَى بِأَتَمِّهَا الْكُفَّارُ
 تَحْصِيْنُهَا فِي الْمَعْضَلَاتِ يُصَارُ
 وَيَقْلِبُهُ مِنْهَا تَأْخِجُ نَارُ
 عَرَضَتْ مَوَانِعَ كُلِّهَا أَعْدَاؤُ
 خَافَتْ فَرَنْجَ بِأَسِهِ وَتَنَارُ
 وَلِيُفْتَحَنَّ بِغَزْوِهِ الْأَمْصَارُ
 لِلْمُسْلِمِينَ مَعَاهِدُ وَدِيَارُ
 شَرْقاً وَغَرْباً جَيْشُهُ الْمَغَوَارُ
 عَلَى الدَّوَامِ بِقَيْظِهَا مِذْرَارُ
 لِلْمَعْتَفِينَ إِذَا تَسَخَّ غَزَارُ
 بَيْتُ الْغَنَى يُهْدَى لَهُ وَيُزَارُ
 (.....) (١) وَقَمَرُهُ يَسَارُ
 يَبْدُو (٢) عَلَيْهِ بِمَنْحِهَا اسْتِشَارُ
 مَا لَا يَحِيطُ بِبَعْضِهِ الْأَشْعَارُ
 أَيْدِي الْغُصُونِ وَغَنَّتِ الْأَطْيَارُ

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم (٣)

(١) فِي الْأَصْلِ نَحْوُ أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ غَامِضَةٌ.

(٢) الصُّوَابُ: «يَبْدُو».

(٣) وَرَدَ بَعْدَهَا أَيْضاً: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكٌ».

[مطالعات الكتاب]

نظر في هادي^(١) الكتاب المبارك الحاج إبراهيم بن الحاج أحمد بن الحاج إبراهيم، غفر الله لمن قرأه ودعا له ولوالديه والمسلمين بالمغفرة أجمعين .
وصلّى الله على مولانا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

ورضي الله تعالى عن ساداتنا أصحاب رسول الله أجمعين .
بتاريخ ثاني عشر شهر القعدة من شهور سنة اثنا^(٢) عشر وتسعمائة .
والخير يكون له بالله تعالى .



نضر^(٣) فيه في هد^(٤) الكتاب المبارك بدرا^(٥) الدين ابن أحمد ابن الشيخ شراره المنبي رحمة الله عليه وغفر له ولمن قرأه ودعا له ولوالديه وللمسلمين أجمعين بالمغفرة أجمعين .

وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم^(٦) تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .
من تاريخ سنة تسع وعشرين وتسع^(٧) مائة .



١٣٧/ الخطّ يبقا زمان^(٨) بعد كتابه وكاتب الخطّ تحت الأَرْض^(٩) مدفون
يا رب اغفر لعبدٍ كان كاتبه يا قاريء الخطّ قُلْ بالله : آمين

(١) كذا . والصواب : «هذا» .

(٢) الصواب : «سنة اثني» .

(٣) كذا . والصواب : «نظر» .

(٤) كذا . والصواب : «هذا» .

(٥) إضافة على الأصل .

(٦) إضافة على الأصل .

(٧) إضافة على الأصل .

(٨) كذا . والصواب : «يبقى زماناً» .

(٩) ما بين القوسين كُتب فوق السطر .

كاتب؛ هاد^(١) الخط^(٢) الفقير عطا الله ابن الحاج حسن المشهور بابن الشيخ، غفر الله له ولمن قرأه ودعا له ولوالديه (والمسلمين)^(٣) بلمغفرة^(٤) يوم الثلاثة^(٥) المبارك في نصف شهر شوال سنة اطنعشر^(٦) بعد ألف.

طالع فيه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ابن مُهنا الدوادار
طالع فيه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ابن مُهنا الدوادار^(٧) يوم الأحد المبارك (.. .)^(٨) خامس عشر رجب الفرد سنة تسع وتسعين وسبعماية.

طالع فيه العبد الفقير إبراهيم ابن الشيخ بن الشيخ ابن الشيخ.

/١٣٧ب/ ملك هادا^(٩) الكتاب الفقير الحقيق عطاء الله ابن الحاج حسن المشهور بابن الشيخ سنة اطنعشر^(١٠) بعد ألف ١٠١٢.

-
- (١) الصواب: هَذَا.
(٢) ما بين القوسين كُتِبَ فوق السطر.
(٣) كُتِبَ فوق السطر.
(٤) كَذَا. والصواب: «بِالْمَغْفِرَةِ».
(٥) الصواب: «الثَلَاثَاء».
(٦) كَذَا. والصواب: «سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةٍ».
(٧) هَكَذَا تَكَرَّرَتِ الْعِبَارَةُ مَرَّتَيْنِ.
(٨) هُنَا كَلِمَةٌ مَطْمُوسَةٌ.
(٩) كَذَا. والصواب: هَذَا.
(١٠) كَذَا. والصواب: «سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةٍ».



کتابخانه ملی و اسنادخانه ایران

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأشعار
- فهرس الأمم والشعوب والقبائل والأسر
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأماكن والبلدان والأقطار
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس المحتويات



فهرس الآيات القرآنية
مرتبة حسب ورودها في الكتاب



کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

فهرس الأحاديث النبوية

إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثاني
لا تتمنوا لقاء العدو فإنهم يُنصرون كما تُنصرون

فهرس الأشعار

مرتبة على القوافي

حرف الباء

ما تُربّ المحبوب جسماً بدا	من فضّة لما عرى من ثياب	١٧٣	شافع بن علي
ملك أغانث الله إذ وافى به	بعدها كادت تزيف فلوب	٢٤	

حرف الدال

بعث النصر للبلاد بريدًا	بتخطى تهايمًا ونُجودًا	٧٨	محبي الدين بن عبد الظاهر
إن قاتلوا قُتلوا	أو طاردوا طُردوا	١٥٥	

حرف الراء

حكمت برفع لوائك الأقدار	فإليك بالنصر العزيز يُشار	١٨١	شافع بن علي
نجحت مساعي سيفك البثار	بالحد في دم أرمي وتثار	٨٣	شافع بن علي
الله أعطاك لا زيد ولا غمرو	هذا العطاء وهذا الفتح والنصر	٨٢	فتح الدين بن عبد الظاهر
إن الشجاع إذا لم يُستزّر زارا		٥٦	

حرف العين

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها	ألقيت كلّ تميمة لا تنفع	١٦٤	
إنما أجزع ممّا أبقي	فإذا حلّ فما لي والجزع	١٦٤	

حرف اللام

حقاً أقول ولن يرّد مقالِي	مما دهمي واخيبة الآمال	١٦٥	شافع بن علي
---------------------------	------------------------	-----	-------------

- فَهْتَـيْـهَا دَاراً وبطن ضريحها خال ١٦٩
هي المَبْيُتَةُ لا بالخَيْلِ والجَيْلِ تردّ سطوتها من حائن الأجل ١٧٦ شافع بن علي
والْحَزَنُ لِلْخُودِ ليس الحزن للرجل ١٦٤
سامحاني إن اعتراني ذهول واعذراني فذا مقام يهول ١٠١

حرف الميم

- لا تُنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثله عازّ عليك إذا فعلت عظيم ١١٢

حرف الهاء

- ومن كتبت مَنِيَّتَهُ بأَرْضٍ فليس يموت في أرضٍ سواها ١٧٥



فهرس

الأمم والشعوب والقبائل والأسر

حرف آ

آل سلجوق: ٣٦

آل فضل: ٥٥

آل مُرّ: ٥٥

حرف الألف

الأرمن: ٨٣، ٧٨

الإسماعيلية: ٤٩

الأكراد: ٨٠، ١٢٣

حرف الباء

بنو تميم: ١٧٩

بنو عَبَس: ١٧٩

بنو عَمَار: ١٥٤

بنو يربوع: ١٧٩

حرف التاء

التتار: ٢٧، ٣٥، ٣٧، ٤١، ٥٣، ٥٤

٦٥، ٦٦، ٦٨، ٧٢، ٧٤، ٧٥

٧٨، ٨٣، ٨٥، ٩٣، ٩٤، ١١٣

الترك: ٢٦، ١٣٨، ١٨١

حرف الراء

الروم: ٤٥، ٥٢، ٥٤، ٦٦، ٨٢، ١١٢

١٢٢

حرف الزاي

الزراذشتية: ١٣٨

حرف الشين

الشهرزورية: ٨٠، ١٢٣

حرف العين

العجم: ٣٣، ٥٥، ٦٦، ٧٨

العرب: ٣٣، ٥٥، ٦٥، ١٢١،

١٢٢، ١٣٢

العربان: ٨٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣

العشير: ٩٠

حرف الفاء

الفرننج: ٥٢، ٥٣، ٧٤، ٧٨، ٩٣

١٢٢، ١٤١، ١٥٥، ١٦١، ١٧٣

١٨١

حرف الكاف

كُتافَة: ١٥٤

الكُزج: ٥٤، ٦٦، ٧٨

حرف الميم

المُغل: ٣٥

فهرس المصطلحات

حرف التاء

- الترعة: ١٢٤
التركاش: ٧٦
التطليب: ٤٣
التقادم: ٢٨
الثمانات = طومان: ٨٠، ٦٩، ٢٧

حرف الجيم

- الجاشنكير: ٢٦
الجاليش: ٧٢، ٥٦
الجان دارية: ١٣٠
الجفت: ١٥٩
الجمدار: ٦٠
جوجكنانة: ٤٥
الجوشن: ٧١
الجوكان: ٧٠

حرف الحاء

- الحجوية: ١٢٧
الحمام الرسائلي: ١٢٤

حرف الخاء

- الخاتون: ٥٧

حرف الألف

- الإبرئس: ١٤٥، ١٤٦
الأتاكينة: ٥١، ٦٠، ٩٦، ١٠٦
١٤٥، ١٤٦
الإستار: ٨٦، ١٤٠، ١٤١، ١٦١
أستادارية: ٢٧، ١٣٢
الإسفهلار: ٤٩، ١٤٠
الأشنان: ١٧٠
إصطبل: ٦٦، ١٠٠
الأطاق: ٦٦، ١٠٠
إفرير: ١٦١
أمير اخور: ٧٣
الإنبرطور: ٨٦

حرف الباء

- البحرية: ٧٤، ١٢٧
البرتدارية: ١٣٠
بيت استار الأمن: ١٧٦
بيت المال: ١٣١، ١٦٧
البيكار: ١٢٣، ١٢٦
بي لور: ٤٥
البيمارستان: ١٦٦، ١٦٨

خاضكية: ٤٠، ٤١، ٤٢، ١٧٢

خداوند: ٤٨

خسنه خانه: ١٦٦

خوجداشيّة: ٢٥، ٢٦، ٣٨، ٤٥،

٥٣، ٦٠

خوند: ٤٨، ٤٩، ٨٨

حرف الدال

دار الضرب: ١٣٤

دار الطراز: ١٣٣

الدّاوية: ١٦١

دبوس: ٧٠

الدّزيتند: ٦٦

الدّزج: ٥٠، ٨٠، ١٧٢

دزكاه: ٣٩

الدّست: ١٦٥

الدستور: ١٣٨

دهليز: ٢٧، ٤١، ٦٧، ٨٧، ١٣٢،

١٤٦

دوادار: ٤٩، ٥٦، ١٤٧

ديوان الإنشاء: ٥٦، ٧١، ٨٠

ديوان المكاتبات: ٦٠

حرف الراء

الركاب الشريف: ١٢٩

حرف الزاي

الزّاقون: ٧٦

زكاة الدّولة: ١٧٠

حرف السين

السّراقوجات: ٧٤

السّرماطي: ١٣١

السّلاح دارية: ٤١، ٤٢، ٧١

السّماط: ١٢٧

السّنجال: ١٦١

حرف الشين

الشّحنة: ٩٨، ١٠٧

شدّ الدواوين: ٨٧

حرف الصاد

صليب الصليوت: ٨٦

الصلييون: ١٤٠

الصّنجق: ٦٤، ٧٢، ٧٥، ١٧١

الصّولقة: ٤٩

حرف الطاء

الطبلخانات: ٢٧

طيربطاقة: ٤٧، ٧٧، ١٢٠

حرف العين

عصا البوللو: ٧٠

حرف الفاء

الفداوية: ٤٩

حرف القاف

قاقان: ٢٦

القراغول: ٩٨، ١٠٧

قورلتاي: ٧٠، ٩٥، ١٠٤

حرف الكاف

كاتب إنشاء: ٢٤

كاتب الدّرج: ١٧٢

كردوس: ٧٢

الكتانية: ١٣٠

الكوسات: ٧٢

الكوئند: ١٦١

حرف الميم

المجانيق: ١٧٨

المجلس السامي: ٣٠

المراحم الشريفة: ٣٠، ٣١

المراسم الشريفة: ١٢٨

المرشان: ١٦١

مقدّمو الحلقة: ٦٨

المقرقل: ١٣١

مكشّب: ١٣١

الملطّف: ٦٩

المهمندار: ٤٧

حرف النون

نائب السلطنة: ٤٧

النمشاء: ١٤٨

حرف الهاء

الهوكي: ٧٠

حرف الياء

اليَزَك: ٤٨

فهرس الأماكن والبلدان والأقطار

حرف الألف

أُبُلُسْتَيْن : ٨١

أَذْرَبِيْجَان : ١١٦ ، ١٦٨

إِسْكَندْرُوْتة : ١٤٦

الإِسْكَندْرِيّة : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٧١

أَسْوَط : ١٢٣

إِطْفِيْح : ١٢١

إِفْرِيْقِيّة : ١٢٣

أَمّ البَارِد : ٤٨

أَنْطَاكِيّة : ١٠٧ ، ١٤٦

حرف الباء

الْبَحِيْرَة : ١٢٣ ، ١٧٢

الْبَدْرِيّة : ١٢١

بَرْسَوْدَاق : ٥٢

بَرْقَة : ١٢٣

الْبَطَايِح : ٧٢

بَغْدَاد : ٥٤ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ١٠٧

الْبِلَادُ الثَّرِيّة : ٥٥

بِلَادُ الرُّوم : ٨١

الْبِلَادُ الشَّامِيّة : ٤٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٩

بِلَادُ الْعِجْم : ٥٤ ، ٧٩

بِلَادُ الْفَرْنِج : ١٢٢

بَلْتِيَّاس : ١٤٠

بَنْغَازِي : ١٢٣

بَهْتَسَا : ١٢١ ، ١٢٣

بَيْتُ الْمَقْدِس : ٨٦ ، ١٤٦ ، ١٦٣

الْبِيْرَة : ١٠٧ ، ١٠٨

بِيْرُوْت : ٥٣

بِيْسَان : ٨٨

بِيْمَارِسْتَانُ الْقَاهِرَة : ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٠

حرف التاء

تَبْرِيز (تَوْرِيْز) : ٥٤ ، ١٦٨

الثَّرِيّة الْأَشْرَفِيّة : ٥٩

الثَّرِيّة الصَّلَاحِيّة : ٥٩

تَنْيْس : ١٢٢

حرف الجيم

الْجَامِعُ الْأَمْوِي : ٥٩

جَامِعُ الْقَلْعَة بِالْقَاهِرَة : ١٦٣

جَبْلَة : ١٤٠

الْجَزِيْرَة : ٧٩

الجيزة: ١٢٣

حرف الحاء

الحجاز: ٥٥

الحَدَث الحمراء: ٨١

حصن الأكراد: ٧٣، ١٤٠

حصون الدعوة: ١٤٢

حلبًا: ١٤٧

حلب: ٤٣، ٧٩، ١٠٧، ١١٤، ١١٥

حمام: ٤٠، ٧٣

حمص: ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٧

٨٣، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ١٥٦

حُنَيْن: ١٧٩

الحيرة: ٥٢

حرف الخاء

خربة اللصوص: ٨٨

الخَوَزَنَق: ٥٢

خَوَي: ١٦٨

حرف الدال

دار العلم بطرابلس: ١٥٤

دار القطبية بقصر البحر: ١٦٧

دار الملك الزاهر: ٥٩

دُلُوك: ١٠٧

دمشق: ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٣

٤٤، ٥٣، ٥٩، ٦٠، ٦٥، ٦٧

٧٠، ٧١، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٨

١١٤، ١١٧، ١٤٥

دمياط: ١٢٢، ١٣٣

ديار بكر: ٦٩، ٧١

ديار بني تميم: ١٧٩

ديار بني عنبس: ١٧٩

ديار بني يربوع: ١٧٩

الديار المصرية: ٢٦، ٣٧، ٤٤، ٤٧

٨٨، ٨٩، ١٣٧

حرف الراء

الرحبة: ٦٥، ٦٦، ٦٨، ١٠٧، ١٠٨

١٢٩

رحبة باب العيد: ١٦٧

رشيد: ١٢٢

الرَّقَّة: ١٠٧

الرَّوْحاء: ٨٦، ١٤١

حرف الزاي

زَرُود: ١٧٩

حرف السين

السدير: ٥٢

سوق الخيل بالقاهرة: ٢٧

السُّوَيْس: ١٢١

سيس: ٤٠، ٤٢، ٨١

حرف الشين

الشام: ٢٨، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٥٥

٦٠، ٦١، ٦٣، ٧٢، ٨٠، ٨٦

٩٢، ١٢٠، ١٤٨، ١٤٩، ١٦١

١٦٨، ١٧١

الشرقية: ١٢١

شُرُوتة: ١٢١

الشُوبك: ١٣٧

حرف الصاد

الصعيد الأدنى: ١٢١

صعيد مصر: ١٢٣

صهيون: ٨٩، ٨٨، ٦٥

صور: ١٧٩، ٥٣

صيدا: ١٧٩، ٥٣

حرف الطاء

طرابلس الشام: ٥٣، ٧٣، ٧٤، ١٤٤

١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١

١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨

الطينة: ١٢٢

حرف العين

عثليث: ٥٣

العراق: ٥٢، ٥٤، ٧٩

عرقا: ١٤٧، ١٤٨

عسقلان: ١٣٠

عكا: ٥٣، ٨٦، ١٤٠، ١٤١، ١٦١

١٦٢، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٣

العنجي: ١٢١

عين تاب: ٦٩، ٧٠، ١٠٧، ١٠٨

عين جالوت: ٨٠، ٩٢

عيون الأساور: ١٤١

حرف الغين

الغربية بمصر: ١٢٢

غَزْرَة: ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ١٢٠

١٢١، ١٣٧

غيتا: ٤٨

حرف الفاء

الفرات: ١٠٧

الفرّما: ١٢٢

فلسطين: ١٣٠

القيوم: ١٢٣

حرف القاف

قاعة رضوان بقلعة دمشق: ٤٠

القاهرة: ٤٧، ٧٩، ١١٨، ١١٩

١٢٤، ١٣٠، ١٦٦، ١٧٥

قرن الحرا: ٨٨

القصر الأبلق بدمشق: ٣٩، ٧٠

قصر الزمرد: ١٦٧

قلطيا: ١٢٢

قلعة الجبل بالقاهرة: ٢٧، ٣٨، ٤٤

٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٠

١١٧، ١٢٨، ١٢٩

قلعة دمشق: ٣٨، ٤١، ٥٩، ٦٠

قلعة الروم: ٤٠

قلعة صهيون: ٦٥

قلعة الكرك: ٥٨

القناطر الخيرية: ١٢٤

قيسارية الروم: ٣٥، ٣٦، ٨٢، ٩٤

حرف الكاف

الكرك: ٤٤، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٨

٦٥ ، ١٤١ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٣٩ ، ١٤٠

الكسوة: ٤٣

الكلاسة: ٥٩

كينوك: ٨١

حرف الميم

ماردين: ٥٢ ، ٥٤ ، ٩٤

المدرسة العزيزية: ٥٩

المدرسة الفاضلية: ٥٩

مرج الزنبقية: ٦٧

المرقب: ٥٣ ، ١٤٠ ، ١٤١

مسجد التين: ٣٨ ، ١٧٥

مسجد الصالح بعكا: ١٨١

المسطبة الظاهرية بظاهر دمشق: ٦٠

مصر: ٢٨ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٨٠ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ،

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٦٨

مصياف: ٤٩

منظرة الكيش: ٢٧

الموصل: ٥٤

ميدان المرجة: ٣٩

حرف النون

نستروه: ١٢٢

النيل: ١٢١ ، ١٢٢

حرف الباء

بافا: ١٦١

اليمن: ٥٢ ، ١٥٠

فهرس الأعلام

أيك المعز، عز الدين التركماني: ٢٦،
٨٠

أيتمش السعدي الناصري، سيف
الدين: ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩

أيغددي الحراني، علاء الدين: ١٣٧،
١٣٨

أيدمر الدوادار الظاهري، عز الدين:
٤١، ٤٨، ٤٩

حرف الباء

بركة، الملك السعيد ابن الظاهر
بيبرس: ٢٨، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١،

٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧،

٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣،

٥٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٣،

٨٥، ٨٦، ١٣٥، ١٣٦

برهان الدين السنجاري: ٨٧

البرواناه - سليمان بن علي: ٣٥، ٣٦

البطال، أبو محمد عبد الله: ٢٣

بكتاش، أمير سلاح بدر الدين: ٣٩

بلبان الرومي الدوادار، سيف الدين
١٤٧، ١٤٨

حرف آ

آقش الكنجي، جمال الدين: ٤٩

آقوش الفارسي، جمال الدين: ١١٤

حرف الألف

أباجي الحاجب، ركن الدين: ٤٥، ٥١

إبراهيم الخليل عليه السلام: ١٨١

أبغا بن هولاكو: ٣٨، ٨٠، ٨٣

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ٣٠

أبو شامة الشهابي، عز الدين: ٧١

أبو المناقب محمد بن عبد الله بن

عفار، شمس الملك: ١٥٨

أحمد بن حنفي، أمير آل مر: ٥٥

أحمد بن هولاكو: ٩٣، ٩٤، ١٠٢،

١١٦

أرغون خان: ١١٦

الأشرف خليل بن قلاوون: ٥٦،

١١٨، ١٣٩، ١٧٥، ١٧٧، ١٨١

أقطاي الفارس: ٢٦

أقطوان الشامي، علاء الدين: ٤٧

أيك الأفرم، عز الدين: ٣٩، ٤٧، ٤٩

أيك الخاص، عز الدين: ٦٠

بليان الرومي الظاهري: ٤٩

بليان الطباخي: ١٤٠

بليان المستعربي، سيف الدين: ٣٩

بليسد جيرارد: ١٤٠

بهاء الدين أتابك السلطان مسعود

صاحب الروم: ٩٦، ١٠٦

بوزبا، سابق الدين الظاهري: ٧٤

بيبرس الشالق، ركن الدين الجمدار: ٦٠

بيبرس = الظاهر ركن الدين

بيسري، بدر الدين الشمسي: ٣٩،

٤٠، ٤٩

بيليك الأيدمرى الصالحي، بدر الدين:

٣٩، ٧٦، ٨٧

بيمئذ بن بيمئذ: ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩

حرف التاء

تاج الدين ابن الأثير الحلبي = أحمد بن

سعید بن محمد: ٤٨، ١٤٩

تقي الدين بن رزين: ٤٩

حرف الجيم

جلدر بهادر: ٦٩، ٧٠

جمال الدين بن عيسى: ٩٤

جهاركس = فخر الدين

جوان خندق المكاتب: ٨١

جوهر الصقلي: ١٦٧

حرف الحاء

الحاكم بأمر الله - أبو العباس أحمد

العباسي: ١٦٣

حرف الخاء

خضر ابن الظاهر بيبرس: ٦٥، ١٣٥،

١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٠

حرف الراء

روجير الكوند: ١٦١

ريموند الصنجيلي: ١٥٧

حرف الزاي

زريق الخولاني، علم الدين: ٧٤

زين الدين الصوابي: ٨٧

حرف السين

ست الملك ابنة العزيز بالله نزار: ١٦٦

سفيان بن مجيب الأزدي: ١٥٧

السقسيني: ٤١

سلامش، بدر الدين العادل: ٥٠،

١٣٥، ١٦٠

سنجر الباشقردى الصالحي، علم

الدين: ٦٨

سنجر الحلبي، علم الدين: ٣٩، ٤١، ٦٤

سنجر الشجاعي، علم الدين: ١١٩،

١٢٧، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠

سنقر الأشقر، شمس الدين: ٣٩،

٤١، ٥٣، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٥،

٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١

سنقر التكريتي، شمس الدين: ٤١

سنقر المستاح، شمس الدين: ٣٩

سمنار: ٥٢

حرف الشين

شجر الدر: ٢٥، ١٦٩

شهاب الدين ابن الخوئي محمد بن

أحمد بن الخليل بن سعادة: ١٦٨

حرف الصاد

الصالح بن فلاون: ٨٧، ٨٩، ١١٨

صلاح الدين الأيوبي: ١٧٩

حرف الطاء

طرنطاي الحسامي: ٧٣، ٩١، ١٣٩

طغريل الشبلي، شجاع الدين: ٣٩

طبرس الوزيري، علاء الدين: ٣٩،

٤٦، ٤٨، ١٤٨

حرف الظاء

الظاهر بيبرس، ركن الدين: ٢٦، ٢٧،

٢٨، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٥،

٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥٣، ٥٦، ٨١،

٨٢، ٩٢، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٤،

١٤٥، ١٤٦، ١٤٧

حرف العين

العادل أبو بكر بن أيوب: ٢٥

عثمان بن صلاح الدين الأيوبي: ٥٩

عثمان بن عفان: ١٥٧

علاء الدين الساقى الصالحى: ٦٠

علي بن محمد، صاحب الوزير بهاء

الدين: ٣٢

عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: ٣٠

عنتر: ٢٣

عيسى بن مُهنا: ٥٥، ١١٧

حرف الغين

غراب (رسول صاحب طرابلس):

١٤٦، ١٤٨

حرف الفاء

فخر الدين جهاركس: ١٦٦

فخر الدين بن لقمان: ٦١

فخر المُلْك عَمّار بن عَمّار: ١٥٧

فرعون: ١٤١

حرف القاف

قراشُفَر المعزّي: ١٦٩

قراشُفَر المنصوري، شمس الدين:

١١٤

قُطب الدين أحمد بن العادل أبي بكر بن

أيوب: ١٦٧

قُطر الملك المظفر: ٢٦، ٨٠، ٩٢

حرف الكاف

الكامل ناصر الدين محمد بن الملك

العادل: ٢٥

كتّبعاء، زين الدين: ٨٧

كرمون، سيف الدين: ٨٧

كرمون، سيف الدين: ٢٧

كليّام جوان دمونتفرت: ١٤٠، ١٦١

كليّام ديباجوك: ١٦١

كليّام الرن: ١٦١

كمال الدين عبد الرحمن الموصلي:

٩٣، ٩٦، ١٠٥

كوندك، سيف الدين: ٤١، ٤٢، ٤٣،

٤٥، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ١٤١

حرف اللام

لاجين الزيني، حسام الدين: ٤١

حرف الميم

محمد بن شرف الدين التيتي ابن

الصاحب: ٩٤، ١١٧

محمد بن محيي الدين عبد الله بن عبد

الظاهر، فتح الدين: ٦٠، ٦١، ٦٧،

٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٨٢، ٨٦،

١٠١، ١١٦، ١٤٢، ١٤٦، ١٤٧

محمد بن ملكشاه: ١٥٧

محمود الشيرازي، قطب الدين: ٩٤، ١٠١،

محيي الدين بن عبد الظاهر: ٢٨، ٣٢،

٥٢، ٦٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٧٤، ١٧٨

المستظهر العباسي: ١٥٧

مسعود ملك الروم: ٩٦

المظفر، الملك: ٩٠

معاوية بن أبي سفيان: ١٥٤

المُعزّ لدين الله الفاطمي: ١٦٧

المنصور صاحب حماه: ٤٠، ٧٣

المنصور قلاوون (في معظم الصفحات)

منكوتمر بن هولاكو: ٦٦، ٦٩، ٧٠،

٧٣

مؤسسة خاتون بنت الملك العادل: ١٦٧

حرف النون

الناصر يوسف بن عبد العزيز الأيوبي:

٧٩

نجم الدين أيوب بن الكامل: ٢٥،

١٦٩

النعمان بن امرئ القيس بن عمرو: ٥٢

حرف الهاء

هامان: ١٤١

هولاكو: ٢٧، ٦٩، ٧٠، ٨٤

فهرس المصادر والمراجع

المعتمدة في تحقيق الكتاب

حرف آ

آثار الأول في ترتيب الدول - للعباسي

حرف الألف

إنعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا - للمقرزي

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ - للقرماني

أخبار مصر - للمستبحي

الإشارة إلى وفيات الأعيان - للذهبي

الإعلام بوفيات الأعلام - للذهبي

إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء - للطباخ

أعيان العصر وأعوان النصر - للصفدي (مخطوط)

الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية -

للتويزي السكندري (مخطوط)

أمراء دمشق في الإسلام - للصفدي

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون - للبغدادي

حرف الباء

بدائع الزهور في وقائع الدهور - لابن إياس

البداية والنهاية في التاريخ - لابن كثير

البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب - لابن عذارى

حرف التاء

تاريخ ابن خلدون (العبر في ديوان المبتدا والخبر)

تاريخ ابن سباط (صدق الأخبار) - (بتحقيقنا)
 تاريخ ابن الفرات (تاريخ الدول والملوك)
 تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر)
 تاريخ الأزمنة - للدويهي
 تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - للذهبي (بتحقيقنا)
 تاريخ الأنطاكي - (صلة تاريخ أو تيسار) - (بتحقيقنا)
 تاريخ البصري - للبصري
 تاريخ بيروت - لصالح بن يحيى
 تاريخ حلب - للعظيمي
 تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه - لابن الجزري
 (بتحقيقنا)
 تاريخ الخلفاء القائمين بأمر الله - السيوطي
 تاريخ خليفة بن خياط
 تاريخ الخميس بأحوال أنفـس نفـس - للديار بكري
 تاريخ الرسل والملوك - للطبري
 تاريخ الزمان - لابن العبري
 تاريخ سلاطين الممالك - مجهول المؤرخ (نشره زترستين)
 تاريخ الطائفة المارونية - للدويهي
 تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور - تأليفنا
 التاريخ العربي والمؤرخون - للدكتور شاكـر مصطفى
 التاريخ الغيائي - لابن فتح الله البغدادي
 تاريخ مختصر الدول - لابن العبري
 تاريخ الملك الظاهر - لابن شداد
 تالي كتاب وفيات الأعيان - للصقاعي
 النحلة الملوكية - لبيبرس الدواداري
 تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة - للمراغي
 تذكرة النبيه في أيام الملك المنصور وبنيه - لابن حبيب الحلبي
 ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب - للمرتضى الزبيدي

تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور - لابن عبد الظاهر
تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب - لابن الفوطي

حرف الجيم

جامع التواريخ - لرشيد الدين الهمذاني
الجواهر الثمين في سِير الملوك والسلاطين - لابن دُقماق

حرف الحاء

حدائق الياسمين - لكنان
حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة - للسيوطي
حُسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية - لشافع بن علي (مخطوط)
الحوادث الجامعة - المنسوب لابن الفوطي .

حرف الدال

الدارس في تاريخ المدارس - للنعيمي
دار العلم بطرابلس - تأليفنا
الدُرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - لابن حجر العسقلاني
الدرز المنتخب في تكملة تاريخ حلب - لابن خطيب الناصرية (مخطوط)
دُرّة الأسلاك في دولة الأتراك - لابن حبيب الحلبي (مخطوط)
الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية - لابن أبيك الدواداري
الدرة المضية في الدولة الظاهرية - لابن أبيك الأواداري
الدعوة إلى الإسلام - لثوماس أرنولد
دُول الإسلام - للذهبي
الدليل الشافي - لابن تغري بردي

حرف الذال

ذخيرة الأعلام - للغمري (مخطوط)
ذيل تاريخ دمشق - لابن القلانسي
ذيل الروضتين في أخبار الدولتين - لأبي شامة
ذيل مرآة الزمان - لقطب الدين اليونيني

حرف الراء

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر - لمحبي الدين بن عبد الظاهر
روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر - لابن الشحنة

حرف الزاي

زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة - لبيبرس المنصوري (مخطوط)

حرف السين

سفر السعادة وسفر الإفادة - للسخاوي
السلوك لمعرفة دول الملوك - للمقريزي
سُنن أبي داود
سير أعلام النبلاء - للذهبي
سيرة ابن هشام - (بتحقيقنا)
سيرة الظاهرة ببيبرس - لمؤرخ مجهول

حرف الشين

شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلي
شفاء القلوب في مناقب بني أيوب - للحنبلي

حرف الصاد

صُبْح الأعشى في صناعة الإنشا - للقلقشندي
صحيح البخاري
صحيح مسلم

حرف الطاء

طبقات الشافعية الكبرى - للمسبكي

حرف العين

العبر في خبر من غبر - للذهبي
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - لبدر الدين العيني
عيون الأخبار وقنون الآثار - للداعي المطلق

عيون التواريخ - لابن شاکر الکُتُبي

حرف القاء

فتوح النصر في تاريخ ملوک مصر - لابن بهادر المؤمني
فهرس المخطوطات المصورة بدار الكتب المصرية
فوات الوفيات - لابن شاکر الکُتُبي

حرف القاف

القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية - لابن طولون

حرف الكاف

الکامل في التاريخ - لابن الأثير (بتحقيقنا)
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - لحاجي خليفة
کنز الدرر وجامع الغرر - لابن أبيک الدواداري (مخطوط)

حرف اللام

لبنان من السقوط بيد الصليبيين حتى التحرير - تأليفنا
لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين - تأليفنا

حرف الميم

مآثر الإنافة في معالم الخلافة - للقلقشندي
المجالس والمسائرات - للداعي المطلق
المجموع اللقيف - للدكتور إبراهيم السامرائي
المختار من تاريخ ابن الجزري - للذهبي
مختصر التواريخ - لشهاب الدين السّلامي (مخطوط)
المختصر في أخبار البشر - لأبي الفداء
مرآة الجنان وعبرة اليقظان - لليافعي
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - لسيبط ابن الجوزي
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار - لابن فضل الله العمري (مخطوط)
المسند - للإمام أحمد
مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق - لابن النحاس الدمياطي

معجم الألفاظ الفارسية المعربة - للسيد ادي شير
 معجم الألقاب والمصطلحات التاريخية - لمصطفى الخطيب
 معجم البلدان - لياقوت الحموي
 معجم المؤلفين - لكحالة
 معركة عين جالوت - للدكتور عبد السلام رؤوف
 المغرب في حُلَى المغرب - لابن سعيد الأندلسي
 المقتفي - للبرزالي (مخطوط)
 المقفَى الكبير - للمقرزي
 مناهل الصفا - للسيوطي
 المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي - لابن تغري بردي
 المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقرزي
 مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة - لابن تغري بردي (مخطوط)

حرف النون

نثر الجُمان في تراجم الأعيان - للفيومي (مخطوط)
 نشوار المحاضرة - للتوخي
 نكّت الهميان في نُكّت العميان - للصفيدي
 نهاية الأرب في فنون الأدب - للتويري
 النهج السديد والدرّ الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد - لابن أبي الفضائل
 النور اللانح والدرّ الصادح في اصطفاء الملك الصالح - لابن القيسراني (بتحقيقنا)

حرف الواو

الوافي بالوفيات - للصفيدي
 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لابن خلكان
 وفيات المصريين - لابن الطحّان
 الولاة والقضاة - للكِندي

فهرس المحتويات

٥.....	التعريف بالمؤلف
٧.....	مؤلفاته
١٠.....	مصادر ترجمة المؤلف
١١.....	أهمية الكتاب وماذته
١٣.....	وصف المخطوط وتحقيقه
١٧.....	نماذج مصورة من المخطوط
٢٣.....	مقدمة المؤلف
٢٥.....	ذكر ابتداء أمر مولانا السلطان
٢٦.....	ذكر الأمور التي اعتمدها الملك الظاهر معه
٢٨.....	ذكر الصورة في زواج السلطان الملك السعيد بجهة مولانا السلطان
٣٥.....	[مكاتبة صاحب قيسارية الروم للظاهر بيبرس]
٣٦.....	[وفاة السلطان الظاهر بيبرس]
٣٧.....	[سلطنة الملك السعيد ولي العهد]
٣٧.....	[خروج الملك السعيد إلى دمشق لمواجهة التتار]
٣٨.....	[غضب الأمراء من الملك السعيد لامتهنتاره ولهره]
٤٠.....	[الكتاب بمسير المسافر إلى قلعة الروم وبيبرس] ومثاله
٤١.....	[الخلاف بين أمراء الملك السعيد بدمشق]
٤٢.....	[مفارقة كوندك للسلطان]
٤٢.....	[مكاتبة الملك السعيد إلى قلاوون بشأن كوندك]
٤٣.....	ذكر ما ترتب على هذه الرجعة للملك السعيد من المفاسد
٤٤.....	[نوسط والددة الملك السعيد لدى قلاوون]
٤٥.....	ذكر ما اعتمد مما لم يتم
٤٧.....	ذكر حسن تدبير مولانا السلطان في هذه الوجهة
٤٩.....	[خلع الملك السعيد من السلطنة]

٥٠	[سلطنة الملك العادل سلامش]
٥١	[سلطنة المنصور قلاوون]
٥٢	[مباشرة مهام السلطنة]
٥٢	[مكاتبة الملوك بالسلطنة]
٥٣	[الأوضاع والعلاقات الخارجية عند سلطنة قلاوون]
٥٤	[خروج السلطان قلاوون لمواجهة التتار]
٥٥	[كُتِبَ السلطان بالاحتراز من التتار]
٥٦	ذكر ما كتب به مولانا السلطان إلى الملك السعيد بالكرك
٥٨	ذكر وفاة الملك السعيد وبما اعتمد (مولانا) السلطان فيها من الرفاء
٥٩	ذكر حديث الأمير شمس الدين سُنْقَرُ الأشقر
٦٥	ذكر ما اتفق للأمير شمس الدين سُنْقَرُ الأشقر بعد ذلك
٦٧	ذكر ما انعقد عليه الرأي في هذه المنزلة ثم نُقِضَ
٦٨	ذكر ما اعتمده مولانا السلطان في أيام إقامته بحمص
٦٨	ذكر ما رآه مولانا السلطان أيضاً في هذه المنزلة وما انعقد عليه الرأي
٦٩	ذكر احتفال المكاتبين بحقيقة أحوال القوم
٦٩	ذكر الصورة في إمساك جَلْدَرُ بهادر المذكور
٧١	ذكر الركوب للقاء العدو المخدول
٧٣	ذكر ما اتفق لمنكوتر في هذا اليوم
٧٣	ذكر ما اتفق عند مواجهة القوم
٧٥	ذكر غريبة اتفقت عند المصاففة
٧٦	ذكر من جهزه مولانا السلطان في أثر مَنْ لَعَلَهُ من التتار انهزم
٧٧	ما يكتب به بعد الألقاب
٧٨	[عودة السلطان المنصور إلى القاهرة]
٧٩	[ظهور أمر التتار اعتباراً من سنة ٦١٥ هـ]
٨٠	[مقتل المظفَرُ قُطُر]
٨١	[سلطنة الظاهر بيبرس]
٨١	[وقائع الظاهر بيبرس]
٨٢	[التهنئة بنصرة السلطان]
	ذكر ما انفصل عليه أمر الأمير شمس الدين سُنْقَرُ الأشقر بعد انفصاله
٨٥	من وقعة حمص المذكورة
٨٥	ذكر سبب تقصير الأمير سيف الدين أيتمش المذكور

٨٩	[وفاة أيتمش السعدي]
٨٩	[نص كتاب استقرار الأمير سُفَرُ الأشقر بصهيون]
٩١	[عودة الأمير سُفَرُ الأشقر إلى طاعة السلطان]
	ذكر ما اتفق لمولانا السلطان مما لم يتفق لملك غيره من ذلة التتار
٩٢	وسؤال ملكهم الصلح
٩٣	[إسلام أحمد بن هولكو ومراسلته السلطان قلاوون]
٩٤	[كتاب السلطان أحمد ملك التتار إلى السلطان قلاوون]
١٠١	[استقبال السلطان لرُسُل ملك التتار]
١٠٢	[كتاب السلطان قلاوون إلى السلطان أحمد ملك التتار]
١١٤	[دخول السلطان قلاوون دمشق]
١١٦	[موت أحمد بن هولكو]
١١٧	[ترتيبات السلطان قلاوون وهو بدمشق]
١١٧	[عودة السلطان إلى مصر]
١١٨	ذكر حزم مولانا السلطان عند سفره من كرسي مُلكه لمثل ذلك وغيره
١١٨	ذكر نص بعض ما كتب له من التذاكر
١١٩	فصل [بضبط قوانين المملكة]
١٢٠	فصل [في تدريج الحمام الرسائلي]
١٢٠	فصل [بالاحتراز على الجُند]
١٢١	فصل [بوالي الشرقية والعربان]
١٢١	فصل [في حفظ المياه]
١٢٢	فصل [في استطلاع أخبار الثغور]
١٢٣	فصل [في مهمات الأمراء والجُند]
١٢٤	فصل [بزيادة النيل]
١٢٤	فصل [في ري البلاد]
١٢٥	فصل [بإخراج التقاوي للزراعة]
١٢٥	مذكرة شريفة ملوكية من إنشاء فتح الدين ابن عبد الظاهر
١٢٦	فصل [في أن العدل أساس المُلك]
١٢٦	فصل [في الإنصاف]
١٢٦	فصل [في ملازمة دار العدل]
١٢٧	فصل [في أمور الأموال ومصالح البلاد والدواوين]
١٢٧	فصل [حول الأمراء المتصورية والممالك السلطانية]

١٢٨	فصل [في الباب الجواني بقلعة القاهرة]
١٢٨	فصل [في إغلاق أبواب القلعة]
١٢٩	فصل [بالاحتراز على المعتقلين بقلعة الجبل]
١٢٩	فصل [ملازمة المجزدين بباب القلعة]
١٣٠	فصل [بحراسة الأكناف]
١٣١	فصل [بانتصاب القضاة للأحكام]
١٣١	فصل [بالتشديد على الولاة بالعدل والإحسان]
١٣١	فصل [بالمبادرة للإطلاع على البريد]
١٣٢	فصل [باستعداد العسكر]
١٣٢	فصل [بتحصيل المباشرين للأموال]
١٣٢	فصل [العناية بخيل البريد]
١٣٣	فصل [العناية بثغري الإسكندرية ودمياط]
١٣٣	فصل [بدار الطراز]
١٣٤	فصل [بخزائن السلاح]
١٣٤	فصل [بدار الضرب]
١٣٤	فصل [بالحذر من التجار]
١٣٥	ذكر ما آل إليه أمر الملك خضر بن الملك الظاهر وصورة نزوله من الكرك
١٣٧	ذكر ما اتفق في أمر المذكور
١٤٠	ذكر أمور الفرنج بالمرقب وطرابلس ومهادنتها
١٤١	[مهادنة عكا]
١٤١	[فتح حصن المرقب]
١٤٢	[وصف المرقب]
١٤٣	[ووصف المؤلف للمرقب]
١٤٤	ذكر مهادنة طرابلس الشام
١٤٥	[دخول الظاهر بيبرس طرابلس متكرراً]
١٤٦	[محااجة رسول بوهوموند صاحب طرابلس]
١٤٧	ذكر السبب فيها
١٤٩	[فتح طرابلس الشام]
١٤٩	[التهنئة بفتح طرابلس الشام من إنشاء ابن الأثير]
١٥٦	[كتاب تهنئة للمؤلف بفتح طرابلس الشام]
١٦١	ذكر أمر مهادنة عكا

١٦٢	ذكر سلطنة مولانا السلطان ولّذه الملك الصالح علاء الدين
١٦٣	ذكر احترام الأيام بمولانا السلطان الملك الصالح هذا
١٦٦	ذكر ما أقره مولانا السلطان من المدرسة والبيمارستان بالقاهرة المحروسة
١٦٨	ذكر أمر هذه المدرسة وما أُنْفِقَ في بنائها
١٧٠	ذكر مظلمة عظيمة أزالها مولانا السلطان
١٧١	ذكر ما سامح به أيضاً
١٧١	ذكر عفة مولانا السلطان عن سفك الدماء
١٧١	ذكر شيء من قُتِدُد مولانا السلطان وثبته ورياسته
١٧٢	ذكر ما أقره مولانا السلطان ممّا عمّ نفعه
١٧٣	ذكر ما اتفق في أمر عكا بعد المهادنة
١٧٥	[وفاة السلطان قلاوون]
١٧٦	[رثاء المؤلف للسلطان قلاوون]
١٧٧	[فتح عكا]
١٧٨	[تهنئة الأشرف خليل بفتح عكا من إنشاد محيي الدين بن عبد الظاهر]
١٨١	وقلت مهنتاً أيضاً بهذه الغزوة وكتبْتُ بها إليه
١٨٤	[مطالعات الكتاب]
١٨٩	فهرس الآيات القرآنية
١٩١	فهرس الأحاديث النبوية
١٩٢	فهرس الأشعار
١٩٤	فهرس الأمم والشعوب والقبائل والأنسر
١٩٥	فهرس المصطلحات
١٨٩	فهرس الأماكن والبلدان والأقطار
٢٠٢	فهرس الأعلام
٢٠٦	فهرس المصادر والمراجع
٢١٢	فهرس المحتويات